

مكتبة

ليسا رڌزين



الكراكي تطير جنوباً

ترجمة

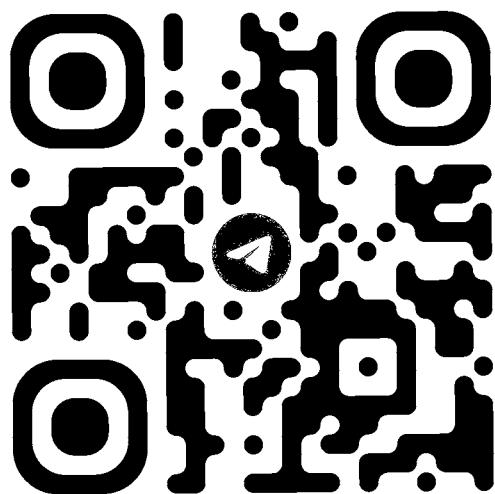
إبراهيم عبد الملك



منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING



الكراكي تطير جنوباً



سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

الكاتب: ليسا ردين
عنوان الكتاب: الكراي تطير جنوباً
ترجمة: إبراهيم عبد الملك

العنوان باللغة الأصلية: Tranorna flyger söderut

الكاتب: Lisa Ridzén
ترجمة: Ibrahim Abdulmalik

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 5-73-808-9921-978
الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2025
1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناسر ©

Copyright© Lisa Ridzén 2024

Published by agreement with Salomonsson Agency

كلفة هذه الترجمة مدعومة بمنحة من المجلس الثقافي السويدي، مع الامتنان.

The cost of this translation was supported by a subsidy from the
Swedish Arts Council, gratefully acknowledged.

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: + 965 98 81 04 40

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: + 964 78 11 00 58 60

 takween.publishing@gmail.com  takweekw

 takween_publishing  TakweenPH

 www.takweekw.com

ليسا رڌزين

مكتبة

t.me/soramnqraa

الكراكي تطير جنوباً

رواية

ترجمها عن السويدية

إبراهيم عبد الملك

مرايا

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



إهداء المؤلفـة

إلى كامـيرون

كم نحن محظوظان أن لدينا بعضنا بعضاً

تنويه:

جميع الهوامش في ترجمة هذه الرواية للمترجم، لا المؤلفة.

الخميس ١٨ مايو

أُتَحَيَّلُ حرمانه من الإرث، والحرص على أن لا ينال شيئاً.

يقول أن أخذه لِسِيكُسْتَنَ مني أمرٌ يفعله من أجلي بقدر ما هو من أجل سِيكُسْتَنَ. أنَّ المُفْتَرَضَ بالكبارِ في السَّنِّ مثلي أن لا يتمشوا في الغابة وأن الكلاب التي من نوع سيكستن بحاجة إلى المشي مسافات أطول من مجرد السير في طريق البلدة ذهاباً وإياباً.

أنظر إلى سيكستن حيث يستلقي قربي على أريكة المطبخ. يفكّ شذقيه في ثناؤٍ كبيرٍ ويعدّل وضع رأسه على بطني. أدسُّ أصابعي المتورّمة في فرائه وأهز رأسي. ما الذي يعرفه، هذا الملعون، في الواقع؟ لن ينال ما يريد إلا على جثتي.

تندّ عن إنجريد تنهيدةً حيث تجلس عند طاولة المطبخ.

«لا أستطيع وعدك بشيء، يا بو، ولكنني سأفعل ما بوسعي. فهذا ليس مقبولاً»، تقول وتواصل الكتابة في سِجِلِّ موظفي الرعاية المنزلية.

أومئ متصنعاً الابتسام. إن كان هناك مَنْ بإمكانه مساعدتي في ما

يخص سيكستن فسيكون إنجريد.

مكتبة

t.me/soramnqraa

تفرقع النار في الموقد. يتراقص اللهب حول حطب البتولا ويصعُبُ عليَّ انتزاعُ بصري لأشبحَ عنه. تهيم الأفكار نحو محادثتي مع هانس صباحَ اليوم فاستشيط غضباً مرةً أخرى. من يظنُّ نفسه، ابناً هذا؟ ليس الأمر متروكاً له ليقرّر أين سيعيش سيكستن.

أغمض عينيَّ لوهلة، فالغيط يتعبني. أنصتُ لحركاتِ إنجريد وتغدو أنفاسي أثقل. ببطءٍ يهدأ الغضب.

في أعقاب الغيط يأتي ذلك الانزعاجُ الذي غالبني في الآونة الأخيرة. خدشٌ يأتي ويذهب داخلَ الصدر. إحساسٌ بأنني يجب أن أفعلَ الأشياء بطريقةٍ مختلفة.

«ياه، كم صرتَ تفكّر»، قال ثورة على الهاتف قبل أيام حينَ حاولتُ توضيحَ الأمر.

ولعله مُحقٌّ، أقولُ لنفسي وأنا أستلقي الآنَ على أريكة المطبخ مع سيكستن مستمعاً لإنجريد.

ففي الفراغ الذي خَلَفَتْهُ، يا فريديكا، بدأتُ أتأملُ أشياء لم أُولها لحظةً من تفكيري سابقاً. لم يحدث أبداً أن كانَ لديّ كثيرٌ تردّدٍ، فقد كنتُ أعرفُ ما أريد وأستطيع التمييز بين الصواب والخطأ. ما زلتُ أستطيع ذلك حتى الآن ولكنني كذلك بدأتُ أتساءل.

لقد بدأتُ أتساءل لماذا أصبحت الأمور على ما هي عليه. أفكر في أمي وفي الرجل العجوز كما لم أفعل سابقاً. ولكنني في الغالبِ أفكر في هانس، لا أريد أن تؤول أمورنا إلى الحال التي آلت إليها الأمور فيما بيني وبين ذلك العجوز.

وإذا بهذه اللَّجَّة، بشأن سيكستن، تأتي لأستشيط غضباً إلى حدٍّ لا أعرف معه ما العمل. فمن سابع المستحيلات أن أستطيع وَضْعَ الأمورِ في نصابها إذا أخذ سيكستن مني.

«سأخذه لنتمشّي قليلاً عند وقت الغداء»، تقول إنجريد وتطبق السَّجِّلَ بِحَزْمٍ.

توهّج العينان الصغيرتان. هي نفسها لديها كلب ومجرّد التفكير في أتهم سيأخذون سيكستن مني يضايقها. تمر بإحدى يديها لتعدّل خصلات شعرها الرماديّ القصير ثم تلتقط عبوة الجرعات. تتأكد من أن الحبوب مضبوطة. للقلب ولكل ما يأتي معه.

«شكراً»، أجيبها، وأخذ رشفةً من الشاي.

لو كانت لدينا ابنة، لوددتُ أن تكون إنجريد. كانت تدرس في الصّف الموازي لصفّ هانس وكان جدّها لأمّها زميلَ عملٍ للعجوز في مصنع النجارة هناك في رانثيكن.

اليوم لم ترتدّ سوى كنزة من الصوف زرقاء داكنة تحمل شعار خدمة الرعاية المنزلية على الصدر. أتساءل عمّا إذا كانت تشعرُ بالبرد، إذ لم تكن ترتدي سترةً حتى عند مجيئها. أتعجّب لمثل هذا في الآونة الأخيرة، أنّ الناس كأتهم لا يبردون. كان من عاديّ أن لا أرتدي الجوارب على مدار نصف العام وكان بإمكانني أن أرتدي الشورت مع بداية مايو. الآن أشعر بالبرد دوماً ولا يهم ما إذا أصبح الجو أكثر دفئاً في الخارج، إذ أنني أوقدُ النّار مع ذلك. هذا ما تؤول إليه الحال كما يقولون؛ الأطباء وموظفو الرعاية المنزلية. هذا أمرٌ طبيعي.

أَنْتِ أَيْضاً دَائِمةُ الشُّعُورِ بِالْبَرْدِ، يَا فَرِيدْرِيكَا. فَعَادَةً مَا يُلْبِسُونَكِ
إِحْدَى سُرَّتْرِكِ الْمُحَاكَةِ عِنْدَمَا نَأْتِي لَزِيَارَتِكَ.

تُقَطَّبُ إِنْجَرِيدِ حَاجِبَيْهَا. وَتُحَيَّلُ لِي أَنَّنِي أَسْمَعُهَا وَهِيَ تُغْمِغِمُ شَيْئاً
عَنِ عُبُوءِ الْجُرْعَاتِ. مَعَ الْوَقْتِ سَتَرْتَعَشُ هِيَ الْآخَرَى مِنَ الْبَرْدِ مِثْلَ
شَنْقَبِ^(١) هَزِيلٍ.

تَتَفَحَّصُ الْعُبُوءَ مَرَّةً أُخْرَى وَتَلْتَقِطُ بَعْدَئِذٍ نَقَاطَهَا كَيْ تَرَى إِنْ كَانَ
أَحَدُهُمْ قَدْ اتَّصَلَ. يَدَاهُمْنِي خَاطِرٌ بِأَنَّي لَا أَعْرِفُ مَا إِذَا كَانَتْ لَدَيْهَا
عَائِلَةٌ. أَمْ أَنَّنِي نَسِيتُ وَحَسْبُ؟ أُلَاحِظُ مِنْ خِلَالِ إِجَابَاتِ النَّاسِ
الْمَحِيطِينَ بِي عَنْ أَسْئَلَتِي أَنَّنِي صَرْتُ أَنْسَى. هَانَسٌ مِثْلًا يَنْزَعُجُ وَيَقُولُ:
«لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ ذَلِكَ لِلتَّو».

لَا تُشْعِرُنِي إِنْجَرِيدُ أَبَدًا بِأَنَّي سَخِيفٌ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.
أَغْيَرُ وَضْعَ سَاقِيَّ حَيْثُ أَسْتَلْقِي عَلَى أَحَدِ الْحَفَّتَيْنِ الْمُرْقَعَةِ الْقَدِيمَةِ
وَأَمْعِنُ النَّظَرَ إِلَى إِنْجَرِيدِ. لَدَيْهَا حَتَمًا أَبْنَاءُ رَائِعُونَ. وَدُودُونَ وَحَسَنُونَ
التَّرْبِيَةِ.

أَمُدُّ يَدِي إِلَى كَاسِ حَسَاءِ ثَمَرِ النَّسْرِينِ^(٢) الَّتِي وَضَعْتُهَا عَلَى الطَّائِلَةِ.
يَمْلَأُ السَّائِلَ الْكَثِيفَ الْبَارِدَ فَمِي. حَسَاءُ ثَمَرِ النَّسْرِينِ وَاحِدٌ مِنْ أَشْيَاءِ

(١) الشَّنْقَبُ (بِالسُّوَيْدِيَّةِ: Vårget/Enkelbeckasin وبِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ: Snipe): طَائِرٌ يَعِيشُ
عِنْدَ الْمُسَطَّحَاتِ الْمَائِيَّةِ؛ كَبِيرُ الْحَجْمِ، طَوِيلُ الْمَنْقَارِ، قَصِيرُ السَّاقَيْنِ، وَرِيشُهُ بُنْيٌ ذُو
خُطُوطٍ بَيَاضَاءَ. أَكْثَرُ مَا يُمَيِّزُهُ نِدَاؤُهُ الْمُتَقَطِّعُ الصَّادِحُ الَّذِي يَعْتَبَرُ مِنْ أَدَلَّةِ عَوْدَةِ الرَّبِيعِ
فِي السُّوَيْدِ.

(٢) حَسَاءُ ثَمَرِ النَّسْرِينِ (Nyponsoppa): حَسَاءُ اسْكَنْدِنَاوِيٍّ تَقْلِيدِيٍّ يُصْنَعُ مِنْ ثَمَرِ
النَّسْرِينِ، حَلْوِ الْمَذَاقِ يُقَدَّمُ بَارِدًا أَوْ سَاخِنًا.

قليلة لا أزال أحبها. لقد تغير طعم الكثير من الأكلات. لم يعد ممكناً تناول المعجنات المعمولة بالكريمة، فمذاقها أشبه بالعفن. ومع ذلك فإن هانس يصّر على شراء كعكة الكريما بين حين وآخر.

«أنت نحيلٌ جدّاً»، يقول. كأنها الذئبُ ذنبي حين تذوي العضلات. وكأنها أنا من اخترع الجسدَ عديم الفائدة هذا الذي يشيخ.

أعيدُ وضعَ الكأسِ على الطاولة وأمتص بشفتي السفلى ما علّقَ بشاربي من الحساء.

تسير إنجريد نحو الموقد وتضع قطعتين من الحطب. إنها معتادة على التعامل مع الحطب. تمتلك هي وشقيقها آلة لتقطيع الحطب، من ذلك النوع الذي يمسك ويقطع في آن. وزنها اثنا عشر طناً. لم يكن والداهما من معارفي، لكنني كنت أعرفهما. مات كلاهما مبكراً فتولّت إنجريد إدارة المزرعة.

يجهلُ بعض موظفي الرعاية كيف يُضرمون النار. يضعون لحاء البتولا في الأسفل بدلاً من بناء كومة وإشعالها من الأعلى. في البداية كنت أنبههم ولكنني سئمت ذلك مع الوقت. يبدو الشباب منهم على الأخص ضائعين. هنالك الكثير مما يمكن قوله عن مثالب العجوز، لكنه علّمني إشعال نار الموقد كما يجب، على أية حال. لا يفكر الشباب هذه الأيام فيما هو أبعد من نهار الغد، وينالون كلّ شيءٍ مقدّماً على طبق ولا يقدّرون على ما كنا نتعلمه في صغرنا. ما الذي يمكنهم فعله إذا حدث شيءٌ كبير؟ إذا اختفت الكهرباء، أو كفت مجاري البلدية عن العمل؟ سوف ينهارون كبيتٍ من ورق، كلّهم.

تقرّ نظرتي على نار الموقد. أعتقد على الأرجح أن بإمكانني العيش طويلاً على ما يتوفر لي من الماء من جَدُولِ رينا ونار هذا الموقد والطعام في القبو. باستحياء يُنسبُ اللهبُ أنيابه في لحاء البتولا ليتحوّل بعدئذٍ وبسرعةٍ إلى ألسنةٍ نارٍ عنيفة، تجعلني الصُّفْرُ الراقصاتُ منها أفكّر بهانس، وكيف كان يجلسُ مأسوراً قُبالةِ نار الموقد وهو ولدٌ صغير. ذاك زمانٌ كان لا يزال ينظرُ لي فيه بإكبارٍ ويُرهفُ السَّمْعَ مع كلّ كلمةٍ أقولها. «يُريدُ هانس أن أكفَّ عن إشعال الموقد كذلك. لا يريدُ أن يأخذ سيكستن مني وَحَسْبُ، بل يريدُ أخذَ الحطبِ مني كذلك»، أضحك ضحكةً مكتومةً رغم ذلك الحَدَش الذي أحسه في الصدر حين أقول ذلك. «يرى أن بوسعي رفع درجة المدفأة بدلاً من ذلك، أن بإمكانني تحمل كلفتها».

«أعرف»، تقول إنجريد وتشطف الصَّحنَ. «المسألة مسألة مبالاة، يمكنك إدراك ذلك. إنّه يخشى أن تنسى المُثَبِّط، أو أن تَقَعَ عندما تجلب الحطب أو تخرج مع سيكستن».

أو لعلّها الأنانيّة والحماقة الملعونة، أكادُ أقول، لكنني أعضّ على شفّتي.

«أهمل أمر الحطب فقط. فنحن موجودون غالباً بحيث نلاحظ بسرعةٍ ما إذا كنتَ قد نسيتَ شيئاً».

أدُسُّ يدي في لحيتي وأغمغم أن هانس لا يبالي بذلك، لكن يبدو أن إنجريد لم تسمع.

«إيفا-لينا هي من سيأتيك الليلة»، تقول إنجريد بعد حين.

أَغْضَبُ وَأَوْمِي دُونَ أَنْ أَفْتَحَ عَيْنِي، وَلَكِنِّي أَدْرِكُ أَنَّ النَّعَاسَ سَيَلْقِي عَلَيَّ قَرِيباً قَبْضَتَهُ الْمَهْدَّةَ.

بَدَأْتُ إِيقَا-لِينَا بِالْقُدُومِ إِلَى هُنَا حِينَ التَّوْتُ قَدَمُ إِنْجَرِيدٍ وَانْكَسَرَتْ مَعَ أَوَّلِ الصَّقِيعِ. فَقَدْ غَابَتْ لَعْدَةُ أَسَابِيعٍ لِيَتَوَجَّعَ عَلَيَّ أَنْ أُحْتَمَلَ تِلْكَ الشَّمْطَاءُ. وَمَا زَادَ الطِّينَ بَلَّةً أَنَّهَا مِنْ فُرُوسُون^(١).

أَرْبَعُ مَرَاتٍ فِي الْيَوْمِ، يَزُورُنِي مَوْظُفُو الرِّعَايَةِ الْمَنْزِلِيَّةِ. حِينَ ذَكَرَ هَانَسُ ذَلِكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، حَوَالِي نِصْفِ عَامٍ بَعْدَ انْتِقَالِكَ، رَأَيْتُ الْأَمْرَ سَخِيفاً. قَابَلْتَهُ بِضَحْكِ سَاخِرٍ لَكِنِّي خَجَلْتُ مِنْ ذَلِكَ فِيهَا بَعْدَ. فَلَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ إِلَّا خَيْراً.

كَانَ ذَلِكَ عِنْدَمَا كُنْتُ لَا أَزَالُ أَمْتَمُّعُ بِالسَّطُورَةِ عَلَى حَيَاتِي.

مِنْ حَسَنِ الْحِظِّ أَنَّ لَدَيَّ ثُورَةً الَّتِي حَصَلَ عَلَى الرِّعَايَةِ الْمَنْزِلِيَّةِ قَبْلِي بِكَثِيرٍ. سَقَطَ وَأُجْبِرَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْمَرْكَزِ الصَّحِّيِّ حَيْثُ قَرَّرَ طَبِيبٌ شَابٌّ أَنْ يَخْضَعَهُ لِلرِّعَايَةِ الْمَنْزِلِيَّةِ عَلَى الْفُورِ. وَلَكِنَّهُ مِنْ خَلْقِ الْبَارِحَةِ قَالَ أَنَّهُ شَعَرَ بِالْقَلْقِ عِنْدَمَا سَمِعَ أَنَّ ثُورَةَ يَسْكُنُ وَحِيداً وَلَا يَجِدُ مَنْ يَسَاعِدُهُ فِي قِضَاءِ حَاجَاتِهِ.

وَرِغْمَ أَنَّهُ عَاشَ وَحِيداً طَوَالَ حَيَاتِهِ فَقَدْ وَجَدَ ثُورَةَ نَفْسَهُ بِسُرْعَةٍ يَسْتَقْبِلُ أَنْاساً يَخْطُرُونَ عَلَى مَنْزِلِهِ كُلِّ بَضْعِ سَاعَاتٍ.

(١) فروسون (Frösön): أكبر جزر بحيرة ستورشون («البحيرة الكبيرة»، وهي خامس أكبر بحيرة داخلية في السويد) في مقاطعة يمتلاند الواقعة شمال غرب العاصمة السويدية ستوكهولم. مركزها بلدة ريفية عتيقة شبه معزولة لا يزيد عدد سكانها عن ١٢ ألف نسمة، لكنها من أقدم مجتمعات السويد حيث يمتد تاريخها إلى القرن الثالث بعد الميلاد.

لكنه لا يجب الاستحمام. خلافاً لتورة فلست أبالي كثيراً إذا ما رأوني عارياً. أمّا هو فالأمر لا يريجه. يقول أنه يشفق على أولئك المجبرين على رؤية جسده المقرف الطاعن في السن.

أشدُّ ما يفترسني هو هذا التوازن الرديء. لو أنَّ الأمور كانت أفضلَ لكانَ أخذُ سيكستن في نزهاةٍ طويلةٍ أمراً تافهاً ولما كان هناك جدلٌ بشأنه. ما كنتُ لأحتاج أن أغضبَ من هانس كل هذا الغضب.

عدا إنجريد فإنني أفضلُ يوهانّا. هي من بولفيكنُ وفي عمر إلينور. ضخمة وصاخبة، تماماً كما كانت والدتها. يمكن لأي شيء أن يبدر منها، وهي تضحكني حتّى وإن لم يكن هناك الكثير لأضحك بسببه في حياتي. عند تورة يأتي بدلاء مختلفون بين يومٍ وآخر. لو أنَّ بدلاء كثيرين جاؤوا إليّ لكنت اتصلت مباشرةً برئيس البلدية. فمن حق المرء حتماً أن يعرف الناس الذين يدخلون بيته ويخرجون منه.

«سأضيف قطعتي حطبٍ آخرين قبل ذهابي كي تستطيع أن تغفو قليلاً إذا أردت»، تقول إنجريد وتنهض عن كرسي المطبخ. لم أنتبه إليها حين جلست حتّى.

ترفع الصحن وأدوات المائدة التي استخدمتها لتقطع شطيرتي إلى قطعٍ صغيرة. لم يتبقّ لديّ سوى سنّين في الفك السفلي وإذا لم تقطعها فسيستلزم تناولها وقتاً طويلاً. يلحّ هانس عليّ من أجل تركيب جسر أسنان. ولكنني لا أرى ضرورةً لذلك. نقودٌ تُرمى من أجل فترةٍ قصيرة. كما إن جُبنة الدّهْن الطريّة لا بأس بها. ربما ليست ألذّ من الجُبنة الصلبة، لكنّ المرء لا ينال كلّ ما يتمنى في هذه الدنيا.

يضغط سيكستن على ساقي فيضيق صدري. يتتابني شعورٌ بالرغبة في الحديث معك. على الرغم من أننا لم نكن مِمَّن يتكلمون كثيراً. كنت ستقولين أنه أمرٌ مفروغٌ منه أن أجلبَ الخطبَ وأخرجَ للمشبي مع سيكستن، وأنه يكفي أن ننزلَ إلى طرف الغابة فأدعه يتبول هناك.

لقد مضى أكثر من ثلاث سنواتٍ منذ انتقلتُ، منذ رمقتني بنظرةٍ عدم الفهم تلك حين جاء ابنتنا ليأخذك. قال أن الوقت قد حان لكي ترحلي وأنتِ ستكونين بحالٍ أفضل هناك حيث كنت ذاهبة.

لاحظتُ عليكِ أنكِ لم تُصدِّقيه. أنكِ كنتِ تفضّلين البقاء هنا عندي، حيث تألفين كلَّ شيءٍ. تركتُكِ تستريحين في نظرتي لبعض الوقت. ولم أكن أريدُ شيئاً في الدنيا أكثر من بقائك. لكنني أمسكت بيدك، وشددتُ عليها بلطفٍ وقلتُ: «هانس على حق، ستكونين بحالٍ أفضل بكثيرٍ الآن».

رغم أن كل ما في الجسد خالفني معترضاً، عرفت أنني لم أعد قادراً على العناية بك.

ألقي نظرةً على الجرّة التي على الطاولة ثم على إنجريد. لا أستطيع فتحها بنفسِي، فالأصابع أكثر ضعفاً وتصلباً من أن تستطيعَ القبضَ على الغطاء. ما زالت الأصابع كبيرةً كغطاء مقعد تواليت، لكنَّ القوّة اختفت ولا يمكنني ثني مفاصل الأصبعين الوسطيين.

«الأصابع الأربعة بالنفاق أمرٌ طبيعيٌّ لمن في مثل عمرك وتاريخك المرَضِي»، أوضح لي الطبيب آخر مرةٍ كنت فيها هناك.

حاولت إنجريد إيجاد جرّةٍ أسهل فتحاً على أن تكونَ مع ذلك محكمة الإغلاق كي لا تذهب الرائحة، ولكنني لم أستطع فتحها كذلك.

«أتريد مساعدةً لفتح الجرّة؟» تسألني وظهرها لي.

أطأطئ بسرعة. رغم أنها ساعدتني في ذلك مراتٍ عديدةً فإنني أخجل من نفسي. أن يحتفظ المرء بشالٍ لزوجته المخرّفة في جرّة كي يستطيع تذكّر رائحتها هو أمرٌ مثيرٌ للشفقة أساساً. لذلك فإن أنجريد هي الوحيدة التي تعلم بالأمر. حتى أمامكِ فإنني سأخجل من نفسي. لم نكن ممّن يعبرون بكلماتٍ حانيةٍ لبعضهم البعض. لم نكن بحاجةٍ لذلك. تفتح إنجريد الغطاء وتناولني الجرّة. تستدير وتواصل مسح منضدة المطبخ.

أسحب نفساً من خلال ألياف قماش الشال. أغمض وأدع جفوني تُطبّق. على الشعور الحارق. لم يقل أحدٌ شيئاً عن أن بلّل العينين أمرٌ طبيعي مع التقدم بالعمر. عن أن الدمع يجد على ما يبدو مكمناً في أغلب الذكريات.

اشتريت الشال في أحد أسواق الربيع في المدينة عندما كان هانس لا يزال صغيراً على المشي بنفسه. جلس في عربته التي ورثناها عن جيراننا الذين سكنوا الجانب الآخر من طريق البلدة. كانت ذات عجلاتٍ كبيرة على ما أذكر. الأمر الذي رأيته مناسباً لطريقنا المعبّدة بالبَحْص^(١). في البداية كان لون الشال أحمر قانياً، لكنك بمرور الزمنٍ أصلحتِه بِرُقَعٍ صغيرةٍ مختلفة الألوان. كنت حين يبرد الجو تُلَفِّينه عدّة لفاتٍ حول عنقك، وحين يكون الجو دافئاً تعقدينه حول كتفيك.

(١) البَحْص: الحصى الناعم.

«أَلَنْ تَأْخُذِي هَذَا مَعَكَ؟» سَأَلْتُكَ عِنْدَمَا كُنْتُ فِي طَرِيقِكَ لِلخُرُوجِ
عَبْرَ بَابِ الْبَيْتِ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ، وَكَانَ هَانَسٌ قَدْ سَاعَدَكَ لِلتَّوَّ عَلَى إِعْدَادِ
حَقِيبَتِكَ لِلذَّهَابِ إِلَى بُرُونْكَوَلَا جُورْدَنَ.

التَّفَتُّ وَلِلْحِظَةِ اعْتَقَدْتُ أَنَّكَ كُنْتَ مَعِي، أَنَّكَ كُنْتَ سَتَقُولِينَ شُكْرًا
وَتَبْتَسمِينَ عَلَى عَادَتِكَ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ شَيْئًا نَسِيتِهِ. وَلَكِنَّكَ رَمَقْتَنِي بِنَظَرَةٍ
مُتَسَاءِلَةٍ وَحَسْبُ. كَأَنَّنِي كُنْتُ أَمْسَكَ شَيْئًا غَرِيبًا فِي يَدِي.

لَا أَجْرُو عَلَى إِخْرَاجِ الشَّالِ مِنَ الْجُرَّةِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، لَا أُرِيدُ لِلرَّائِحَةِ
أَنْ تَنْفَدَ. اخْتَلَفْتَ رَائِحَتِكَ كَثِيرًا الْآنَ، فَقَدْ بَدَّلُوا صَابُونَكَ وَمَرَاهِمَكَ. لَمْ
يَغْيَرْ الْخَرْفُ عَقْلَكَ وَحْدَهُ.

أَدُسُّ الشَّالَ دَاخِلَ الْجُرَّةِ وَأُفْلِحُ فِي أَنْ أُدِيرَ الْغِطَاءَ لِأَغْلِقُهَا، ذَلِكَ
أَسْهَلُ مِنْ أَنْ أَحَاوِلَ فَتْحَهُ. أَضَعُ الْجُرَّةَ عَلَى الطَّائِلَةِ أَمَامَ إِنْجَرِيدَ حَتَّى
تُحْكِمَ إِغْلَاقَهَا وَأُرْخِي رَأْسِي عَلَى الْوَسَادَةِ.

صَوْتُ إِنْجَرِيدَ وَهِيَ تَغْسِلُ الصَّحُونَ أَشْبَهَ بِالْهَذْهَدَةِ. أَهْيِمُ مَعَ النَّارِ
وَلَا أَتَنْبَهُ لَهَا وَهِيَ تُودِّعُنِي وَتَغْلِقُ الْبَابَ خَلْفَهَا.

رَغْمَ أَنْ لِيَالِي الصَّيْفِ قَدْ بَدَأَتْ اقْتِحَامَاتِهَا الْمُضِيئَةُ، لَمْ يَزَلِ الْمَطْبَخُ
مَعْتَمًا. فَلَيْسَ لِلْمَكَانِ سِوَى نَافِذَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ بَيْنَمَا يَبْتَلَعُ السَّقْفُ الْمَصْبُوغُ
بِالْبُنْيِّ ذَلِكَ الْقَلِيلَ مِنَ النُّورِ الَّذِي يَتِمَكَّنُ مِنَ الدَّخُولِ.

تَفَرَّقَ النَّارُ فِي الْمَوْقِدِ بَيْنَمَا يَتَنَفَّسُ سِيكْسْتَنُ بَعْمَقٍ. أَحْكُ مَا خَلْفَ
أُذُنِي وَكَذَلِكَ رَقْبَتِهِ. فِرَاؤُهُ هُنَاكَ نَاعِمٌ وَمَنْفُوشٌ بِالْقَدْرِ نَفْسُهُ الَّذِي
كَانَ عَلَيْهِ فِرَاؤُهُ بِأَكْمَلِهِ عِنْدَمَا كَانَ جَرُوعًا. كُنْتُ مُرْتَابَةً عِنْدَمَا سَأَلْنَا
أَلَّ فَرِيدَرِيكْسُونِ فِي فُوكِرَ إِذَا مَا كُنَّا نُرِيدُ جَرُوعًا جَدِيدًا. سِيكْسْتَنُ هُوَ

الكلب السابع الذي حصلنا عليه منهم. لا بدّ أنّهم ربّوا أكثر من مائة كلبٍ يَمْتَنِي^(١) ساعدتهم في صيد الأيائل. كنتِ ترينَ أننا كبرنا على تربية كلبٍ جديد. وافقك هانس. أما أنا فرأيت ذلك سخفاً منكما ووصفتكما بالمتشائمين.

وفي إحدى المرّات على العشاء زمجرتُ متسائلاً عن معنى الحياة إذنً، وإذا ما كنتُ بلغتُ من العمر ما يمنعني من تربية جرو؛ أنجلس هنا فقط وننتظر الموت؟ بعد ذلك بيومين أوصَلْنَا هانس إلى فوكر. حين رفعتُ سيكستن من المقعد الأمامي ووضعتَه في حجري غيَّرتِ رأيكِ أنتِ كذلك. وذهبتِ إلى آل لارشون وتَحَصَّلَتِ على قطعة كبدٍ للتجفيف، حتى يكون لدينا ما نُدرِّبُ الجرو به. ولعلّ ذلك كان قبل سنةٍ بالضبط من ظهور أول الأعراض عليكِ.

أمسكُ، بقبضةٍ مرتخية، بأذن سيكستن فيدّر منه شخير. تدفعني الحركة للتفكير بِكَمْ تَصَلِّبُ الأصابع. أجبرني البدء بتناول حبوب القلب على ترك دواء الروماتيزم. لكنّ ذلك على أية حال لا يُسبِّبُ آلاماً كبيرةً.

«لا أظن الاختيار صعباً بين القلب والمفاصل، إذا توجَّب الأمر عليك، أليس كذلك؟»، قال الطبيب المؤقت في المستوصف باسمًا.

(١) الكلب اليمْتَنِي (بالسويدية: Jämthund وبالانجليزية: Swedish elkhound): فصيلة سويدية مُميّزة من كلاب الصيد، كثيفة الفراء، بارزة الأذنين، ملتوية الذيل؛ وهي متفرعة من نوع سِيتز (Spitz). تستخدم في صيد الأيائل غالباً، وقد سُمِّيت بهذا الاسم نسبةً إلى مقاطعة يمتلاند التي تكثر فيها.

خَطَرَ لي عندئذ أن الموت بسبب نوبة قلبية ربما يكون طريقةً حسنة،
لكنَّ الطبيب قاطع تأملاتي قائلاً وهو يستدير نحو الشاشة:
«إن لم تكن لديك أسئلةٌ ما، فإننا انتهينا لهذا اليوم».

بدا من شدة وقع أصابعه على لوحة المفاتيح كأنه في عجلةٍ من أمره؛
كأنَّ عليه أن يكون في مكانٍ آخر. رَقَدَ الشعر الرماديّ الرّفع كقلنسوةٍ
سباحةٍ قبيحةٍ على رأسه المدوّر. لا بدَّ أنه يقترب من سنّ التقاعد. لقد
سمعت أن الأطباء المؤقتين في المستوصفات يجنون من المال في شهر بقدر
ما كنت أتقاضى في المصنع في سنة. عندما سألته عن طبيبي المعتاد وأين
هو، أفاد بأن والدته في الأصل من يمتلاند. وكأنَّ ذلك مما يهمني.

أردت أن أنهض، وأضرب الطاولة بعصاي لأسأل عن اللعنة التي
تقول أن من الطبيعي أن تكون لدي يدان لا تستطيعان فتح جرة رنجة.
وكيف يمكن للمرء أن يُجبرَ على الاختيار بين ذلك وبين السقوط ميتاً.
لكنَّ الكلمات التي بحثت عنها رَفَرَفَتْ بعيداً ولم أتمكن من إيجادها.

تمنيت لو كان بمقدور هانس أن ينهض ويقول أننا لا نقبل بهذا.
أن يتأبط ذراعي ويصلح كلَّ شيء. مثلما فعلتُ عندما رماه ابن الجيران
بأكواز الصنوبر عند محطة الباص. أمسكت بتلابيب الصبي ورميته في
الساقية. لكنَّ هانس ناولني سترقي ونهض فقط. وذهبنا إلى البيت.

يجار سيكستن بشخيره وأعيد القبض على أذنه. ما زال بمستطاعي
أن أحكم الإمساك بين الإبهام وبقية الأصابع. تقول إنجريد أن قرصتي
أشدَّ من أغلب الذين في سنّ التاسعة والثمانين. ولكنَّ قرصتك أشدُّ،
يا فريدريكا. أخبرني بذلك موظفو برونكولا جوردن. ربّما يتوجّب عليّ

أن أخجل من نفسي ولكنني أشعر بالسعادة عندما أسمع أنك تشدين
ملابسهم بقوة إلى حدّ أن مفاصلك تَبْيَضُّ.

الساعة الواحدة وعشر دقائق ظهراً

يريد بو تناول جراتان السمك على الغداء ويريد القهوة مع سكر
كثير. ينفخ في الزجاجة لتخفيف البلغم ويتكلم عن سيكستن. يريد مني
أن أُدَوِّنَ أَنَّهُ مضطرب لأنَّ بعضهم يرتؤون أن ينتقل سيكستن. الموقد
على ما يرام.

/ إنجريد

السبت ٢٠ مايو

الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق ظهراً

موعد الغداء، پولسا^(١) وبنجر. عينا بو تزعجانه، يقول إن الدنيا
تعتم، يجب الاتصال بمرضة المقاطعة يوم الإثنين.
/ كالة

(١) پولسا (Pölsa): طبق سويدي تقليدي يُحضّر من هريس قلب ورثة وكبد وأوتار
لحم البقر أو الأيّل مع مرق البصل والفلفل الأسود والمردقوش ويقدم مع البطاطا
المهروسة أو البنجر المخلّل أو البيض المقلي.

أَسْتَيْقِظُ بسبب انتشار الحرارة بين فخذَيَّ. حلمت أنني ذهبت إلى التواليت. مثلما اعتاد هانس أن يحلم عندما كان صغيراً. لم يَخْرُج الكثير وإنما ما يكفي لِيُسَبِّبَ القرف.

ألقي نظرة على ساعة الحائط، خلال وقتٍ لن يطول ستأتي الرعاية المنزلية لتحضير الغداء. لكنني أمتلك بعض الوقت على الأرجح للذهاب إلى الحَمَام وتغيير السروال الدَاخِلِي والبنطال. يرون أَنَّ عَلَيَّ أَنَّ أرتدي الحَفَازة دائماً، ولكنني فور مغادرتهم أنزعها. يظنون السبب في ذلك هو أنني أنسى، ولكنني أَفْضَل التَبَوَّل على نفسي وتغييرَ ملابسِي على أن أرتدي واحدةً من تلك الأشياء.

أأخذ نفساً وأدفع نفسي للنهوض إلى وضع الجلوس على أريكة المطبخ. كوب شايٍ بارد على الطاولة. أحد الأكواب التي اشتريتها في رحلةٍ إلى السَّاحِلِ المرتفع. راقَت لكِ عِنْدَ رؤيتها. وبرغم أَنَّك قلتِ أَنَّ الأمر لم يكن ضرورياً فقد اشتريتها لكِ لأنني كنت قد حصلت للتو على علاوة على راتبي وكنتُ ثرياً.

كان ذلك الصيف الذي أقام فيه هانس حفلةً أثناء سفرنا. وكان من الغباء بحيث أحدث ضوضاء وصلت ضجّتها حتّى ماريتا ونَيْلا. بالطبع أخبرانا. ويا للّعنة، كم صرختُ في وجهه، ولكنه لم يتكلّف الاعتذار حتّى.

كان قد بدأ دراسته الثانوية ورافق أولئك الفتيان من المدينة. زرعوا في رأسه كثيراً من الأفكار، خصوصاً ذلك الصبي من فروسون. صار هانس يُجادل معترضاً ويسأل العديد من الأسئلة في السياسة، كما صار له العديد من الآراء في ما كنا نفعل والقرارات التي كنا نتخذها. بات يُخضع أكثر الأشياء الطبيعية الواضحة للمساءلة.

«هكذا هم المراهقون»، قلت بعد أن دخل إلى غرفته صافقاً الباب خلفه.

«أحتاج أن يكون عديم اللياقة لمجرد كونه مراهقاً؟» قلت ومسحت ما حول فمي بالمنديل الورقي الذي وضعته إلى جانب الصحن.

في وقت سابق من الربيع نفسه تشاجرنا حول سفرة لغويّة، كما أسماها. أراد الذهاب لقضاء الصيف في إنجلترا كي يتعلم اللغة الإنجليزية وكان يرى أنّ عليّ تحمّل تكاليفها. كان فتى فروسون سيذهب وأراد هانس مرافقته. صارحته بواقع الأمر؛ أننا لا نستطيع تحمّل تكاليف كتلك.

«أبو روبرت يقدر على ذلك»، قال ورمقني بنظرة تذكّر بذاءتها بأفزع المراهقين الفاسدين.

اسودّت الدنيا من الغيظ في عيني. آية لعنة تلك التي جعلتني أربي

صَبِيًّا مُدَلَّلًا يَظُن أَنَّنِي سَأَسَدُّ تَكَالِيفَ رَحْلَةٍ تَرْفِي إِلَى إِنْجَلْتِرَا! وَوِاجِهَتُهُ
بِذَلِكَ. أَنَّنِي لَا أُرِيدُ إِهْدَارَ الْمَالِ عَلَى عَجْرَفَةٍ كَهَذِهِ.

كُنْتُ عِنْدئِذٍ تَرْتَبِينُ الْمَائِدَةَ. كَدَّسْتُ الصَّحُونَ بِصَمْتٍ وَابْتَعَدْتُ بِهَا
نَحْوَ مَغْسَلَةِ الصَّحُونَ.

«لَوْ جَرَّبْتَ أَنْ تَقْلُلَ مِنَ اللَّعْلَعَةِ بِدَوْرِكَ»، قُلْتُ بَعْدَ قَلِيلٍ وَأَنْتِ
تُقَدِّمِينَ قِطْعَةً مِنْ كَعْكَةِ الْبَارِحَةِ. «فَرَبَّأُ سَوْفَ يَقْلُلُ مِنْ عَدَمِ الْبَارِحَةِ».

بَحَلَقْتُ فِيكَ. كُنْتُ أَرَى أَنَّ مِنْ وَاجِبِكَ الْوُقُوفَ إِلَى صَفِّي بَدَلًا مِنْ
ذَلِكَ. أَمَّا الْآنَ فَأَرَى أَنَّكَ رَبَّيَا كُنْتُ عَلَى حَقٍّ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَغْضِبُنِي إِلَى حَدِّ
الْعَمَى. لَمْ يَخْطِئْ مَرَّةً فِي قَوْلِ كُلِّ مَا يَعْرِفُ أَنَّنِي أَسْتَشِيظُ غَضَبًا بِسَبِيهِ.
كَانَ يَفْعَلُ كُلَّ مَا بِاسْتِطَاعَتِهِ كَيْ يَعْكَرَ مَزَاجِي.

مَتَأَوَّهَا أَفْكَ أَزْرَارَ بِنْطَالِي الْجِينِزِ وَأَتْرَكُهُ يَسْقُطُ عَلَى أَرْضِيَةِ الْحَمَامِ.
أَتَأَمَّلُ فِي الْمَرَاةِ هَذَا الرَّجُلَ النَّحِيلَ كَسَلِكِ. أَشْعُرُ بِحَرْقَةٍ فِي عَيْنِي وَأَجِدُ
صُعُوبَةً فِي رُؤْيَةِ تَفَاصِيلِ جَسَدِي، وَلِذَلِكَ تَغْدُو الْهَيْئَةُ الشَّاخِصَةُ أَمَامِي
أَشْبَهَ بِلَوْحَةٍ زَيْتِيَّةٍ مَرْسُومَةٍ بِفَرْشَاةٍ عَرِيضَةٍ الضَّرْبَاتِ. لَكِنَّ اللَّحِيَّةَ
وَالشَّعْرَ الطَّوِيلَ يَبْرِزَانِ.

يُدْفَعُنِي انْعِكَاسِي فِي الْمَرَاةِ إِلَى التَّفَكِيرِ بِالرَّجُلِ الْعَجُوزِ. وَجْهِي يَذْكَرُ
بِوَجْهِهِ، لَكِنَّهُ حَرَصَ عَلَى حَلَاقَةِ ذَقْنِهِ حَتَّى الْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَمْ يُفَوِّتْ فُرْصَةً
سَنَحَتْ لَهُ كَيْ يَعْلَقَ عَلَى طَرِيقَتِي فِي إِطَالَةِ اللَّحِيَّةِ.

«فَظِيحُ إِهْمَالِكَ لِتَهْذِيبِ لِحْيَتِكَ»، غَمَغَمَ فِي لَيْلَةٍ صَيْفِيَّةٍ قُبِيلَ
جُلُوسِنَا إِلَى الْمَائِدَةِ تَمَامًا. كَانَتْ عَطَلْتِي قَدْ بَدَأَتْ لِلتَّوْ وَكُنَّا قَدْ عَدْنَا
مِنْ هَيْسَمُوفُوشَ لِبُضْعَةِ أَيَّامٍ كَيْ نَسَاعِدَ فِي الْعَمَلِ بِالْمَزْرَعَةِ. وَأَمِي قَدْ

أعدت سمك الرنجة بالبطاطا الطازجة المسلوقة مع شبت طازج من المزرعة.

أثناء استراحة الغداء قبل بضعة أسابيع صرح أوكون بأنه سيطيل لحيته في العطلة.

«صندوق من البيرة للذي يعود بأطول حية»، قال وهو يضع ذراعيه حولي وحول بي - جي وينكرنا في الظهر.

«موافق»، قال بي - جي مبتسماً ابتسامة عريضة. «لا بد أنكما رأيتما أبي، أليس كذلك؟»

بصقت في صندوق البيرة وأجبت بالإيجاب، فقد رأيت بالطبع أباه بلحيته التي تشبه حية بابا نويل^(١).

«أنا أيضاً موافق»، قلت بعد ذلك وفكرت بأنك على الأغلب ستندمرين من وخزها.

سحبت كرسي الحديقة وجلست، وحدقت إلى العجوز دون أن أتفوه بكلمة. التقت نظرتي بنظرتك فوق الطاولة، بدا وكأنك كنت تجلسين في انتظارها. استبقتني عيناك لبُرهة فتراخت قبضة العجوز على تفكيري قليلاً.

قدّمت أُمّي البطاطا للعجوز بينما وضّحت الرّهان الذي عقدناه أنا وزميلاي. ندّ عنه شيءٌ غير مفهوم بمثابة إجابة وأخذ جرعة من البيرة بينما التفت إلى أُمّي وامتدحت الطعام.

(١) اسم بابا نويل بالسويدية هو «Jultomten» (يُولتومتَن).

كان تعليقاً سخيماً على اللحية فقط لكن كلمات العجوز بقيت في نفسي. كما فعلت دائماً. جلسنا صامتين، العجوز وأنا، مُطرقين ننظر إلى الصحون ونأكل من طعام أُمي. استمعتُ إليك وأنتِ تسألينها عن الزرع والحيوانات. أدهشني اليُسْر الذي تملكينه في المحادثة، بدوتِ بلا حاجة للتفكير بتاتاً في ما تنوين قوله. شربت من بيرقي واختلستُ النظر إلى العجوز. كانت جُثَّتُه الهائلة زلقةً فانزلقت النظرة. على الرغم من أنني حاولت لكنني لم أقوَ على النظر إليه. كرهت نفسي؛ كرهتُ أنني لم أمتلك ما يكفي من الشجاعة لأردّ.

ترتفع رائحة البول لتحرق أنفي بينما أنا أترك سروالي الداخلي يسقط هو الآخر. بدأ موظفو الرعاية المنزلية يعلقون السراويل الجافة على رفّ التجفيف في الزاوية.

أنا ممتنٌ لأنني لست بحاجةٍ للذهاب إلى غرفة النوم كي أجلب سراويلَ نظيفةً من خزانة الملابس. لم أُنم هناك منذ انتقلت.

أمدّ يدي لأتناول سروالاً أزرق وأجلس على غطاء التواليت. أنحني ببطء وأسحب إحدى ساقي السروال فوق قدمي اليسرى التي يتقلب لونها بين الدرجات الداكنة للون الأزرق البنفسجي، وأصابعها ملتوية. القدم اليمنى أكثر تصلباً ولكنني، في محاولتي الثالثة، أفلح في إدخالها. بعد ذلك أتناول بنطالاً وأبدأ من جديد. السراويل الرياضية أسهل من الجينز، وأكثر مرونة. لا بد أن هانس قد اشترى منها عشرة من متجر إنترسپورت في المدينة.

وأنا أوْشِكُ أن أنتهي من غسل يدي وإغلاق الحنفية يُفتَحُ البابُ

في الطرف الآخر للمنزل. أجد كالةً في المطبخ. كان قد التقطَ وجبةً جاهزةً من المجمّدة. يلتفت عند وصولي. الملابس أصغر مما يجب وبطنه يبرزُ منها عندما يتحرّك. خلفه تماماً، بالإمكان رؤية القصاصة التي علّقها هانس فوق مغسلة الصحون. تذكر أن تأكل! أنا أكل عندما أجوع.

«كيف الحال هنا؟» يسأل كالة ويثقب البلاستيك الذي يغلف الوجبة الجاهزة. على الرغم من أن لديّ في المجمّدة ما يزيد على ما أستطيع أكله في سنة فإنّ هانس يعبّئها بالمزيد كلّ أسبوع.

«شكراً على السؤال، وبلى، فالأمور تسير»، أجيب وأتساءل مع نفسي إن كان يطرح السؤال نفسه على جميع المسنّين الذين يقابلهم. فقد بدا ذلك بعض الشيء كتعويذة يغمغم بها.

«فكرتُ في إعداد شيءٍ للغداء، هل أنت جائع؟»

أشدّ كتفي لا مبالياً وأبتعد لأجلس على الأريكة إلى جانب سيكستن وأمسد رأسه.

ثم يخطرُ لي خاطرٌ بأنّ شيئاً مميّزاً سيحدث اليوم. أنهض ثانيةً وأسيرُ نحوَ التقويم الذي علّقه هانس على الحائط. هناك مُلصقُ ملاحظاتٍ أصفر مُثبتٌ على أحد المربعات ومكتوبٌ عليه تاريخ اليوم. كان إحساسي صحيحاً، مكتوبٌ أنّ هانس سيأتي لزيارتي الليلة. وغداً سأتصلُ هاتفياً بتورة.

عيناى تؤلمانني والنظرة أكثر غبشاً من المعتاد، يصعبُ عليّ أن أرى كالة والأريكة. أرمش عدّة مرّاتٍ لكنّ ذلك لا ينفع. أريد الحديث معه

عن سيكستن. لو أنني وضّحتُ كمّ الحماقة في أخذه مني، فسأحصل على تأييده.

يتتشر الدفء في البنطال ثانيةً. تفلت تنهيدةٌ مني.

«ما الأمر؟» يسأل كالة ويضع وجبة الطعام في الميكروويف.

أتنهّد ثانيةً لكنني لا أستطيع قول أيّ شيء. الكلمات، بلت على نفسي، طعمها مقرّف حتّى الآن، على الرغم من تكرار حدوث ذلك.

«هل حدث شيء؟» يتساءل كالة ثانيةً ويلتفت نحوي.

هذه المرة كان هناك الكثير من البول والبقعة على البنطال أوضح من أن تُفوّت.

«آه، حسناً، سنعالج ذلك، لا بأس»، يقول ويغلق الميكروويف دون أن يشغله. «تعال لنذهب كي نرتدي حفاظة ونلبس بنطالاً نظيفاً».

أقابل نظرة كالة وأشعرُ أنني لا أريد أن أفعل هذا بعد الآن. أريد أن أنهض وأغادرَ هذا المكان. لكنني أبقى جالساً وأومئ موافقاً ببطء.

الساعة الخامسة والنصف مساءً

بو نائمٌ عند وصولي. أعدّ له البطاطا المهروسة مع كرات اللحم المفروم وكأس البيرة. أجلس لأدردش معه. يرى بو أنّ الهواء قارس البرد وأنّ لا شيء يبعث على الدفء في الخارج سوى الشمس. أذكّر بأنّ هانس سيأتي فيما بعد، فبو قد نسي ذلك.

/ يوهانّا

أنتِ رشيقةٌ حين تقفزين لتركيبي الدَّرَاجَةَ الهوائية رغم ضخامتكَ.
في السِّلَّةِ عصيرٌ وكَعْكَ. كنتِ قد استعَرَّتِ الفستانَ من أختكِ
الصغرى، ويبدو كشرشفٍ مطويٍّ ذي طبقتين. من الصعب أن أرى
شيئاً آخر سوى بطنكِ الذي يعود النظر إلى الانجذاب نحوه طوال
الوقت. ننزلُ إلى نهاية الطريق المعبَّدة وتخبِريني أن أختكِ قد عزَلَتْ
ملابسَ لصغيرنا أيضاً. يمكن للأمر أن يحدث في أي وقتٍ الآن،
هكذا يقول كلُّ الذين نقابلهم تقريباً. أفكّر بذلك كلَّ صباحٍ حين
أركب دراجتي إلى مصنع النجارة، أنني عندما أعود إلى البيت ربّما
أكون قد صرْتُ أباً.

ندخل إلى مزرعة أختكِ الكبرى. كالعادة تذهبين إلى الخيول
وتمسّدين بيدك على جلودها السميكة. أحب أن أراكِ مع الخيول؛ إذ
يروق لكم أن تكونوا معاً. حركتك عندها طبيعيةٌ للغاية. أتصوّرُ أن
الخيول بالنسبة لك كما الكلاب بالنسبة لي.

تُخيفُني. أعني الخيول. أتوهّم أن بإمكانها الإحساس بخوفي فورَ
دخول الدَّرَاجَةِ إلى فناء المزرعة. وهي تتصرّف بشكلٍ مختلفٍ معي

مقارنةً بك. أنتِ نشأتِ معها وتعرفين كيف تتكلمين معها، وشخصٌ مثلي لا يمكن له أن يعرف.

أُثْبِتُ مسند الدَّرَاجَة وأقف ساكناً لبعض الوقت وأنظر إليك. حين تقبض الهواجس عليّ ليلاً، يهدّئني التفكير فيك. سوف تكون عنايتك بالطفل أمراً طبيعياً، فأنتِ تملكين ما أفتقده. لقد اعتنيتِ بإخوتكِ الصغار وبأطفالِ إخوتكِ.

«هلاً جلبتِ معك الكعكَ رجاءً؟» تصيحين وتبتعدين سائرةً نحو المنزل.

تخبزين دائماً شيئاً حلواً كي نأخذه معنا حين نزور والديكِ أو أحداً من عائلتِك. واللّعة ما أطيّب طعمه، أطيّب من كعك أُمي. صباح اليوم أفقتِ أبكر من المعتاد كي تعدّيه قبل مغادرتنا.

في اللحظة نفسها التي ألتفتُ فيها كي أُخرجَ الكيسَ من سلّة الدَّرَاجَة، تزجر إشارةٌ ما عبر الهواء. صوتُ رنينٍ حادّ.

مضطرباً أنظر حولي. الرؤية ضبابيّة فأجد صعوبةً في النظر ولكنني أستوعب بعد قليل أنني مُستلقٍ على أريكة المطبخ.

رنينٌ آخر، إشارة صارخة بصوت عالٍ. أتلَمّس بيدي فوق طاولة المطبخ لأمسك أخيراً بالهاتف النقال. مكتوب هانس بحروف كبيرة على الشاشة. أضغط على السّماء الخضراء.

«مرحباً، هنا بو أندشون»، أقول وأحاول ابتلاع البلغم الذي في بلعومي. يتزايد دائماً عندما أنام.

«مرحباً بابا؛ أكنتِ نائماً؟»

أجهد نفسي لأجلس وأسعل وأبصق في الكوب الموضوع على الطاولة. هانس صامتٌ على الطرف الآخر من الخط.

«ربّما كنتُ»، أجيبُ وصورتكِ وأنتِ في أواخر حملكِ ما زالت طازجة في الذاكرة.

«أتدري؟ الدنيا مقلوبة قليلاً هنا لذلك لن أتمكّن من زيارتك الليلة».

رغم أنه مشغولٌ جداً في شركته فإنه يأتي إلى هنا عدة مرات في الأسبوع. يريد الاطمئنان إلى أن كل شيء على ما يرام بخصوص خدمة الرعاية المنزلية، وأن هناك طعاماً في الثلاجة وأن حاوية القمامة قد أُخْرِجَتْ إلى قارعة الطريق. أحياناً يُخْرِجُها مع أنها لم تمتلئ سوى إلى النصف. أرى ذلك غير ضروريّ، فكل تفريغٍ يكلف خمساً وسبعين كرونةً، ولكنّ هانس يقول أن الأمر سيّان.

«ظننت أن بإمكانني أن أنتهي من العمل مبكراً اليوم. لكنّ الناس في إجازة الآن، لذلك زاد ما يُلقى على عاتقي»، يواصل قبل أن أتمكّن من قول أي شيء. يبدو متوتراً. لا أعرف ما أقول حين يكون في هذه الحال. هذا التوتر، هذا الإنهاك أو أيّاً ما كانوا يسمّونه، لا أستطيع فهمه. لقد استنفد هانس ما كان لديه من قوة، مثلما قُلْتُ، منذ عدة سنوات. عندما كان قابلاً في شقّته التي أسدل ستائر نوافذها لعدّة أسابيع. أخذت المفتاح الإضافي وذهبت إليه ودخلت وطبخت ونظّفت. كنتُ أحياناً أرافقك وأحاول الحديث معه ولكنني لم أحصل منه على كلمة حتى. لم أعرف كيف أتصرّف معه.

لماذا لا يعمل أقل فقط؟ إن كان الأمر مُؤثراً. فكثيرون في الشركة، كما يقول، يبلغون مرحلة الإنهاك التّام هذه لسبب أو لآخر. طوال سبع وأربعين سنة قضيتها عاملاً في مصنع النجارة لم يصل أحد إلى درجة الإنهاك التّام هذه وكان عملنا شاقاً فعلاً، لذلك فأنا لا أفهم ما يفعلون من أخطاء في هذا الزمن. أريد أن أسأله: لماذا لا تعيدون ترتيب الجداول؟ لكنه كان سينزعج، لذا أصمت ولا أسأل شيئاً عن ذلك.

«إذن تعال في يوم آخر»، أقول وأمسح وجهي بيدي.

«هو كذلك»، يجيب. «يجب أن نتكلم عن سيكستن أيضاً».

لا أستطيع أن أجيبه. يدي على ظهر سيكستن، تتحرك إلى أعلاه وإلى أسفله، بينما هو مطمئنٌ في نومه.

«حسناً، اتفقنا إذن»، يقول هانس أخيراً.

«نعم، اتفقنا».

«مع السلامة».

«مع السلامة» أقول وأسمع الـ«كليك» عندما يغلق الخط.

ألقي الهاتف على طاولة المطبخ. كم أنا غاضبٌ بسبب ما ينوي فعله مع سيكستن، ما يريد أن يعرّضنا له، ولكن إلى جانب الغيظ فإن شعوراً بأنني قمت بفعل خطأ مُعيّن لا يفارقني. رغم كل شيء أتمنى لو كنت استطعت أن أقول شيئاً يجعل الأمور أفضل لهانس. شيئاً يجعله يدرك أن بإمكانه أن يكفّ عن التوتّر. ربما سترك التفكير بسيكستن إذا ما صارت الأمور أهدأ. ولكنني لا أعرف ماذا أفعل حيال اضطرابه الدائم.

«ليس من عادتك أن تكتنم الكثير»، قال تورة في آخر اتصالٍ هاتفيٍّ بيننا فسألته إن كان يعتقد أن لي يداً في مسألة التوتّر هذه. إن كان ذلك خطأي. قالوا في الراديو أن بإمكان الطفولة على ما يبدو أن تترك آثاراً عنيفةً في الإنسان.

«هكذا هو العقل، كما تعلم، فهو يصاب بالهوسِ تجاه الأشياء، فيجهد نفسه ولا يستطيع الاسترخاء».

أومأتُ موافقاً. لا بُدَّ من أن تورة كان يعرف الكثير عن ذلك. فقد عمل في أشغالٍ يبدو أن الأمر واردٌ فيها.

«ولكنّه ليس خطأك، فلا تُطلِ التفكيرَ في ذلك»، قال تورة وتمطّق وهو يأخذ رشفةً من القهوة.

واستني كلماتُ تورة الدافئة، فقد كان هناك شيءٌ ما يتعلّق بالطريقة التي قالها بها. حتّى جعلني متأكداً من أن الأمر كان كما قال.

«أنت عكس ذلك»، صرّح تورة. «هذا النوع من التوتّر لا ينشُب أنيابه في من هم مثلك».

لم أسأل أكثر عندها، وبدأنا نتحدث عن شيءٍ آخر، ولكنني الآن أتساءل عما كان يقصد. في من هم مثلي، وكيف يكون أمثالي؟

من طبيعة تورة أن يقول أشياء كهذه؛ تحليلات للناس أو أيّاً كان ما يُسمّونها. الخيال الذي عنده يمكن أن يشطح في كل الاتجاهات. يخلق الأمور دون أن يعرف حقّاً كيف تسير.

لكنّ ذلك لا يُزعجني. على العكس فقد كان ذلك غالباً هو ما جعلنا نصبح صديقين.

كان قد مضى على عملي في المصنع بهيسموفوش تسعة أعوام حين حصل تورة على وظيفة فيه. حصل على إحدى وظائف المهندسين الجديدة. وقد لاحظنا بعد فترة قصيرة أنه لم يكن مثل بقية الذين يعملون في الطابق العلوي. فمع الغداء الأول مباشرة هبط ليتناول الطعام معنا، نازلاً على السلم اللولبي بخطى راقصة.

«مرحباً، اسمي تورة، بدأت اليوم»، قال ورفع يده وترك نظرتة تجوب المكان.

بدا الفضول على اثنين من عمالنا المسنين كانا يجلسان على مسافة منه، لكنهما لم يقولوا شيئاً. بينما بدا تورة غير مبالي، وإنما جلس عند الطاولة وواصل الثثرة.

لم أر قبل ذلك رجلاً كثير الكلام إلى ذلك الحد. كنت قد سمعت أنه من هذه الأرجاء لكن لهجته أوحى حتماً بأن أصله من الجنوب. كان هناك شيء مبهج يلف طريقته في الكلام بأكملها، وكان له أن يتحدى فيها.

«لا يمكن أن يكون أمراً طبيعياً لنا معشر البشر أن نعيش في مناخ بارد إلى هذا الحد. فأجسادنا تكاد تكون ملساء بلا شعر»، قال تورة كمن لم يوجه الحديث لأحد أصلاً، وهز رأسه وهو يقضم قضمة معتبرة من شطيرته.

لم أتمالك نفسي وانفجرت ضاحكاً. بدا الرجل الجالس قبالة تورة في أشد الحيرة مما جعل الموقف بأكمله كوميدياً.

حتى تورة رأسه ووجه نظرتة عبر الطاولة نحوي.

«ومن يكون هذا السعيد هناك؟»، قال بصوتٍ أعلى كي يغلب القهقهة.

لم أقدرُ على كتم الضحكة. تساءلت مع نفسي «أي تهريج بحقّ الجحيم!». أو كسون، قُبالتِي، لم يستطع هو الآخر إلا أن يشخر ضحكاً. ابتسم تورة. بعد لحظاتٍ أفلحتُ في تمالكِ نفسي ورفعتُ يدي. «أهلاً بك، تورة. اسمي بو».

أوماً دون أن يقول شيئاً. ضحك أو كسون ثانيةً وأمسك بعد ذلك بعلبتيّ اليونيكاً^(١) ليرى ما جلبت من طعامٍ للغداء. مددت يدي عبر الطاولة لأرى بدوري ما أعدت زوجته له. كان غالباً ما يتدمر من طعامها لكنه بدا لي طيباً. فاصوليا ولحم الخنزير. عندما التفتُ إلى الجهة الأخرى، ناحية تورة ثانيةً، كان يجلس مستمعاً باهتمام إلى حديث جليسه الأقرب.

عند نهاية يوم العمل، عندما توجهتُ بذراعتين متعبتين إلى درّاجتي، وضع أحدهم يده على كتفي. «بو، أليس كذلك؟»

التفتُ لأجد تورة واقفاً يتسم لي. كانت عنايته بأسنانه واضحةً وشاربه مشذباً إلى حدّ أن المرء يكاد لا يلاحظه. خطٌّ رفيع مثل الممثلين الأمريكان.

(١) علبة اليونيكاً (بالسويدية: Unikabox وبالانجليزية: Unica-box): علب حفظ طعام شهيرة، تشبه حقائب السفر الكلاسيكية، وتُصنع مثلها من الفايبر البركاني المَقْوَى (أو الفايبر الأحمر بتسمية أخرى).

«نعم»، قلتُ وأومأتُ ببطءٍ، لم أعرف ما يُفترَضُ أن أقول أكثر.

«أَتَعْلَمُ؟» لم آتِ إلى هنا منذ فترةٍ طويلة. نشأتُ في هيسموفوش ولكنني عشتُ في يُوتيبُورِي^(١) ورحلت ومضيت بعيداً، قال وهو يُزَرُّ الرَّرَّ العُلُويَّ لمعطفه. «وها أنا الآن أبحث عن رفاق. أتريد أن تأتي لزيارتي في المدينة؟»

دِهَشْتُ إلى حد أنني لم أفعل شيئاً غير التحديق فيه. فلم يسبق لي أبداً أن دُعيتُ إلى بيت أحدٍ غيرك.

«أها...»، طَلَعْتُ مني بعد لحظات.

مكتبة

t.me/soramnqraa

«أنقول مساء الأحد؟»

«أوكي» هَمَهَمْتُ.

اختفى تورة بالسرعة نفسها التي جاء بها.

سمعت محرّكاً يُشغَلُ على مسافةٍ مني. في الجهة المقابلة من الساحة المُعبَّدة بالبحص كان تورة يقود قولفو أمازون جديدةً مغادراً. تبعْتُ السيارة بنظري وهي تمضي عبر الطريق المُعبَّدة بالبحص بسرعةٍ كبيرة، وسحابة دخانٍ تتبعها. ما الذي ورَّطْتُ نفسي فيه الآن بحقّ الجحيم؟

يوم الأحد حدَّقْتُ داخلَ الخِزانة الفارغة. تذكرت المعطف الذي كان تورة يرتديه. لا بدَّ أن كُلفَتْه أكثر مما كنت لأجرؤ على دفعه مقابل

(١) يوتيبوري (Göteborg): ثاني كبريات المدن السويدية بعد العاصمة ستوكهولم. تعتبر منذ تأسيسها بداية القرن السابع عشر من المراكز التجارية المهمة في أوروبا عموماً، وفيها أهم موانئ السويد. من تسمياتها: «لندن الصغرى» و«واجهة السويد». وربما يعرفها القارئ العربي بسم «غوتنبرغ»، وهو تعريب التسمية الانجليزية للمدينة.

قطعة ملابسٍ بالمُطلق. في النهاية اخترت القميص الذي كنت أعرف أنَّ أمِّي كانت ستشير إليه.

كان تورة قد طلب مني الصعود إلى الطابق الأعلى. لم أكُذُ أطرق الباب الموسوم باللافتة اللامعة المكتوب عليها تورة ليند مان حتى فُتح.

«بو؛ أهلاً أهلاً!»

وقف تورة في المدخل بابتسامة عريضة وهو يمدّ يده مُرحّباً إلى داخل الشقة الكبيرة. كان أول ما خطر لي أنَّه نظيفٌ للغاية. كان شعره الدّاكن لامعاً. خلعت القبعة وخطوت عابراً العتبة.

تبع تورة وهو يُريني الشقة التي كانت أكبر من بيت العجوز. ثلاثة مواقد وحمّام وطبخٌ كهربائي. أراحني أنّه تكلم كثيراً لأنني واجهت صعوبةً في إيجاد مواضيع للحديث.

«يكفي، تعال لنجلس في الصالون»، قال تورة وأشار بيده إلى حيث يتعين عليّ أن أذهب. «لقد اشتريت مازارين من ويدماركس. أدخل واجلس وسأعود حالاً».

دخل تورة حاملاً صينيةً وصبّ القهوة في أكواب من الخزف الأبيض.

«هل رأيت الوحش؟»

«الوحش؟» سألتُ غير متأكّد، ربّما كان هذا الرجل مجنوناً حقّاً.

«بلى، وحش ستورشون؟» قال تورة وهو يتناول لقمةً من المازارين.

«إنّه يذهلني بشدّة نوعاً ما. لطالما فعل. منذ أن رأيته في صباي عندما أبحرنا بالقارب البخاري في منتصف صيفٍ بعيد.

دفع تورة المازارين في الصّحن مُقَرَّباً إياها من كوب قهوتي.

«لا تَكُنْ خجولاً، إنّها رائعة».

«شكراً، شكراً»، قلتُ والتقطتُ الكعكة. «لم أفكر في الواقع كثيراً

بالوحش».

تناولتُ لقمةً من المازارين، التي كانت لذيذةً إلى حدٍّ أدهشني.

«لا أستطيع أن أفهم كيف كانوا يفكرون عندما حاولوا اصطياده»،

قال تورة وقد بدا بصدقٍ غيرٍ مستوعبٍ ومنزعجاً قليلاً. «لماذا يريد المرء

السوء بهذا الوحش؟ فهو لم يُرَدِّ بنا شراً في يومٍ ما، أليس كذلك؟»

استمرّ يحكي عن مرّاتٍ مختلفةٍ اعتقدَ فيها أنّه رأى الوحش وانتبهتُ

إلى نفسي وأنا أفكرُ بأن ذلك يشبه قليلاً تلك المرّات التي كانت فيها أمي

تحكي لي في صغري حكاياتٍ عن عفاريث الغابة. شعرت بشعورٍ طيبٍ

في بطني ونسيت لَوْهلةٍ تماماً أين كنت.

لا أحد من زملائي في المصنع يشبه تورة. كان هناك أمرٌ ما

بخصوص أسلوبه جعلني أنسى تماماً الشدَّ والتَّكَلُّفَ. تماماً مثلما لم أكن

في حاجةٍ للتَّنَكُّرِ، منذ الوهلة الأولى، وأنا معكِ.

يَهْرُ سيكستن. نخوض يدي داخل أحلامِهِ وتمسّد رأسه ذا البُقَعِ

الرمادية. يستيقظُ ويتمطّى. يتشاءب ملء شذقيه ويفتح عينيه لتلاقيا نظرتي.

لا أعرف متى خرجنا آخر مرةٍ ولكنني ألاحظ عليه أنه يريد التبول.

خرجتُ متعثراً إلى الرّدهة وسيكستن في عقبي. ألبسُهُ طوقه وأعدّل

وضع اللوحة المعدنية التي تحمل اسمه ووسائل الاتصال، والتي حجزتها

أنتِ وهانس من الانترنت عندما كان جرواً.

«في حال خرج وجرى نحو الغابة»، قلت ووافقتك.

أفتح الباب كي يستطيع الخروج وكالمعتاد ينتظر خروجي أنا أيضاً قبل أن يجري. سيكستن لا يبول ولا يتغوط إذا لم أرافقه إلى الغابة. عندما أُدْخِلُ قَدَمَيَّ في فردتي الجزمة أشعر بأن هناك أمراً اليوم. أدخل إلى المطبخ ثانية وأنظر في التقويم. آه بلى، سيأتي هانس بعد انتهائه من عمله. وغداً سأتصل بتورة.

الساعة التاسعة وخمس وثلاثون دقيقة مساءً

شوكلاتة ساخنة وشطيرة لبو الرّاقد في فراشه حالياً. نوماً هائئاً.

/ يوهانّا

الاثنين ٢٢ مايو

الساعة التاسعة صباحاً

عند وصولي كان بو قد غفا في كرسيه الوثير بعد نهوضه من فراشه. يريد سلموناً مرقطاً على الفطور. أُعِدُّ علبةً من كرات السمك. أعطيه الدواء وقطرة العين. أذكره بأن هانس سوف يأتي لزيارته لاحقاً.

/ إنجريد

يزحف البلغم صاعداً في بلعومي. لا أستطيع إيجاد شيء على طاولة المطبخ لأبصق فيه، فأنهض كي أذهب إلى الحمام.

يفغر مقعد التواليت فمه بكل فراغه قباليتي عندما أنحني للأمام وأشدّ نفسي بكل ما لديّ من قوة. تهبط الكتلة الصفراء في الماء مكوّنة موجاتٍ صغيرة. لطخات الدهان في مقعد التواليت جعلته يبدو قذراً. لقد حاولت مراراً، ولكنني لم أتمكّن من إزالتها. عدا ذلك فحافته الخزفية تلمع لأن يوم التنظيف كان بالأمس. بعد أن انتقلت إلى برونكولا لجوردن ساءت الحال شيئاً فشيئاً. ولكن منذ بدأ موظفو الرعاية المنزلية بالمجيء تغير ذلك. لقد قلتُ لهم أنّ ذلك غير ضروري، أنّني أرى أنّ البيت أنظف مما يجب. ولكنهم يقولون أنّ ذلك هو المعيار المطلوب.

في طريق العودة إلى أريكة المطبخ أتوقف عند حائط الصُور الذي شكّلته، على الجدار الخارجي لغرفة هانس القديمة، حيث نمت أنا كذلك في طفولتي. أقلع إحدى صور هانس حين كان في العاشرة من عمره. يرفع بفخر سمكة فرّخ كبيرة، كنا قد قضينا ساعاتٍ في البحيرة.

كان سعيداً لعدة أيام وشعرت بأنني أفضل أبٍ يمكن للمرء أن يحصل عليه. في الأسبوع نفسه كان لديه تقديمٌ عن مادة الصيد في المدرسة وتفاخري. بِكُمْ براعة أبيه في الصيد.

بدأت العملَ على تدخين السمكة فور عودتنا إلى البيت. وجلستُ أستمع لهانس وهو يحكي لكِ عما اعتقدَ من ضخامة السمكة عندما سحب الصنارة. وكيف أنها كانت أكبر مما اعتقده.

أذهلتني قوة مشاعري لحظتها، أتذكر ذلك وأنا أمسّد الصورة بإصبعي؛ أنني تعجبتُ لأنّ رحلةَ صيدٍ وعشاءٍ بسيطاً من السمك يمكن أن يسبباً كل ذلك السرور.

أخذ الصورة معي إلى المطبخ، سأريها لهانس. أسأله إن كان يتذكر. عندما أضع الصورة على طاولة المطبخ يقفز سيكستن نازلاً من الأريكة ويتوجّه نحوي. يضغط على ساقي برأسه. أنظر إليه، أتردّد لحظةً ثمّ أخذ الصورة المؤطرة وأذهب لأعلقها ثانيةً على مسأرها.

الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق ظهراً

بو نائمٌ على الأريكة عند وصولي. أُسَخِّنُ الفطائرَ المعمولة بالمرتبى والكريما وأوقِظُهُ. يتذمّر قليلاً ومن الصعب سماع ما يقول. أخبره أن الطعام جاهز وأقدّم له الفطائر. يريد مني أن أشعل النار في الموقد، ولكنني لا أجروُ بسبب خطر التسبب في حريق.

/ ماري

أستيقظ بسبب الصمت. تجول نظرتي في المكان، تعلق عند النور
الداخل عبر نافذة المطبخ. خمدت النار وتوقفت الساعة. أفلح في
النهوض إلى وضع الجلوس على أريكة المطبخ وأعيد تشغيل ساعة
الحائط. هنالك ما يبعث على الشعور بالأمان في أن أمي ووالديها من
قبلها كانوا يأخذون قيلولة العصاري على التكتكة نفسها.

كنت ترين أنها قبيحة، مُبهرجة وفظيعة. لكنك سمحت لي
بالاحتفاظ بها، مثلما سمحت لك بالاحتفاظ ببسطك.

يبدو أنني قوتُ الغداء بالنوم. بردت الفطائر في الصحن أمامي.
أفتح سجلّ الموظفين لأرى من سخّن الطعام. ماري، من البدلاء الخفر.
هذا هو سبب نسياني أنها هي من فعلت ذلك، الوجوه الجديدة نادراً ما
تعلق. أقضم قطعة لكنني سرعان ما أبصقها. أشعر بأن الفطيرة لزجة في
فمي، مثل بقايا دودة.

تحولت نار الموقد إلى جمر، نسييت الخافرة أن تزيد الحطب قبل
مغادرتها. أنهض لأحاول تأجيحها ثانية. رأسي يدور فأتوقّف ساكناً

للحظات. أحرص على البقاء عند حافة الطاولة وأنظر إلى سيكستن الذي يرفع رأسه. يبدو كمن يفكر بشيء ما.

أذهب إلى الموقد فأدرك أن الحطب قد نفذ. أَلْتَفْتُ إلى سيكستن ثانية. أفكر فيما إذا كان عليّ تسخين الفطائر الباردة ولكنني أقرر الخروج لجلب الحطب بدلاً من ذلك.

أقف في شرفة المدخل وأستنشق هواء مايو العذب. لم يختفِ آخرُ الثلج إلّا قبل أيام قليلة فقط. ربما كان آخر ثلجٍ في حياتي. ربما لن أشعر بدرجات البرودة السّالبة ثانية.

المِشاة^(١) مصفوفةٌ خارج باب البيت. أفاضِلُ لثانية بين تركها وأخذها إلى كوخ الحطب، لكنّ دحرجتها في الأمتار الأخيرة متعبة للغاية؛ الأسهل أن أتوكأ على الحائط.

حظيرة الكلاب مكسوّة بالدغل، مضى زمنٌ طويلٌ منذ آخر مرة كان لديّ كلبٌ هناك. ترقد طبقةٌ رقيقةٌ من الدّفل الذابلة على البَحْص حيث كانت الكلاب تلهو وقريباً ستنمو أزهارٌ أرجوانيةٌ جديدةٌ هناك. وعلى الجانب المقابل تنمو أشجار قليلةٌ متناثرةٌ تستطيع الكلاب عبورها التطلّع إلى الأرض المقطوعة الأشجار.

أسمع حفيفاً في أحد تيجان الأشجار. تنتصب أذنا سيكستن ويعُدّو سنجابٌ نازلاً عن جذع شجرة صنوبر على مسافة منّا. يعدو سيكستن

(١) المِشاة (بالسويدية: Rullator، وبالإنجليزية: Walker): عكّاز ومقعد معاً، رباعيّة الأرجل ومزوّدة بأربع عجلات، غالباً. يستعين بها كبار السن على المشي. كذلك تدعى بـ «المشاية» في بعض اللهجات العربية الدارجة.

وراءه ولكنه لا يلحق بالسّنجاب الذي ركض متسلّقاً شجرة الصنوبر
التالية.

لم أقلق يوماً بشأن إيداء سيكستن لأيّ كائن برّي. إنّهُ أبطأ من
أن يفعل ذلك ولا يستطيع اللحاق بحيوان أبداً. لكنّ هذا لا يزعجه،
فالمطاردة في حدّ ذاتها هي ما يجب.

لم يضطر سيكستن أبداً إلى البقاء في حظيرة الكلاب، ولم يُترك أبداً
وحيداً لفتراتٍ طويلةٍ لأنني تواجدت في المنزل دائماً منذ حصلنا عليه.
خلافاً لأكثر الذين يعيشون حولنا فإنني أدع كلابي اليَمَتِيَّةَ تعيش داخل
المنزل. لم أترك أحدها في الحظيرة سوى عندما كنت أذهب للعمل. فلا
خير لأحدٍ في وقوفها هناك ونباحها كمن فقد صوابه.

أسيرُ نازلاً قليلاً على المنحدر وألقي نظرةً إلى حيث تقع مزرعة
الخضروات قبالة الدار. تُلامس الشمس الجزء الأكبر من المزارعات
أثناء أيام الصيف، فقد كان الموقع محسوباً بِدِقَّةٍ والفضل لأمي. كم
شعرت بالحماس عندما أريتكِ مزرعتها وكم سعدتُ بذلك. أملتُ
بسبب ذلك أنّ الوقتَ لن يطول بك حتى تحبي المكان. مثلها تماماً،
داورتِ في زراعة المحاصيل طبقاً لجدول مدته أربع سنوات. كان
دور الملفوف بعد الفاصوليا التي تحلّ محلّ البطاطا التي تحلّ محلّ
البنجر.

تهبّ الريح فأسدّ سحّاب الكتزة الصوف.

«من حسن حظنا أن الغابة قريبةٌ منا هنا»، كنتِ تقولين دوماً كلّما
دمدمت الريح.

بخلاف الجزء السفلي من القرية المحاط بحقول مفتوحة ومروج
فإن أشجار التّوب والصنوبر تقف سوراً حامياً خلف البيوت عندنا.
أحكّ لحيتي وأهزّ رأسي. يتشّمّم سيكستن في حافة المزرعة. لا
يمكن تمييز أي أثر حتّى لكل ذلك الجهد الذي بذلته هنا. فقد غزّت
المكان نباتات غريبة واستولت عليه. لم يبقَ منه سوى بعض الارتفاعات
الصغيرة.

في شهر مايو كنت تشرعين في زراعة شتلات الملفوف التي سبق
لكِ إنباتها والعناية بها لأسابيع. كنت تسمّيها «الصغار» وتقولين ذلك
بطريقة جعلتني أدركُ أنّها حتماً غالية إلى حدّ استثنائي، وليست مثل
البنجر الذي كنتِ تزرعينه مباشرة في أرض المزرعة.
يضيق صدري وأغمض لوهلة.

«لن تتحسن حالتها»، قال هانس منزعجاً عندما وجدني في
المزرعة في وقت متأخر ذات ليلة من أول صيفٍ عقب انتقالك إلى
برونكو لا جوردن.

منحنياً فوق المصاطب مزعتُ بسرعة أوراق الهندباء كيفما اتفق.
«إلى الجحيم»، زجرتُ ورميت القفّازين إلى الربوة رغم أنني كنت
أعرف أنّه كان على حق.

كما كنت أعرف أنّه قد آله تدهورُ حالتكِ إلى هذا الحدّ، فقد كنتما
قريبين من بعضكما البعض، أنتِ وهو، ومع ذلك فلم أقوَ على قول ذلك
له. أنني كنت أفهم أنّه كان حزيناً بدوره.

أواصل نزول المنحدر لألح منزل الجيران. لم أرَ أحداً منهما منذ

انفصالهما. وبالرغم من أنها لم تكذ تنمو بعد، فإن لشجيرات الكشمش الأسود لديها خيلاء أكثر بكثير مما لدى شجيراتنا المثقلة المتدلية على الربوة.

حين أصل إلى المنشار والإسفين الكهربائيين أشدّ المشمّع السميك، الذي يغطي الماكنتين، إلى الأسفل، فالريح ترفعه من وقتٍ لآخر. قبع الماكنتان بلا استخدام لسنين عديدة. أربط الحبل الذي يبقي المشمّع في مكانه. من المؤسف أن تنتصب مكائن بهذه الجودة دون استعمال. منعني هانس من استخدامها. يقول أن ذلك شديد الخطورة. عوضاً عن ذلك فهو يشتري لي كمّيات كبيرة من الجذوع تامّة التقطيع والجاهزة للاستخدام.

«هذا كل ما في الأمر»، قال كما لو أنني لم أعمل مع مكائن كهذه نصف قرنٍ من الزمن.

أعرف أنه يرى أن المنشار الكهربائي عسير الاستخدام، أن شفرته مصدر رعب. كان إلى بلوغه سن المراهقة يساعد في شطر الخشب بالإسفين وتكديسه ولكّنه لم يرغب أبداً في لمس المنشار وقد طلبت مني أن لا أحثّه على فعل ذلك حتى.

أستدير وأبدأ في السير نحو كوخ الحطب. أتحاشى بقع الثلج المتبقية. كانت عجوز المزرعة الواقعة بعد الربوة تأتي طوال الشتاء مع مجرفة الثلج لتنظف المنحدر بعد كل تساقط للثلوج. يرفض هانس أن يقول كم، ولكنني واثق من أنه يدفع لها مقابل ذلك. يعلم تماماً أنني أراها جشعة، تريد الحصول على أجر مقابل هذا أو ذاك. بينما أنت،

واللعنة عليّ إن كنت أكذب، كنتِ تزورينها وتساعدينها في العناية بأمّها كل أسبوع. ولم تطلبي أجراً منها مقابل ذلك.

أمرُ بالمنعرج أسفل المنحدر حيث كان من عادتي الركض مع بُسْتَرٍ كلّما غضب العجوز. كحادثة الفأر مثلاً. لا أظنني كنت تجاوزت الثامنة، أو العاشرة ربما. كانت أغلب مصائد الفئران لدينا تقتل الفأر مباشرة. مصائد تقليدية تقصم ظهر الفأر. ولكن بعضها كان من النوع الذي يُبَتُّ المرء فيه طُعماً في قفصٍ صغير. حين يدخل الفأر ويقضم الطُعْمَ ينسدّ الباب فيعلّق الفأر.

«حسناً، هيّا»، قال العجوز ووضع المجرفة في يدي. دفعني دفعاً وهو يريد مني أن أنهى حياة ذلك المسكين.

ولكنّ الفأر وهو يجري دائراً في القفص جعل الأمر مستحيلاً. كان هناك شيءٌ، بخصوص تلك الأقدام الصغيرة، جعل جسدي يرفض. رميت المجرفة على كومة التراب وفتحت باب المصيدة بدلاً من ذلك. تركت الفأر يجري. كنت قد فعلتها سابقاً وقد كان شعوري طيباً بسبب ذلك في المرّتين. انطلقت تلك الأرجل الصغيرة مبتعدة بكل ما في العالم من سرعة نحو المنحدر فالغابة. تخيلت أنّ للفأر عائلةً في انتظاره، أو ربما بعض الصّحب.

ومن حيث لا أدري، فاجأتني لطمة اسودّت الدنيا في عيني بعدها. «ما الذي تفعله بحق الجحيم؟» قال أبي وشدّد إطباق قبضته على ياقة كنزقي.

رمشت كي أستعيد بصري.

«آسف!»، قلت متلعثماً.

أفلت أبي قبضته ودفعني في الوقت نفسه بعيداً. فقدت توازني ووقعت على مؤخرتي. ألمني خدّي وازدحمت الدموع لكنني كَبْتُهَا بِكُلِّ قُوّتي. فكلّما كنت أترك دموعي تجري، كانت عيناه تَتَقَدَّان.

التَقَطْتُ قفص الفئران الفارغ.

«ما الجدوى في أن أصطادها إذا كنت تطلق سراحها؟» صرخ حتى تطاير لُعبُهُ.

على عادتي ركضت، رغم أنّه لم يلاحقني. كنت أفعل ذلك كلما فار غضباً. منحني السّوادُ الذي في نظرته طاقةً لأركض سريعاً وطويلاً. أخذت بُسْتَرٌ وركضت نزولاً على المنحدر، ثم عبَرَ المَرَجَ ولم أَتَوَقَّفْ حتى وصلت إلى الطريق القديمة إلى فُرُوكُنْج. هناك خففت سرعتي وبدأت أقفز بين خصل العشب التي تتوسط بَحْصَ الطريق، متظاهراً بأنّ البَحْصَ كان ماءً.

أهزّ رأسي وأدخل إلى كوخ الحطب. أُعْبِئُ كَيْسَ الكُوبِ^(١) الورقي تعبئةً خفيفة، ما لا يزيد عن عشرِ قِطْعٍ من الحطب. أحرص على اختيار مواطئِ قَدَمَيَّ عندما أستدير لأخرج عائداً إلى المنزل. تذكرين كُنُوت الذي يعيش فوق حانوت في بولفيكن؟ لقد وقع وانكسر حوضه، مثل دجاجة. لم تكن سقطةً حتّى، ومع ذلك فقد تهشّم الهيكل بأكمله ولا يزال يجد صعوبةً في السير حتى الآن حسبما تقول إنجريد.

(١) كوب (Coop): سلسلة أسواق تعاونية كبيرة في السويد.

«لا يا بابا!»

أدير وجهي. يأتي هانس ماشياً من ناحية المنزل ويجري سيكستن نحوه مُرحّباً. يطوي أذنيه إلى الخلف ويهزّ ذيله بشدّة عندما يُقرفص هانس أمامه.

لو أنّك فقط تدري ما الذي ينوي أن يفعل بك، يا سيكستن، أقول مع نفسي.

ينظر هانس إليّ، يشبه وجهه وجهك إلى حدّ أنني كدتُ أجفل. ينتشر في نفسي شعورٌ بعدم الارتياح. لن تحيئي أبداً سائرةً نحوي هنا ثانيةً.

سيارة هانس الكهربائية الجديدة هادئةٌ إلى حدّ أنني لم أنتبه إليها وهي تنعطف على المنحدر. وهي نظيفةٌ كذلك. كيف أمكننا أن نحصل على ابنٍ يذهب بسيارته إلى محطات الغسيل الأتوماتيكي؟ يحكّ ظهرَ أذن سيكستن وينهض ويتقدم نحوي.

«لقد سبق وقلتُ أنّك لن تذهب لِحلبِ الحطب بنفسك. أنا من يفعل هذا»، يقول وهو يكاد يتنزّع الكيس من يدي انتزاعاً.

«بلى، ولكنه نفد»، أقول باختصارٍ وأومئ نحو الحطب.

يحشرج البلغم في جوفي فأبصق بصقةً كبيرة. يُخَيِّلُ لي أنني أرى عيني هانس تتسعان دهشةً، لكنني لست واثقاً.

«ما الذي سيحدث إذا تعرّثَ هنا وكسرتَ ساقك؟ ستظل ممدداً هنا لساعتين دُونَ مساعدة».

«بلى، ما الذي سيحدث حينئذٍ؟» أكرّر بضيق وألهو بالفكرة لوهلة.

أتساءل مع نفسي كم سيطول توجّعي. ربّما يفقد المرء وعيَهُ بسرعة مع ألمٍ من هذا النوع في مثل سنّي.

«كم أنت صبيانيّ، يا بابا، تعرف تماماً أنّك تُقلِّق الآخرين بهذا. لماذا يجب أن تكون بكل هذا العناد؟»

وكانه لا يعرف العناد. لكنني لا أطيق الاعتراض. لا جدوى من ذلك وهو في هذا المزاج. يجب الانتظار حتى تبتعدَ زوبعةُ هذه الحالة. «على رِسْلِكَ»، يقول هانس.

أهز رأسي، وأكاد أنفجر ضاحكاً. من الذي يجب أن يكون على رِسْلِهِ؟

نقف صامتَيْنِ لوهلة، وكلُّ منا ينظر في جهة. لو كنتِ هنا لتكلّمتِ. وملأتِ الفراغَ الذي ينمو مُفَرَّقاً بيني وبينه.

يمضي هانس نحو كوخ الحطب ويُعبئ الكيسَ إلى حافته. لقد صار أكثر بدانةً في السنين الأخيرة. ربّما يجب أن أسأله عن التمرين وكيف تجري أموره. كان يمارس الجودو. بإمكانني أن أقول شيئاً يُبدي اللُطفَ في السؤال كما كنتِ تفعلين.

«سأدخل بهذا»، يقول وهو يرفع الكيس.

يُحَيِّلُ لي أنني أرى شيئاً من الندم في نظره قبل أن يلتفت. «انتظرِ هنا حتى أساعدك في الدخول حالاً».

رغم أنّ بإمكانني، ودون مشاكلٍ، سيرَ هذه الأمتار العشرة بنفسني فإنني أظل واقفاً مثل طفلٍ مطيع. أتبع بنظري لوحَ ظهره، حتى ظهره سمين.

أمامي كوماتٌ من البَحْص؛ بقايا من الشتاء. كان هانس قد أصرَّ على
ترميل الأرض أكثر من اللازم. أرفع قدمي كي أركل إحدى الكومات،
أريد أن يعرف أنني غاضب، لكنني أترنَّح، لذلك أنزلُ قدمي ثانيةً.
كنتِ هادئةً دائماً. بغض النظر عن مدى فقدانه لأعصابه.

«الغيظ لا يُحسِّنُ الأخلاق»، قلتُ لي حينَ ارتأيتُ أنه يحتاج إلى
أن تُظهري مزيداً من السُّلطةِ عليه، وأنَّ المفترَض بكِ كان أن تزاري
حين كان يصفق الباب بشدَّةٍ في صغره. كان عقلي يطير عندما لا يحترمنا
ويتصرف كما لو أنه يزدرى تماماً كلَّ ما كنا نفعله من أجله.

«الأخلاق»، غمغمتُ وتذكَّرتُ كيف كان العجوز يصرخ بي ثم
أردتُ أن أنوّه إلى أن ذلك لم يُسبِّب لي أيَّ أذى.

لكنني الآن، بينما ابننا يسيرُ نحوي، أدركُ أنَّكِ رُبَّما كنتِ على حق.
لم يكن صراخه موجَّهاً نحوك طوال تلك السنين، بل نحوي أنا. ولكنني
لا أستطيع كبح جماحه، ذلك الغيظ. إنَّه يغمرنى مثل موجةٍ هائلة.

حين يحمد الغيظ أندم على رغبتِي السابقة في ركل البَحْص وإحداث
ضجة. لقد قررت أن لا أغضب، أن أكون متصالحاً أكثر.

«سأذهب إلى أمي يوم السبت القادم. أتودُّ أن تأتي معي؟» يقول
ويرمقني بتلك النظرة التي وجَّهها لنا عندما اكتشفنا أنه سرق قطعة
سينيكرز من الحانوت.

لا أرُدِّ، لأنني لا أريد شيئاً من هذا. لا أفهم لماذا يُصرُّ على زيارتك.
لستِ أنتِ هناك، بل قشرةٌ منك. معتوهةٌ ترتدي جسدك.

يشبك ذراعهُ بذراعي ونبدأ السير نحو الباب. تُذهِلُنِي ضخامتهُ

وأشعرُ بَعْدَ استيعابِ كيف أنه صار أطول وأعرض مني. كان وزنه ٢٧٢٤ غراماً فقط عند ولادته. الآن هو كبيرٌ بما يكفي لِرَفْعِي.

«التقيتُ بهاريتا في الطريق إلى هنا، كانت تقود الجرّار. تُبْلِغُكَ التّحية».

أومئ وأتخيل ماريتا على ذلك الجرّار العتيق، الأحمر. الدفء المنبعث من جسم هانس يهدّني. ما زلت غاضباً منه، لأنه يريد التّحكم بحياتي، ولكنني في الوقت نفسه أريد أن لا يتركني أبداً.

«يمكننا بالطبع أن نذهب لزيارة أمك»، أُمهمُ وأُحكِمُ الإمساك بذراعه.

يَصُفُّني في الكرسيّ الوثير. كما لو كنتُ مُثَبَّتاً في مقعدِ سيّارة، يَصُفُّني الناس في أماكن مختلفة في الآونة الأخيرة.

يحلّ هانس رباط سيكستن لكنه لا ينزع عنه طوقه. يقف سيكستن في الردهة، حائراً. يشدُّ أذنيه ويحدّق فيّ.

«سأخرج إلى الورشة فقط وأجلب شيئاً»، يقول هانس ويدسّ صحيفة المقاطعة في يدي. «اقرأ هذه حتّى عودتي، كانت في صندوق البريد».

لا أكاد أطلب نظارتي حتّى يُغلَق البابُ الخارجيّ. لا أستطيع حتّى تمييز عناوين الأخبار بدونها.

أتوق إلى النوم كي يتسنّى لي أن أطبق عينيّ، بدلاً من جلب النظارة. النوم هو ما يمكنني دائماً تقريباً أن أهرب إليه. ما تزال الأمور والأشياء هناك كما ينبغي لها أن تكون، هناك ما زال لي رأيّ.

«أنظر ماذا وجدت!»

أنفض وتَرَفُ جفوني. يرفع هانس صندوق أدوات الصيد القديمة. تمتد ابتسامة عريضة على وجهه بأكمله.

«لديّ الكثير من الذكريات مع هذا الصندوق»، يقول هازاً رأسه ببطء. «أتذكّر كم كنا نخرج للصيد؟ دوماً في الصيف. كنا نذهب إلى الجسور عند عبّارة الجزيرة، أتذكّر؟»

بالطبع أذكر. كانت عيناه تكبران إلى أقصى اتساعهما كلّما أريته كيف يقوم بفعل شيء ما، وما كان بإمكانه اصطياؤه بمختلف الطُعم.

«حذارٍ، فهي حادة»، كنت أقول. «يمكن للمرء أن يؤذي نفسه».

جلس جسدُ الصبيّ الصَّغيرِ قريباً مني حتى أنني أمكنني الإحساس بأنفاسه. كانت نظراته تتابعني بحرص، كي يرى كيف أفعل ما أفعل.

أتطلّع إلى ابنتنا. بالطبع أذكر كم كنت تشعر بالفخر كلّما اصطدت شيئاً، هذا ما أريد قوله له الآن. أريد أن أحكي له عن مجاهدته كي لا ينفلق من فرط الفخر ونحن في السيارة عائدين إلى البيت. كيف ركض من المنحدر ودفع الباب حتّى يحكي لك عن عدد الأسماك التي نالها.

لا أتمالك نفسي عن الابتسام، وهانس يبادلني البسمة بالبسمة.

لكنني أتذكّر كذلك عندما بدأتُ أخرج للصيد وحدي. عندما كان يقول أنّه لا وقتَ لديه، عندما صارت الرحلات إلى الجسور أندر.

يضع هانس الصندوق على طاولة المطبخ.

«لم أخرج لصيد السمك منذ أعوام وأعوام. لماذا لم أفعل ذلك؟»
يسأل دون أن ينظر إليّ.

يسحب الكرسي ويجلس عند طاولة المطبخ. يفتح الصندوق ويُخْرِجُ
العُلبَ ويتفحص الطَّعومَ الزاهيةَ الألوان.

يرمقني بنظرةٍ سريعةٍ وأنا في غاية الخوف من أن يُفْسِدَ هذه اللحظة،
أن يقول شيئاً ما عن سيكستن. ولكنه يعود إلى الطَّعوم. يمسدها بإصبعه،
طُعماً بعد الآخر.

حذار، كدتُ أقول لكنني صَمْتُ. كم أتمنى لو أن بإمكانني أن أضع
يدي على رأسه فأنفَسَ شعره اللامع.

الساعة السادسة وعشر دقائق مساءً

پولسا، بطاطا مهروسة وبيرة. دردشة لطيفة مع بو عن الأيام
الحوالي. يتسنى لي أن أعرف أشياء أكثر عن بُسْتَرٍ. يغفوبو قبل مغادرتي،
أترك الراديو شغالاً. أُخْرِجُ صندوقاً لأدوات صيد السمك إلى الورشة.

/ إنجريد

أستيقظ على سيكستن وهو يتمطى. يدفع ظهر أريكة المطبخ بقدميه بقوة أنزلق بسببها نحو حافة الأريكة قليلاً. لو أنّها كانت أنحف، كنتُ سقطتُ منها ولكنّ الأريكة التي ورثتها عن بيت جدي لأمي كانت واسعة حقاً. هناك ما يكفي من الحيز لحفظ العديد من الأشياء تحت مقعدها.

أدع بصري ينزلق على طول ألواح السقف العريضة. لقد تغيّر لون الخشب، واسودَّ بسبب دخان الموقد عبر السنين. تبرز المسامير تحت لون الجدران الأخضر الفاتح كنقاط سود. قبل بضع سنوات دفع هانس لإلّينور حتى تنظّف الجدران هنا في المطبخ. كنت أرى ذلك غير ضروريّ ولكنني لم أقل شيئاً لأنّ إلّينور فرّحت للغاية بكسب بعض المال.

«التهوية بائسة في هذا المكان»، قال هانس وهزّ رأسه. «أنظر فقط إلى منظّره».

لم أعترض لأنه كان على حق. فأحياناً يغدو حتى إشعال نار الموقد صعباً في الصباح. لكنّ أقصى ما في الأمر أن يُفتح باب البيت لفترة

قصيرة لا أكثر. فبمجرد أن تحصل النار على قليلٍ من السرعة الإضافية في البداية فإنها ستبقى مشتعلةً كما يجب بعد ذلك.

ألواح السقف عريضةٌ وطويلة، صنعة رائعة الجمال. اشتراها العجوز من عائلةٍ تسكن على بعد بضعة كيلومتراتٍ شمالاً.

أتساءل فيما إذا كان هانس سيعيد طلاء السقف بعد موتي أم أنهم سيبيعون البيت كما هو. فلا أظن إلينور سترغب بالعيش هنا.

تدفعني الألواح العريضةُ وآثارُ العُقْدِ والشكلُ المتموّج للتفكير في أول زيارةٍ لي إلى مصنع النجارة هناك في رانفيكن، لا ذلك الذي في هيسموفوش، بل عندما ذهبت وأنا في الثانية عشرة مع العجوز أول مرة. وقفتُ متأهباً مع درّاجتي مدةً وافيةً منتظراً أن يخرج. كنت أتطلع لهذا اليوم الذي كنت سأرافقه فيه أخيراً. أنهى المدرسة وأبدأ الحياة حقاً. بالطبع كنت قد ذهبت معه سابقاً وكذّست الحطب المُقطّع أثناء العُطل المدرسية، ولكن الأمر كان مختلفاً الآن. كانت المدرسة قد انتهت وكنتُ مستعداً للبدء في العمل حقاً، مثل العجوز والآخرين.

شعرت بِشِدٍّ في معدتي وحكّةٍ في ساقَيَّ، كان كل ما أردتُه أن أرتمي على الدّراجة لكي أسرع في الذهاب. كانت براعم البتولا قد تفتّحت للتوّ، خضراء حدّاً أنّ خضارها يَحْزُ العين. استلقت البحيرة في سكونٍ تامٍّ وتجلّى برج الكنيسة طالعاً من غابة التّوب خلف مصنع النجارة بمسافة. وأخيراً خرج العجوز. توقّف عند شرفة المدخل مُحدّقاً في الغابة لوهلة، وكأنّه كان ينتظر شيئاً، ثمّ أغلق باب البيت خلفه. «الآن نطلق»، قال وطوّح ساقه حول الدّراجة وبدأ يدعس متوجّهاً نحو طريق البلدة.

تضاعفت السرعة على المنحدر فابتعد العجوز عني. جهدت بأقصى ما لديّ حتّى أواكبه، وعندما استوت الطريق تمكنت من اللحاق به والقيادة إلى جانبه. اختلست النظر بحذرٍ لأرى في أيّ مزاجٍ كان.

أردت أن أسأله عن رأيه فيما يمكنني أن أقوم به اليوم. إن كان عليّ وَسْمُ الخشب، أو تقطيع الحطب أو تعبئة النشارة. كان مُتَعَباً، غالباً ما كان كذلك في مثل هذا الوقت، لذلك جَمَعْتُ نفسي. لم أُرِدْ أن يرى أنني كنت مضطرباً، أردتُ أن أظهرَ أنني كنت بالغاً بما يكفي لإنجاز أية مهمة يُتَظَرُّ مني أن أنجزها.

حين جلسنا إلى مائدة العشاء تلك الليلة، كانت عينا والدتي عليّ أكثر من المعتاد. كان واضحاً أنّها تريد أن أحكي عن يومي. عَضَضْتُ على شفتي، لأنني كنت أريد فعلاً أن أحكي. عمّا فعلتُ، عن قائد مجموعتنا، عن العجوز وعن استراحة الغداء. لكنني أردت أن يكون العجوز هو البادئ بالكلام.

«حسناً؟» قالت والدتي بعد حين.

نظر العجوز إليها متسائلاً.

«إه، الصبيّ، كيف سارت الأمور معه اليوم؟» قالت ونظرتُ إليّ.

الصبيّ، قلت لنفسي وأنا ألهو بقطعة اللحم أمامي. لم أعد صبيّاً.

أخذ العجوز جرعةً من البيرة والتفت بنظره نحوي ولكنه لم يقل شيئاً. ظل صامتاً لما بدا وكأنّه دهر.

ثم رفع كأسه.

«في صحّة بُسّة، لقد عملَ كما ينبغي اليوم».

شعرت بدغدغةٍ في طرف فمي حتّى أنني لم أتمالك نفسي من الابتسام. كما تراءى لي أن العجوز أجاب البسمة بمثلها.

«هذا بُسَّة، مَرَّاحِب»، قال أحد الرجال في المصنع عندما رَكَنَّا درّاجتينا صباحاً. ثُمَّ عصر يدي بشدّة حتّى كدت أتألّم. «اليوم يومٌ كبير، أليس كذلك؟»

سبق أن ناداني بعض زملائي في المدرسة بِسَم بُسَّة، ولكنّ أحداً من عائلتي لم يفعل ذلك.

«عَمَدْتُكَ بِسَمٍ بو لسبب»، ردَّدْتُ والدتي كلّما ناداني أحد بِسَم التَّحَبُّب.

وقد ظل ذلك عالقاً في ذهني. ولكنها هذه المرة ضحكت فقط ونظرت إلى العجوز وشيءٌ دافئ يملأ نظرتها.

تغيّر شيءٌ ما في المكان وصار الجلوسُ إلى مائدة العشاء مع العجوز ووالدتي أمراً لطيفاً. شعرت بألمٍ في جسدي، لكنّه لم يكن ألماً مزعجاً. لقد فهِمْتُ فجأةً ما تعنيه الحياة؛ فهِمْتُ كيف سأتعامل معها.

كانت نافذة المطبخ مفتوحة فتسللَت أصواتُ الكراكي الأُشبه بالآبواق لتصل إلى مائدة العشاء.

«لعلّ أحد صغارها يجرّب جناحيه الآن»، قالت والدتي وارتشفت قليلاً من الماء.

أومأت برأسي لها وتركتُ لابتسامتي أن تتسع. بادلتني الابتسام وشدّت ظهرها. انحنت للأمام وصَبَّتْ مزيداً من البنجر في صحنِي.

عشية عيد الخمسين

الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحاً

أجد بو راقداً على أريكة المطبخ عند وصولي. يريد حساء ثمر النسرين وشطيرة هلام لحم العجل^(١). سيكستن يريد الخروج، ولكن لا وقتَ عندي. يقول بو أنه سيخرج مع سيكتن، فأذكره بأن عليه أن يكون حذراً وأنّ عليه أن يلزم الطريق ولا ينزل إلى الغابة.

/ يوهانا

(١) هلام لحم العجل (Kalvsylta): من الأكلات التقليدية السويدية المرتبطة بمواسم الأعياد، كعيد الفصح وأعياد الميلاد ورأس السنة. حيث يُسلق اللحم مع البهار ثم يُفصل عن العظم ويُهرس ويُخلط مع مرقته ويُبرّد حتى يصبح هلاماً ثم يُقدّم بارداً.

أتوخى الحرص حيث تطأ قدماي. يجري سيكستن أمامي، ولكنه يتوقف لكي يتأكد من أنني معه. الممشى مغطى ببقايا طعام السناجب من الخريف الماضي. وقد وُطئت الأعشاب والأعواد حتى سُويَتْ مع الأرض. كان من عادة العجوز أن يجلب مخلفات تقطيع الحطب، تلك التي تقاعَسَ عن إشعالها.

«يستلزم إشعالها طاقة أكبر بكثير من مقدار الحرارة التي تعطيها»، قال وهو يشير إلى العربة اليدوية المملأى بالأعواد.

على الرغم من أن الأغصان لم تكن ثقيلة جداً فقد توجب علي أن أحرص على التركيز كي لا تنقلب، لأنها لم تُصنع لجسد صبي كجسدي. «انتظر»، قال العجوز وأمسك بكتفي الأيسر. انحنى ورفع كومة من هشيم الشجر وكبسها في قلب العربة. تكسرت الأعواد. يوماً ما سأصير أنا أيضاً بهذه القوة.

أتوقف خارج القبو الذي شيده العجوز أسفل التل. ليس كبيراً لكنه كان يسع المُرَبَّيات والخضروات الجذرية التي كانت والدتي تخزنها

في الخريف، تماماً مثلما واطبتِ على فعلٍ ذلك بعدها. مضى زمن طويل منذ دخلته آخر مرة. الآن صرت غالباً ما أكل الخضروات الجذرية المجمدة.

عندما كنتُ طفلاً لم يكن سوى بيتنا هنا في أعالي القرية. في ذلك الوقت، لم يكن هناك سوى الحقول الزراعية حيث تنتصب البيوت الآن، وكنتُ أحصل عادةً على شيءٍ من المال مقابل الحشّ في الصيف قبل أن أبدأ العمل الجادّ في المصنع. علّمني العجوز كيف أشحذ المنجل بينما أعدت لي والدتي بعض الشطائر ليوم عملي الأول. وقد طاب لي ذلك؛ كان لطيفاً أن أظلّ خارج البيت طوال اليوم وكنتُ كلّما واصلتُ الحشّ أتقنه أكثر، أطوّح بالمنجل لتسقط الحشائش بضربة واحدة. فلينظر العجوز إليّ. وأنا أقف هناك في المرج أعمل، كنتُ أتخيّل أحدث درّاجة مونارك، تلك المزوّدة بقطعٍ من الألومينيوم. وأنني لو وفّرت مدّة كافيةً فلربما كان بمستطاعي تحمّل تكلفتها يوماً ما.

حين عدت عصر ذلك اليوم كان العجوز يقف عند الشرفة. أحسست بنظرته تحرقني وأنا أسير على طول المنحدر باتجاه البيت. فهمتُ أنّ هنالك أمراً ما. وقفت على بعد أمتارٍ قبالة الجسر وعدلتُ وضعيّة حقبيّة الظهر المعلّقة على كتفي الأيسر. حيّته لأوجه بعد ذلك بصري بعيداً نحو الغابة، فقد تعلّمت في وقتٍ مبكّرٍ أن لا أواجه نظرتَه. وددت لو لم يقل شيئاً.

قلت: «سأذهب إلى الحظيرة».

واصل صمته ولكنّه عندما أنزلت الحقيبة عن كتفي لأضعها على الربوة عند الجسر أخرج يده اليمنى من جيب بنطاله ومدّها نحوي.

لم أفهم أول الأمر ما كان يعنيه بكفّه الخشنة الممدودة. لكنّه زفر بعد حين قائلاً:

«أتظنُّ أنّ العيشَ مجاني؟»

ربما كان عدمُ توقّعي لذلك سبباً لغليان الغيظ في نفسي. شعرت بالجزور، فأنا من كدّ للحصول على ذلك المال من آل إيثرسون. أنا من وقف طوال النهار تحت الشمس وعارك بالمنجل. لا أدري من أين جئت بالشجاعة لكنني رفعت رأسي وقابلتُ نظرةَ العجوز في الوقت نفسه الذي دسست فيه يدي في جيب بنطالي لتحضن النقود المعدنية. قبل أن أشرع في الهرب كان العجوز قد قبض على كتفيّ وهزّ جسدي الذي كاد يهاثل جسده في الطول.

«ألا تسمع ما أقول؟ أعطني النقود!»

هبطت قطرةً من اللُّعاب على خدي فجَعَدْتُ وجهي. أوجعتُ قبضتهُ الشديدة ذراعيّ المتعبتين. ثم أفلتني فأخذت متعثراً خطوةً إلى الوراء. في الحالات العادية كنت سأركض لحظتها؛ أهرب نازلاً نحو فسحة المرج في الغابة، لكنني بقيت مكاني. كنت أعرف أنني بذلك أزيده حنقاً، ولكنني لم أكن خائفاً، بدلاً من ذلك فقد نما السُّخط داخلي.

خطا نحوي خطوةً. تراجعْتُ ببطء، كان السواد يتعاظم في نظرتي.

«إه، لارش-إيريك، أما كفاك الآن؟»

ارتجفنا، العجوز وأنا معاً، إذ لم نلاحظ أن والدتي قد فتحت النافذة ووقفت ترقبنا.

«كان يوم الولد طويلاً وقد كدّ في العمل.»

تدلّت والدتي بنصف جسدها العلوي من النافذة. كَسَتْ جبهتها
تجاعيدُ القلق، تلك التي بدت عليها كُلّما تجاوز العجوزُ حدّه.

حتى ولا حضورُ والدتي كان كافياً كي يهمد السُّخْطُ في داخلي.
لكنّ العجوز تراجع قليلاً وحدّق فيّ، وكأنها أنا من تكلم. كظمت
غيظي وخمد السواد الذي في عينيه. أمسك جبهته وزفر. ثمّ قدّم يده
بكفّ مفتوحة ثانية، إنّها هذه المرة كان هناك ارتياب.

جعلني تردّدهُ أنتظر قليلاً. وقفت ساكناً تماماً وحدّقتُ فيه فقط. وإذا
به يعود، ذلك السواد، فتناولت قطعتي نقودٍ ووضعتها في يد العجوز.
«أيمكن أن تساعدني في الحظيرة يا بو؟» قالت والدتي وأنا أهمّ
بإخراج قطعة نقودٍ أخرى.

توقّفتُ وأدرتُ رأسي نحو النافذة الفارغة حيث كانت والدتي
تقف للتوّ، ثمّ نحو العجوز ثانية. اعتصرت آخر القطع النقدية في جيبي
حتى آلمتني يدي. كنت أعرف أنه أدرك أنني حصلتُ على أجرٍ أكبر.
«هذا كل شيء»، قلتُ وأنا سعيدٌ ومرعوب في الوقت نفسه.

وقفنا صامتين حتى خرجت والدتي. عندئذٍ وببطءٍ حنى العجوز
رأسه فشعرت وكأنّ العالم انقلب أعلاه أسفله، أنني كنتُ فوق العجوز.
التفّتُ بسرعةٍ ولحقتُ بوالدتي نحو الحظيرة. انتبهتُ إلى أنني كنت
أبتسم.

يأتي صوت تكسّر أغصان من عمق الغابة ويدسّ سيكستن أنفه في
جذعٍ متعفّن. يهزّ ذيله بفُتورٍ وللحظةٍ أظنّ أنّه اصطاد فأراً فقد إيقاعه
أثناء الشتاء.

أتجه يمينا عند المرج داخلاً نحو قلب الغابة وأتوقف عند الجدول.
يشق سيكستن طريقه عبر الدغل الكثيف. رغم أن الأوراق لم تنبت بعد
ولم يكد العشب ينمو فإن الأغصان المتشابكة صعبت عليه المرور بينها.
يضر به الحور والتتوب على أنفه. وعندما يصل أخيراً إلى الماء المتدفق
يتشتم لوهلة على جانب الجدول ليقفز بعد ذلك فوقه خارجاً نحو
الممشى من الجهة الأخرى.

أحياناً أظهار بأنني هو. أشعر بالأرض كيف تضغط على ضرائره^(١)
وبعضلاته كيف تعمل. خصوصاً عندما يمد الخطى في المرج، حيث
تعمل عضلات جسمه بأكمله على دفعه للأمام بسرعة مذهلة.

عندما أصل إلى الأرض المقطوعة الأشجار أتعثر ولكنني أستعيد
توازي في اللحظة التي أوشك فيها على السقوط. يأتي الضعف دون
سابق إنذار. أجلس على عقب شجرة عند فسحة الغابة وأسند ظهري
إلى جذع الشجرة التي خلفي. لقد تمشيت إلى هنا مع جراحي كلها، فطول
المسافة مناسب للصغار التي لا تقوى على السير لمسافات طويلة.

تجمعت المياه الناجمة عن ذوبان الثلج في أخاديد الممشى، ومن
المعتاد أن تفيض هنا في الربيع. كم كنت تحبين برك المياه العميقة تلك.
كنت تحوضين فيها بجزمتك كأنما لتأكدي ما إذا كانت فعلاً لا تُسرّب.

أطلع بعيداً نحو الممشى القابع على مسافة مني في عمق الغابة
بكل ما غطاه من النباتات المفرطة في النمو. لو أنني لم أكن أعرف

(١) الضرائر (جمع ضرة، بالسويدية «Trampdynor»/وسائد الوطاء): ما وَقَعَ عليه
الوطء من لحَمِ باطنِ القَدَمِ مما يلي الإِبهام. (المترجم، عن لسان العرب)

بوجود ممشى هناك، لما كان بإمكانى رؤيته. لقد أخفى العشب الطويل وشجيرات العنبيّة^(١) ما اعتدت في طفولتي أن يكون جزءاً من يومي. ها هو الآن، لم يمسه أحدٌ ليعقود. لم أحتل السير عليه مرةً أخرى بعد ما فعله العجوز. لأسابيع شقَّ عليَّ مجردُ النزول إلى الغابة. الأشجار والنمل والجدول المتدفق، ذكرني كلُّ شيءٍ بقسوته.

أشعر بألمٍ جارحٍ وأشيح ببصري. لا أريد تذكرَ أشياء كهذه. أنبش في جيبي بأصابعي المتورمة لألتقط بُلّة^(٢). يشتري هانس كيساً منها من إيكما ماكسي^(٣) كلما تسوّق. أقضم قضمةً. كانت بُلاتك بالهال شيئاً آخر تماماً. من الصعب مضغ هذه لكن اللُّعاب يساعد على تفتيتها بعد حين.

يتوقف سيكستن ويحوّل انتباهه نحوي.

«لا تقلق. سأخذ استراحةً فقط».

يتقدم نحوي ويضع رأسه في حجري، منتظراً أن أحكّ فراءه. فجأةً يأتي صوت تكسر أغصانٍ من عمق الغابة. لا أكاد أمدّ يدي لأمسك بالطوق حتّى يرفع سيكستن رأسه ويشدّ أذنيه وينطلق. ينساب أيلان عظيم الجثة عبر الأرض المقطوعة الأشجار ويتبعها سيكستن.

(١) العنبيّة، أو عنب الثور أو القهام الأحمر (بالسويدية: Lingon وبالانجليزية: Lingo- nberry/Mountain cranberry): نوع من الثوت الاسكندنافي دائم الخضرة، تنمو ثماره الحامضة بين أغسطس وسبتمبر. والعنبيّة من النباتات البريّة التي أصبحت تزرع لتستغل تجارياً.

(٢) بُلّة (بالسويدية «Bulle»): نوعٌ من المعجنات الحلوة، تشبه خبز البرغر.

(٣) إيكما ماكسي (ICA Maxi): أضخم أنواع الأسواق المركزية وأقلها كلفة ضمن سلسلة متاجر إيكما/ ICA المنتشرة في السويد والدنمارك ودول البلطيق.

«سيكستن»، تندّ منّي بالكاد ولا أقوى على النداء أكثر من ذلك.
أعلم أن لا جدوى من ذلك.

لا بأس حتماً، فهو لن يهاجمهما. أذكر نفسي بأنّ المطاردة هي ما يثيره،
أن تسنح له فرصة الملاحقة.

تومض الدنيا في عينيّ عندما أحاول النهوض فيتوجّب عليّ أن
أجلس ثانية. أتطلّع إلى حافة الغابة على الجهة الأخرى من الأرض
المقطوعة الأشجار حيث توغل الأيلاق ومن خلفهما سيكستن. أعلم
تماماً أنّه قادرٌ على أن يفاجئني بالظهور من خلفي ولكنّ النّظر يأبى مع
ذلك أن يُفِلّت الموضع الذي اختفى فيه.

أسندُ رأسي إلى جذع الشجرة وأترك لعينيّ أن تجوبا باتجاه بُرج
الأيائل^(١) عند حافة الغابة على مسافةٍ أبعد قليلاً. مضى زمنٌ طويل
على آخر مرة كان فيها أحدهما هناك وأتساءل عمّا إذا كان يُستخدَم حتّى
الآن. أعرف أنّك كنتِ ترينني مُحَنّاً لأنني لم أقو على إطلاق النار على
الحيوانات. كنت أحسّ بذبذبة خوف الحيوان تسري في أرجاء جسدي
وفي كلّ مرة أضع إصبعي على الزناد كان شيءٌ ما يتلوّى داخلي. وكأنها
كنت أصوّب نحوي.

تحجّجتُ أمامك بأنني كنت أرى الصيد مُملّاً. وكان هذا ما قلته
للعجوز كذلك، ولكنّه لم يردّ بأكثر من الضحك. لذلك فإنني آخر الأمر

(١) برج الأيائل (بالسويدية: Älgatornet وبالانجليزية: Hunting tower): هي التسمية
السويدية لأبراج الصيد الخشبية التي تُنشأ في الغابات، والسبب في التسمية أن
استعمال هذه الأبراج في السويد كان غالباً لصيد الأيائل.

لم أعدُ أُجيبُ بشيءٍ عندما كان يرى أن عليّ الالتحاق به للصيد كلما أتى الخريف. كنتِ تعرفين مثله أن ذلك غير صحيح ولكنك لم تقولي شيئاً على الرغم من أنكِ وددتِ رؤيتي أعود إلى البيت بصيدٍ برّيٍّ، مثلما كان والدك يفعل.

تعود قُوتِي فأفتح عينيَّ. ينسحب نظري مباشرةً إلى الأرض المقطوعة الأشجار لكنني لا أرى سيكستن.

أشعر بأنّ ساقِي أقوى وأصابُ بخيبة أمل. قد يكون ذلك سخيلاً، ولكنني أحياناً، عندما يغلبني الضعف والدُّوار هكذا فجأةً، أَمَلُ أن دوري قد حان. في الوقت نفسه أشعر بالارتياح لأنني سأتصل اليوم بتورة. أرفع كُمّ القميص كي أتُحقق من الوقت. يجدر بي أن أشرع بالعودة. أعلم أنه لا يسمع، فهو بعيدٌ جداً عني. ومع ذلك فإنني أنادي سيكستن بكل ما لديّ من قدرة.

حين أمرّ بالجدول أشعر بالتعب ثانية. أجلس وأستريح على «الحجر الصغير» كما كان هانس يسمّيه. ساعدته في بناء كوخٍ هنا في يوم عيد ميلاده الثامن. كان قد تمّنّى الحصول على الخشب والموادّ اللازمة لبناء حصنٍ وقضينا يوماً كاملاً في محاولة تنفيذ ما أراد. عدنا إلى البيت كي نتناول الغداء الذي طبختِ وفورَ ابتلاعه آخرَ لقمة ركض عائداً مرةً أخرى.

أتلفّت بين حينٍ وآخر، أنادي وأنتظر قليلاً. أُرهِفُ السَّمْعَ عسى أن أسمع وقع أقدام سيكستن، ولكنها لا تأتي، فأواصل السير على مدّ المشى. أَمَلُ أنه ذهب غرباً، باتجاه منزل ماريتا، لعلّ أحدهم يجده.

أحاول أن لا أفكّر بآثها ترفس أحياناً، أعني الأيائل، إذا ما خافت
أو أزعجت. تَلَقَّتْ كلبَةُ آل أنْدشون رفسَةً في وجهها وكادت تموت
بسببها.

حين أصل إلى البيت أدخل وأجلب وعاء طعام سيكستن. أقف في
الشرفة وأضرب الوعاء بجدار القرميد حتى يرنّ المعدن عالياً. كان ذلك
يساعد سابقاً حين كان يجري بعيداً وهو جرو ولكن الرنين يتلاشى الآن
دون نتيجة.

يغلبني التعب ثانية. أخلع الحذاء وملابس الخروج وأدخل إلى
المطبخ. أكتب سيكستن! على قصاصة وأثبت المنبه على خمس عشرة
دقيقة. ولا أكاد أضعه على الطاولة حتى أغفو على التكتكة.

يَقْطَعُ صَوْتُ الْمَنبِّهِ الْأَجَوْفُ نومي ويَجَرِّني ليعودَ بي إلى اليقظة.
يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أتذكر أين أنا وما أنا عليه. يُبدي
الجسد مقاومةً، يتشبَّث بالنوم ولا يريد العودة.

أرفع نفسي إلى وضع الجلوس. أَدْعَكَ وجهي وأخذ جرعةً من الماء
الموضوع على الطاولة. طعمه مُغَبَّرٌ.

ثُمَّ أَلَا حِظُّ الْقُصَاصَةِ على الطاولة. سيكستن! أَنهَضُ أَسْرَعَ مِمَّا
ينبغي، تَسْوَدُّ الدُّنْيَا في عيني فَأَتَرَنِّحُ لَأَقَعَ على أريكة المطبخ ثانية. أجلس
ساكناً لَوَهْلَةٍ وَأَنهَضُ بعد ذلك أَبْطَأً.

أغرز قدميَّ في الجزمة وأفتح الباب. أحياناً يكون هناك واقفاً ينتظر.
ولكنَّ البلاطاتِ الحجرية مُقْفَرَةٌ.

أنادي: «سيكستن!» وأغلق باب البيت خلفي.

أدورُ دورةً حول البيت حتَّى أرى إن كان يسرح حيث يقبع سهادك
القديم لكنني لا أجده هناك. أنتبه إلى أَنِّي يجب أن أتصل بتورة فأبداً
بالسير نحو المدخل. أَعْلَلُ نفسي بأنَّ سيكستن لا يزال يتبع أثراً وأنه ما
زال يجري هناك في الخارج، أَنَّهُ سيعود عما قريب حتماً.

أخِرُ على الأريكة، أضع النظارة وألتقط النّقال. الرموز والعلامات من الكثرة بحيث أشعر بالدُّوار.

تتناوب أسماء تورة وهانس وإلّينور في قائمة مَنْ تَمّ الاتّصالُ بهم مؤخّراً. لقد ساعدني هانس في ضبط الشاشة بحيث تكون الكلمات والأرقام أكبر. أضغط على السّماعة الخضراء وتورة. وحالماً يتمّ الاتّصال أضغط على خيار مكبّر الصوت وأستلقي والهاتف على بطني. رغم أنّ تورة ينتظر مكالمتي فلا بدّ أن يستغرق الأمر وقتاً قبل أن يجيب. أحياناً يتحوّل الاتّصال إلى الردّ الآلي لكنّ تورة في تلك الحالات يعاود الاتّصال بعد حين.

«بو، صديقي».

أشعر بدفءٍ في جسدي. صوت تورة أصفى من صوتي، فليس لديه مشاكل بلغم في الحلق مثلي.

«تورة، تورة» بَشَشْتُ له. «أجبتَ بسرعة اليوم».

يَقِلُّ قَلْقِي على سيكستن لمجرّد سماعي صوت تورة.

«نعم، اليوم كان لديّ الوقت لإعداد القهوة وتهيئة الطاولة قبل اتّصالك، كما تعرف».

غالباً ما يشرب تورة قهوته بينما نتكلم على الهاتف، لقد فعل ذلك دائماً، حتّى عندما كنا أصغر سنّاً. غايتهُ أننا بهذا نكون كالجالسين في مقهى.

«أيّ نوع من المعجّات لدينا اليوم؟»

«مازارين»، يقول بمنتهى الرضا. «أخبرتني مالين أن سعرها كان مُحَقَّضاً في الهمشوب»^(١)، فاشترت مجموعة منها وجمدتها.

على الرغم من كونه لم يُصادف مشاكل مادية فهو يحب التوفير، ويرشح لي دائماً المتاجر التي يمكنني إيجاد بضائع مختلفة فيها بأسعارٍ مُحَقَّضة، رغم أنه يعلم أنني لا أتبضع إلا في الأسواق التعاونية.

مالين هي إنجريد. لدينا المستوى نفسه تقريباً من جهود الرعاية المنزلية المبذولة. فهم يُحَمَّدُونَا ويطعموننا وينظفون بيئتنا. من عادتنا المزاح عن أن كل ما علينا فعله هو أن نفرغ الفم وأن نتبعهم إلى الحمام.

عدا مالين فنحن متفقان على أن إنجريد والآخرين الذين يزورونني أفضل من موظفي رعاية تورة. في البداية أخذنا مواعيدهم ورغم أننا نحصل على مدة الاستحمام نفسها وكذلك الحال بالنسبة للمساعدة في الذهاب إلى التواليت فإنهم في الأعم يبقون مدة أطول عندي مقارنة به. حتى أنهم يبقون عندي مدة أطول مما يسمح به وقتهم أحياناً. عدا الموظفين البدائل مثل الشمطاء.

يتمطق تورة بالمازارين، يبدو من الصوت أنها لذيدة. أرمق الطاولة بنظرة لأرى ما إذا كانت هناك قطعة مُتَبَقِّية من الشوكولاتة، ولكنني لا أستطيع رؤية ذلك.

(١) همشوب (Hemköp): من سلاسل متاجر المواد الغذائية والسلع المنزلية المشهورة بأسعارها المنخفضة نسبياً مقارنة بـ ICA و Coop.

لم تكوني مولعةً بشأنِ تورة. لا إلى حدِّ كرهه ولكنك، عندما كنتُ أسأل عن سبب كلِّ ذلك الصمت الذي تلزمينه عندما كان يزورنا، كنتِ تقولينَ أنه كان غريباً؛ أنكِ لم تستطعي إدراكَ طبيعته.

لم يحدث أنكِ ضحمتِ الأمر، أعني أنه كان مُغائراً في نظركِ، ولكنَّ الأمر كان بالفعل مختلفاً عندما كنتِ تتواجدين معنا. كالمرَّة الأولى التي جاء فيها لزيارتنا في ريناس. كنا قد انتقلنا للتو من هيسموفوش وكان تورة في يوتيوري طوال الصيف. طلبتُ منك أن تتخيري قطعة لحم فاخرة قائلاً أنَّ بإمكانك عمل صلصتك البنية اللذيذة. كان هانس لدى أختك الصغرى خلال عطلة نهاية الأسبوع، لذلك لم يكن هناك سوانا في المنزل.

«لماذا يجب أن يكون الطعامُ فاحراً لمجرد أنه من أجله؟» قلتِ وظهرك لي بينما كنتِ تعجنين العجين على منضدة المطبخ.

«أليس من عادتنا أن نقدِّم لحمًا فاحراً للغرباء؟» سألتك ونظري مثبتٌ على لوحة ظهرك.

«إه»، قلتِ ورميتِ العجينَ على المنضدة رميةً أعنفَ ممَّا كان من عادتك.

بقينا صامتينِ لوهلة. لم أفهم لماذا بدوتِ منزعة. سرتُ إلى الموقد وألقمته حطبةً، لقد بدأت ليالي الخريف الباردة تأتي.

«رجلٌ بالغ ويجمع وحوشَ ستورثون؟» قلتِ وشخرتِ هازئةً بعدَ حين، ثم استدرتِ وحدقتِ فيَّ. كنتِ تنتظرين توضيحاً ولكنني لم أعرف بشأنَ ماذا.

هزرتُ رأسي وأغلقتُ فتحةَ الموقد. كنتُ أيضاً أرى أنَّ من الغريبِ جمعَ تماثيل الخزف ووحوش ستورثون الخشبية يدوية الصنع. ولكنه لم يكن أمراً مهماً، ليس بتلك الأهمية التي تدفعك للانزعاج على أية حال.

«ما الذي يسعى إليه حسب علمك؟»

«عن أيِّ شيءٍ تتحدَّثين؟» سألتُكِ ولكنني فهمتُ في اللحظة التي أغلقتُ فيها فمي. كنتُ أعرف أن شائعاتٍ كثيرةً حول تورة كانت تدور في هيسموفوش أثناء نشأتكم. لكنه معي لم يحاول فعل أيِّ شيءٍ أبداً، كان رفيقاً طيباً ولا شيءٍ سوى ذلك. «هراء، لا أكثر»، قلتُ منزعجاً واستدَّرتُ بسرعةٍ لتعودي إلى العجنِ ثانيةً.

لا أدري ما الذي انتابكِ، ولكنني نهضتُ من أمام الموقد حيث كنتُ مقرفصاً وذهبتُ إلى الشرفة وجلبتُ كيسينِ من الحطب. كيف سيبدو الحال لو أن الناس أصغت إلى جميع شائعات العجائز؟

«إي، إي»، غمغمتُ بصوتٍ منخفضٍ حتى كدتُ لا أسمعك. «لا أقول شيئاً سوى أن تكون على حذر».

خرجتُ إلى شرفة المنزل ثانيةً وغرزتُ قدميَّ في الجزمة حتى أخرج ليصفَّ الحطب. لم تزل هناك كومةً باقية وكان الثلج سيأتي قريباً.

عندما دخلتُ ثانيةً كنتُ قد أخرجتُ لحمة روست من خنزيرة العام الماضي. بصمتُ حييتُك حيثُ كنتُ جالسةً تحوكين في كرسيك الوثير ولكننا لم نتكلم في الأمر أكثر من ذلك.

في اليوم التالي طرق تورة الباب في الساعة السادسة مساءً بالضبط. كان دقيقاً في مواعيده دائماً. كنتُ قد تُقْتُ إلى رؤيتِهِ مجدداً وإلى أن أُريَهُ بيتي

القديم الجديد. دخل تورة إلى ردهتنا الضيقة وخلع قلنسوته وعلقها على رفّ القبعات. التَمَعَ شعرُهُ المُصَفَّفُ الكثيفُ على ضوء المصباح. تعانقنا، أظُنُّ أنه كان سعيداً لرؤيتي بقدر ما كنتُ سعيداً لرؤيته.

دخلنا وجلسنا في المطبخ. تورة على الأريكة وأنا على الكرسيّ الخشبيّ قُبَالَتِهِ. كنتِ واقفةً عند الطَّبَّاحِ تضعين آخرَ اللّمسَاتِ على الصّليصة. لاحظتُ أَنَّكِ جَهِدْتِ في إعدادِ المائدة. مناديل مطوية بدل ورقِ التنشيف، كما أخرجتِ أدواتِ المائدة التي كانت لوالديك سابقاً.

«هيا، أخبرنا عن يوتيوري»، قلتُ وفتحتُ قنينةَ بيرةٍ خفيفةٍ وناولتُها لتورة. «بِمَ كنتِ مشغولاً هناك؟»

«قضيت أوقاتاً طويلةً أتمشى على طول أرصفة الميناء، شاهدت السفن التي تُحْمَلُ وتُفَرَّغُ»، قال وهو يأخذ البيرة.

«كنتِ ستحب ذلك، هَوُلُ حجمها لا يمكن تصديقه».

تناوَلَ جرعة، ثُمَّ مال إلى الوراء على الأريكة وترك القنينة تستريح على ركبتيه وقبضته مرتخية حولها. راق لي الاستماع إلى قصص رحلاته إلى يوتيوري، لأنها شهاداتٌ عن شيءٍ غريب، عن أماكن لم أرها وأناست لم أشاهدهم.

«ويا لكثرة ما أكلت من سمك»، قال وتَبَسَّم. «لو ترينَ أسواق السمك عندهم يا فريدريكا».

«حقاً؟!»، هَمَّهَمَتِ ووضعتِ ملعقةً أخرى من مربّى العنبية الطازجة في الصّليصة. «وأيَنَ كنتِ تسكنُ وقتها؟»

شدّ تورة كتفيه.

«عند قريب لي»، قال ووضع القنينة على الطاولة ونظر إلى الخارج عبر نافذة المطبخ. «يا له من منظرٍ جميل لديكم هنا. فجبأل أوفيك تطغى على الأفق عند البحر».

أومأت رغم أنني لم أرَ أبداً الأفق عند البحر. وخُيِّلَ لي أنني رأيتُ شيئاً كثيراً في نظرتِه.

«حسناً، تفضلاً ولا تترددا»، قلتِ وأضفتِ كوبَ الصلصة إلى المائدة وناولتِ تورة ملعقة كي يغرف بها البطاطا.

قطعتُ اللحمَ وقدمته لكلِّ منا. الكريما التي في الصلصة زادتْها لذة. «لم أعرف أن لك أقارب هناك في يوتيبوري، لم يسبق له المجيء أبداً إلى هنا، أليس كذلك؟» سألتُ بعد حين.

«لا؛ لا أظنُّ ذلكَ مما يصلحُ له»، قال تورة ومسح ما حول فمه بالمنديل والتفتَ إليك. «فعلاً طيَّبُ يا فريديريكا، طبخ الطَّعام أمرٌ تتقنيه حقاً».

أظهرتِ ابتسامةً على طرف الفم لكنكِ لم تقولي شيئاً.

«حان موعد عودة هانس إلى المدرسة الآن، على ما أظن؟» قال تورة وعدل وضع الشوكة والسكين.

أعاد ذكر مسألة المدرسة بين حينٍ وآخر، أنَّ التعليم كانَ أمراً مُهمّاً لهانس، ورأيتُ أنه ألحَّ في ذلك، فهانس لم يزل بعدُ صبيّاً. طبعاً يمكن أن يكونَ التعليم خيراً ولكنَّ المرءَ بإمكانِه أن يُفلحَ بدونه، أنظري إليَّ فقط، لم يمرَّ عليَّ يومٌ واحدٌ في حياتي دون عمل. ولكنني كنتُ أعرف أن تورة يعلم ذلك، لذا لم أعارضه وعدا ذلك فقد كان يبدو أن هانس يحبُّ

المدرسة. غمستُ قطعةَ لحمٍ في الصَّلصة وأخبرته أن هانس حصل على أستاذٍ جديدٍ من قِلهلْمينا.

«ألنْ يكون لك أطفالٌ إذن؟» قُلْتُ فجأةً والتفتُّ إلى تورة.

لم تقولي كلمةً واحدةً تقريباً حتَّى تلكَ اللحظة مما جعلنا، أنا وتورة، نجفَل. بحاجبينِ مرفوعينِ تعجباً تَقصَّيْتُ نظرتكِ بينما كان تورة يقطع اللحم، لم تكوني عادةً من النوعِ الذي يطرح الأسئلة.

«أنا غارقٌ دوماً في العمل، كما تعلمين»، قال تورة بعد حينٍ والتقطَ قنينةَ البيرة دون أن يشرب.

«لم يكن ذلكَ ليمنع الآخرينَ من الرجال».

غضبتُ إلى حدٍّ لم أستطع معه أن أقولَ شيئاً. كنتِ تعرفينَ تمام المعرفة أن تورة لم يكن على علاقةٍ بأية امرأة. ما بك؟
«لستُ متزوّجاً، كما تعرفينَ يا فريدريكا»، قال وأعادَ القنينةَ إلى مكانها ثانية.

أومأتِ وارتشفتِ قليلاً من الحليب. كنتُ لا أزالُ غيرَ قادرٍ على إيجادِ شيءٍ أقوله، فسَادَ الصمتُ حولِ المائدة.

بعد ذلكَ العشاء صرنا، أنا وتورة، نلتقي لحالنا أكثر. كان يزورنا في المنزل أحياناً لتناول العشاء أو لشرب القهوة، ولم تكوني وقحةً معه أو ما إلى ذلكَ ولكنَّ الأمرَ صارَ مختلفاً حين تكونين معنا. على أن الأمرَ لم يبلغ من السوء أكثر من أن أذهب بنفسي للمدينة، أو إلى كوخه، عوضاً عن زيارته لنا.

يُنَحْنِحُ تورة على الهاتف ثم يسألني:

«وكيف حال سيكستن؟»

«بخير، لكنّه هرب مني هذا الصباح. كان يطارد أيلين عند الأرض المقطوعة الأشجار».

«أفّ، ولكنها ليست أول مرة، أليس كذلك؟»

«لا..» أقول وأذكر نفسي بأنّه غاب لنصف يوم في الخريف الماضي أثناء موسم صيد الأيائل. جاء به نيلاً في المساء قائلاً أنّه وجدته خلف رائوسن^(١).

«سيعود قريباً حتماً»، يقول تورة.

أومئ، أتذكر متعقّب جريتنا وستيسّة^(٢) الذي اصطدم أثناء جريه بغصنٍ حادّ تسبب في ثقبٍ رثته فاضطروا لقتله.

تمالك نفسك! أهزّ رأسي.

«عدا ذلك فإنّ هانس يشدّد على منعي من الخروج مع سيكستن إلى الغابة»، أقول وأنحنح. «يريد أن ينقله».

يضيق حلقي وأنا أقول ذلك.

«حتى الآن؟»، يتساءل تورة. «ما الذي يخشاه لهذا الحد؟»

«أن أقع فأكسر إحدى ساقي»، أقول.

(١) رائوسن (Ranåsen): الإشارة هنا إلى بحمّة رائوسن الطبيعية التي تقع على بعد كيلومترين شمال شرق مدينة أوستشوند في مقاطعة يمتلاند.

(٢) المتعقّب (بالسويدية: Stövare وبالإنجليزية: Scent hound): تسمية مستمدة من صفة مشتركة لأشهر أنواع كلاب الصيد التي تتعقّب رائحة الطرائد في الصيد، مقارنةً بأنواع أخرى تعتمد على بصرها أو تحسّسها أو سوى ذلك. أما جريتنا وستيسّة فشخصان.

هذا توضيح إنجريد على الأقل.

«ذلك واردٌ لشخصٍ في السابعة والخمسين، أليس كذلك؟»،
يغمغم تورة. «لكنك يجب أن تشعر بالسعادة لأنك تعيش خارج المدينة،
فهم لا يخرجون مع الكلاب في مشاوير هنا مثلما يفعلون، رغم كل شيء،
هناك مع سيكستن. مستحيل».

يُباغتني الإرهاق وأندم على ذكر مسألة أن هانس يريد نقل
سيكستن. يصيبني الحديث عن هذا الأمر بالكآبة. في الوقت نفسه يغمم
الهدوء صدري لكوني أتحدث مع شخصٍ يُصغي إليّ وأعلم أنه يريد
الخير لي.

«انتظر وسوف ترى. ستدبر إنجريد الأمر»، يقول تورة بعد حين.

أومئ، ويعلق نظري عند وعاء الماء الخاص بسيكستن.
نصمت لوهلة. يرتشف تورة القهوة بينما تتك الساعة الجدارية التي
ورثها عن أبويه عبر سماعة الهاتف.

رغم أننا لم نلتق منذ زمن فما زال بمقدوري أن أتذكر حركاته وهو
يتناول قهوته. كيف يرفع فنجان القهوة المورّد، الذي لا يتجاوز حجمه
نصف كرة تنس، إلى فمه بيدٍ راعشة. لا يملأ الفنجان أبداً إلى ما يزيد عن
نصفه حتى لا تندلق القهوة فتحرقه.

أسأله عما إذا شاهد شيئاً ذا قيمة في التلفزيون. يحب متابعة
المسلسلات. شخصياً، لست من محبي المسلسلات، ولكنني أحب
الاستماع إلى تورة وهو يحكي عنها.

«وكيف حال إلينور؟ هل اتصلت بك بعد آخر مرة؟»

لا أتذكر متى كانت آخر مرة تحدثت فيها مع حفيدتنا. ما إذا كانت بعد أو قبل آخر مكالمة مع تورة. يختلط الزمن والذكريات في مزيج أشعر معه أحياناً أنّ سنواتي الأولى معك أقرب لي من الأسبوع الماضي. يخطر لي مُعلِّميّ القدامى وزملائي في المدرسة وتعاودني ذكريات كنت قمعتها.

أحياناً ألاحظ على هانس أنني قلت شيئاً مجنوناً، شيئاً ينتمي إلى حقبة زمنية أخرى. يصيبُ نظرتهُ حزنٌ ويصمت، أو يبدأ في الحديث عن شيءٍ آخر. يدفعني ذلك للشعور بأنني غبي فأرغب في التوضيح ولكنه يبدو عندئذٍ كمن لا يريد الاستماع.

«كَلَّمْتُهَا قَبْلَ يَوْمين»، أقول رغم أنني لا أعرف. لكنّ حال ذاكرة تورة كحالِ ذاكرتي، لذا فإنّ حدث وحكيته له قصةٌ ما مرتين فلا بأس في ذلك.

«هناك آية إشاعات؟»

أضحك حتى يهتزّ نقالي على بطني وأحاول أن أتذكر شيئاً مما قالته إلينور قد يُعجِبُ تورة.

لطالماً أحبّ الإشاعات، خصوصاً إشاعات القرية، كما يسمّيها. أرى ذلك سخفاً منه ولكنه أمرٌ مضحك لأن تورة يغدو شديد الحماس. أحياناً أضحكُ نزاعات القرية لا لشيءٍ سوى لإمتاعه أكثر. أحلّي الحكايات كي تُناسبَ مكالماتِ الهاتف أكثر.

«إنها على علاقةٍ بشابين في الوقت نفسه. لا يعلم أحدهما شيئاً عن الآخر»، أقول بعد تفكيرٍ قصير.

لطالما أعجبها أن تحكي لجدها عن وقوعها في الحب أينما حدث
ذلك في العالم، مثلما تقول. وليس من النادر أن تجعلني حكاياتها أشعر
بالخجل ولكنني لا أظن أنّها تلاحظ ذلك.

يصفرّ تورة إعجاباً ويرنّ فنجانه وهو يضعه جانباً حتّى لا تندلق
القهوة.

«كنتُ أعرف تماماً أنّها شبيهة عمّها العجوز تورة»، يقول مستمتعاً.
«حسناً، إحكِ أكثر!»

الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر

يُشعلُ بو الموقد. الجو دافئ ولطيف، ولكن لا شمس في الخارج. سيكستن مفقودٌ بعد مشوارٍ في الصباح، ولكن بو يقول أنه سيعود ثانيةً بالتأكيد عما قريب. يتناول شطيرة باتيه الكبد مع الحليب والكريما بشهية مفتوحة. قد تكون عيناه أفضل قليلاً.

/ كالة

أستيقظ على طَرَقٍ خفيف هناك حيث أرقد على أريكة المطبخ.
طَيْفٌ داكنٌ يقف في الممر إلى المطبخ.
«هذا أنا، يا بابا».

أرمش عدّة مراتٍ فأستعيد وضوح البصر. الدنيا نهارٌ في الخارج.
أحاول النهوض لأجلس ولكنتني لا أقوى.
ينخلع هانس حذاءه ويدخل إلى المطبخ.

«لا أفهم لماذا تُصِرُّ على النوم خارج غرفتك هنا على هذه الأريكة
الصلبة»، يقول ويهزّ رأسه. «أليس لديك سريرٌ مريح في غرفة النوم؟»
أريد أن أُجيبه بأنّ أريكة المطبخ مريحة ونومي هانئٌ عليها. أُنَحِنُ
وأحاول ابتلاع ريقِي، ولكن ذلك يستعصي عليّ.

يذهب هانس إلى مغسلة الصحون ويجلب كأساً من الماء ويضعها
على طاولة المطبخ.

غيابُ الضَّغْطِ الذي يولِّدُهُ ثِقَلُ سيكستن على ساقِي يُسَرِّعُ في

تنشيطي. أَدْعُكَ وجهي ليقع بصري على سجلّ موظفي الرعاية. أتذكر
أنّ كآلة قال أنّه كتب شيئاً عن سيكستن.

«بابا...»، يقول هانس ويسكت.

أمدّ يدي فوق الطاولة لأغلق السّجلّ، لا أريد أن أُمْنَحَ نارَ حُجَجِهِ
مزيداً من القشّ. لأنه بكل تأكيد سيُقرّعني لهرب سيكستن. سيقول
أنني أكبر سنّاً من أن أستطيع العناية به.

لكنّ جسدي لم يستيقظ بعدُ، فإذا بي أنزلق على جانبي.

يحشر هانس نفسه بين طاولة المطبخ والأريكة ويُمسك بي تحت
إبطيّ ويرفعني إلى وضع الجلوس. يذهلني أنه قويٌّ إلى حدّ يستطيع معه
رفعي.

أتساءل مع نفسي كم كان عمره عندما توقفتُ عن الإمساك به من
تحت إبطيه ورفعته.

«أسرع، أسرع»، صاح ضاحكاً عندما كنتُ أبذل قصارى جهدي
وأنا أدور وأدور مطوّحاً به.

«أتدري...»، يقول ويسكت ثانيةً.

«نعم؟»

بيطءٍ يطلّقُ الهواءَ من رثتيه.

«يجب أن نتكلم عن مستقبل سيكستن».

أُشِيح بوجهي بعيداً. خلص، لا مفرّ، سيلاحظ قريباً غياب سيكستن
فيستعمل ذلك ضديّ.

ولكنه يقف صامتاً فقط ونظرته ثابتةً عليَّ فأرى فرصتي.

«كم يسعدني مرورك»، أقول لأجعله يفكر بشيءٍ آخر فلا يبدأ النَّبَشَ في ما على الطاولة.

يسحب أحد الكراسي ويجلس مبتسماً نصفَ ابتسامةٍ على عادته. يبدو كأنه يسمح لي بتغيير موضوع الحديث. أُغْلِقُ السَّجِّلَ بحذر بينما يُقَلِّبُ هانس بريدي.

يبدو مُتَعَباً فأنسى سيكستن لوهلة. أرقُب ابنتنا حيث يجلس قبالي ويتفحص فواتيري. أريد أن أقول له أن يعمل أقل، أن يأخذ الأمور على رِسلِهِ.

بإصبع واحدة يفلق أحد الأظرف.

«واضح أن الجو صار أدفاً؛ كهرباء أقل هذا الشهر»، يقول ويضع الفاتورة على جنب.

أريد أن أطلب منه الرِّفْقَ بنفسِهِ والحذر أكثر. لكنَّ الكلماتِ تتغيَّرُ دون سيطرةٍ مني وتصير ناتئةً وثقيلةً في الفم.

«بلى، لكنني أُوَقِّدُ كذلك»، أغمغم وأفكر بأن الأمور تسير بلا تعقيد مع تورة. أنَّ الكلماتِ معه تجري بسهولةٍ جريانِ المياه التي كنا نصطادُ فيها.

لا يزال الجمر متأججاً في الموقد. ينهض هانس ويضيف قطعةً من الحطب وينفخ في الجمر بحذر، مثلما علَّمته. يبدأ اللهبُ بالتراقص بُعيدَ ذلك فيعود إلى الجلوس.

«كيف تسير الأمور في العمل إذن؟»، أسأل بعد فترة.

«الأمور بخير»، يقول وَيَذَعُكَ وَجْهَهُ. «لقد بدأت للتوّ في مشروع جديد».

تَعْلُقُ نظرته عند النار ويحشر عمله نفسه في ما بيننا. عمله الغريب. لو أنّه كان رئيساً للوزراء كنتُ سأَتَفَهَّمُ أنّ عليه العمل على مدار الساعة. أمّا أن يحدث ذلك في شركة لا فائدة تُذكر لأحد فيها، فهذا الغز في نظري. ينهض ويمضي إلى حيث الطّباخ ويشغل الغلاية الكهربائية. يخرج كابسة القهوة وكوبين. القميص فاتح اللون مشدود على ظهره.

لم تكن الحال هكذا دائماً. عندما كان صبيّاً كانت محادثتنا تجري بسهولة، كان من المستحيل إسكاته. ما كدتُ مرةً أمدّ ساقِيّ على أريكة المطبخ بعد يوم عمل حتّى ينطّ ليجلس عند قدميّ ويبدأ بالحديث عن يومه. لم يكن مهمّاً أبداً أنّ أغلب الأيام تشابهت، فقد كان متحمّساً للكلام عنها كلّ ليلة.

«الآن دورك»، كان يقول عندما ينتهي، مربّثاً بكفه على ساقِي. كنتِ تبْتَسِمِينَ وأنتِ تُقْلِبِينَ السُّرُومَنج^(١) في فُتات الخبز. لم تتكلّمي كثيراً لكنك أحياناً كنتِ تضحكين أو ترمين سؤالاً ما. «والغداء؟ مع من أكلت الغداء؟» كان هانس يسأل إذا ما نسيت الغداء في تقريرِي.

يقف ابنا في المطبخ ويُعِدُّ القهوة والمشاعر تتصارع في صدري.

(١) سترومنج (Strömning): نوعٌ من أنواع سمك الرنجة يتم اصطياده في بحر البلطيق، تحديداً في أغلب البقعة المواجهة لسواحل السويد.

«عندي مازارين في العلبة المورّدة بجانب خزانة المؤونة»، أقول رغم أنني بدلاً من ذلك يجب أن أجعله يغادر في أقرب وقتٍ ممكن، حتّى لا يكتشف غياب سيكستن. لكنني أريد أن يبقى، حتى أسأل عن أموره. وكيف حاله.

أريد أن أسأل إن كان قد خرج للرقص مؤخراً، أم فعل ذلك في الهاتف. تقول إنجريد أنّ نوادي الرقص اختفّت. أنّ الناس صاروا يفعلون كل شيء عبر هواتفهم.

«أعرف، هل تريد واحدة؟» يسأل ويخرج واحدة لنفسه.

أنا شبهان كالعادة لكنني أوافق مع ذلك. الحلويات هي الشيء الوحيد الذي لا يزال يحتفظ بطعمه المعتاد.

أرمق الجرة وشالك الذي يغطيها بنظرة سريعة متسائلاً عما كنت ستقولين لو كنت هنا. كنت حتماً ستسألين هانس شيئاً يجعله يتسم وكنت على الأغلب ستأخذين قطعة مازارين مثلنا.

«طيبة»، أقول رافعاً المازارين. ليست سهلة المضغ. يتدحرج بعض فتاتها من شدقي ليعلق في لحيّتي.

يناولني هانس منديلاً ويومئ. أشعر بأنني سخيّف.

«سأذهب مثلما أخبرتك إلى برونكولا جوردن يوم السبت، أما زلت تريد الذهاب معي؟»

كلّا، لا أريد، أفكر مع نفسي وأخذ رشفة من القهوة.

«أعرف أنك في الحقيقة لا تريد»، يقول ويسكت. «ولكننا لا نستطيع تركها مهجورة تماماً هناك، أليس كذلك؟»

مهجورة؟ مَنْ الذي هجر مَنْ، أردتُ أن أسأل. يكاد أن يكون مستحيلاً أن تكوني تلك التي تجلس هناك ومعها ذكريات حياةٍ كاملةٍ في جسدٍ يذبل ليتلاشى ببطء.

أشدّ كتفيّ لا مبالياً. أقضم قضمَةً من المازارينة وأعيدها إلى الصحن. صارت التجعيدة التي بين حاجبيّ هانس أكثر بروزاً بمرور السنين. عندما كان أصغر لم تكذُ تُرى. أما الآن فهي من العمق بحيث علّق وسخّ داخلها؛ قذارةٌ سوداء.

وعاء ماء سيكستن فارغ، وأتعجب لأن هانس لم يلاحظ حتّى الآن أنه ليس هنا.

أزيزٌ في جيب هانس يدفعه لإخراج نقاله بسرعة والاختفاء بعيداً في غرفة المعيشة.

بعد حينٍ يعود ويجلس على الكرسيّ بينما هو ينگّس نظره إلى الهاتف. شعور الرغبة في إقناعه بما هو خيرٌ له، في جعله يختار طريقاً أخرى في الحياة، يجتاحني مرةً أخرى. ولكنني أعرف أن مصير ذلك هو الفشل. لقد مضت عقودٌ منذ أن أصغى إليّ إصغاءً مَنْ سيتعلّم منّي شيئاً.

«إسأله شيئاً بدلاً من أن تصيح به هكذا»، قلتُ في إحدى الليالي بعد العشاء. «استمع إلى ما يريد قوله ولو مرةً».

لم يكن ذلك عادياً، لم يكن من عادتك أن تتدخل في كيفية تربيته لابننا. كنت تقشطين بإمعانٍ قالبَ الجراتان لِتُفرّغي بقايا لفافة اللحم المفروم في علبة بلاستيكية.

«أتريديني أن أستمع إلى ذلك الهذر اللعين عن الشركات والحرية في كذا وكذا؟» قلتُ وضربتُ طاولة المطبخ بالجريدة.

لم تردّي. لم تفعلني شيئاً سوى رفع غطاء القدر لتنظري داخله للحظات، ثم عدّدت بصمتٍ، لتضعي بعد ذلك القدر والعلبة البلاستيكية في الثلاجة.

«توجد علبتا طعام لغداء يومين في عملك»، قلتُ واستدرتُ كي تصبّي الماء الساخن في مغسلة الصحون.

بينما هانس منشغلٌ بهاتفه النقال أدركُ أنّك كنتِ على حق. أريد أن أقول له أنّني أسأتُ حين كنتُ أصيح به. أنّ الأجدد بي كان أن أستمع إليه أكثر. أنني أفهم ذلك الآن.

لوهلةٍ أرجّحُ إخبارَ هانس عن سيكستن، فربما باستطاعته مساعدتي في البحث عنه. لكنّه في النهاية سيستخدم ذلك ضدّي.

ولا أكاد أسأله كيف حاله حتّى ينتشر شيءٌ دافئ بين ساقّي. تسخن وجنتاي وأغمضُ عينيّ. البنطال جافٌ وأنا ممتنٌّ لأن كالة أصرّ على الحفاظة قبيل الظهر.

شيءٌ ما مؤلمٌ يسكن نظرة ابنتنا، شيءٌ يتوسّل تقريباً.

«كلا، لا نستطيع تركها مهجورةً تماماً»، أقول بصوتٍ يكاد يحشرج.

يومئٍ ويُحَيِّلُ لي أنني أرى ابتسامةً. نجلس صامتَيْنِ لوهلةٍ ننظر إلى بعضنا البعض. ثم ينهض بسرعة.

«يجب أن أذهب الآن، سنتكلم عن سيكستن في المرة القادمة»،

يقول.

يغلي الغيظ داخلي.

«أو كي؟» يقول محاولاً لَفْتَ نظري.

أَتَكِي مُسْنِداً ظهري إلى الخلف على الأريكة وأشيحُ ببصري.

الساعة السادسة والنصف مساءً

بو نائمٌ على أريكة المطبخ حين أصل. أسلق بطاطا ورنجة للعشاء وأضع الطعام على الطاولة. لا أرى سيكستن، ولكنني لا وقت لدي كي أتصل بهانس الآن. أطلب من بو أن يبقى داخل المنزل.

/ يوهانّا

لم يَظُلْ الأمرُ أبداً كُلَّ هذه المدة من قَبْلِ. أذهبُ على فتراتٍ إلى باب البيت كي أرى ما إذا كان جالساً هناك لكنّ الخواء يعوي في الشرفة كُلَّ مرة. في النهاية أترك الباب مفتوحاً.

تسرح الأفكار إلى سيكستن في الغابة، الأيَّلين اللذين يعدوانِ عبر الأرض المقطوعة الأشجار، كيف يسبح الجسدانِ الكبيرانِ فوق أعقاب الجذوع المقطوعة والأجمات وسيكستن في إثرهما.

قَبْلَ أن يَتَقَادِمَ الليلُ يجبُ عليَّ الاتصالُ بهانس وطلب مساعدته. لا يمكن للكلب أن يظلَّ وحيداً في الخارج طوال الليل. ولكنني قَرَرْتُ أن أَفَرِّغَ من تناولِ العشاء قبل اتصالي به. أن أعطي سيكستن مزيداً من الوقت.

أضع قِطْعَتَيْنِ من الرنجة في الصحن. إن لم يَعُدْ سيكستن فسوف ينال هانس مراده.

وأنا أضع آخَرَ قِطْعَةٍ رنجة في فمي يُطْرَقُ الباب. أضع الشوكة في الصحن وألقت إلى جهة الشرفة.

يدلف صوتُ ماريتا إلى المطبخ:

«بو؟ أنت في المنزل؟»

أُنْحِنُجُ وأرتشف جرعةً من الحليب كي أصفّي حلقي. تخلع جزمها وتفتح سَحَابَ سترتها.

«أدخلي»، قلتُ وهي تدسّ رأسها بين مصراعَي الباب المفتوح.

«أنظر ماذا وجدت على جانب الطريق عند المنعطف إلى بيتك تماماً عندما كنت أتمشى مع شُوثة»، تقول رافعةً باقةً من عشبة السعال^(١). «قلتُ لنفسي أنك تحتاج إلى علامةٍ على قدوم الربيع بعد هذا الشتاء الطويل».

تمدّ ماريتا يدها بالزهور، أكاد أفلتها فسيقانها أقصر من أن تقبض عليها أصابعي السميكة. تمضي إلى الحنفية وتأخذ كوباً من منشّر الصحون وتملأه بالماء.

«ما رأيك بهذا إذن؟» تقول وهي تضع الكوب على الطاولة وتغرز فيه الأزهار. تسحب كرسيّاً وتجلس.

«لديّ رنجة على الطاولة»، أقول وأشير بيدي إلى علبة الرنجة. «لذا فلا حجة عندي للتذمّر».

ربما يجدر بي أن أقول شيئاً عن سيكستن.

(١) عشبة السعال، أو الفرفرة أو دوسة الحمار (بالسويدية: Tussilago وبالإنجليزية: Coltsfoot): من الأعشاب البرية المعمّرة، ذات أزهار صُفْر وحراشف أرجوانية على سيقانها التي تنمو حتى ثلاثين سنتمراً. تُستَخدم أوراقها وزهورها ضد السعال في عموم شبال أوروبا منذ القدم.

أنهض لأجلب كوب قهوة لها. أترنح فأتشبث بحافة الطاولة.

«إجلس، لا أحتاج شيئاً»، تقول بسرعة.

«إه»، أقول وأنتظر هنيهة حتى أستعيد توازني.

خرَجَت الكلمة مني أقسى مما قَصَدْتُ لذلك أبتسم لماريتا. أصبّ كوبين من القهوة وأعود إلى طاولة المطبخ.

«السُّكَّر موجود هنا»، أقول وأدفع نحوها وعاء السُّكَّر الخَزَفِيّ الأصفر الذي ورثناه عن أبويك.

ترفع الغطاء وتضع قطعتي سُّكَّر في كوبها. أظافرها المُقْلَمَةُ قدرة.

«أين سيكستن؟» تسأل وتنظر متعجبة في أنحاء المطبخ.

شيءٌ صغيرٌ داخلي يتحرر فأخبرها عن نزهتنا الصباحية. عن الأيائل وسيكستن والمطاردة. يتدفق كل شيء مني هكذا.

«ولكنّ الاسم ورقم الهاتف مكتوبان على طوقه، أليس كذلك؟»

تسألني. «والجميع يعرف أنّ سيكستن لك، لذا سيّصلون بك».

أومئ وأشعر بتَحَسُّن. كانت الفكرةُ فكرتي، أن نرسل منشورات إلى الجميع تتضمن صوراً لكلاب أهل القرية. حتى يتعرف الجميع عليها في حال فُقِدَ أحدها.

«ولكنّ، ألم يتصل أحد بعد؟»

أهز رأسي.

«انتظر، سأرى في فيسبوك»، تقول وتُخْرِجُ نَقَالَهَا.

كيف ستعرف أين سيكستن بالهاتف النقال؟

«سأكتب في مجموعة فُرُوكَنُجْ أيضاً، من يدري، ربما يكون قد ابتعد كثيراً إذا كان بقي يطارد الأيائل».

أومئ موافقاً لكنني لا أفهم ما هي مجموعة فُرُوكَنُجْ.

«هكذا تماماً، الآن سنرى ما إذا كان أحدهم سيُجيب»، تقول وتضع النّقال على الطاولة. «هل نزلت إلى مركز القرية مؤخراً؟»

«كلا، لقد مضى زمن طويل على ذلك. هانس هو من يتبصّع لي ولذلك فليس لدي ما أفعله هناك»، أُجيبُ وأرتشف بعض القهوة. محترقة الطعم.

«أنت تذكُرُ قطعة الأرض التي اقتطعتُها رُوتس، يُشارف البيت على الانتهاء الآن. تقول وتشفط قهوتها. «يا له من منزل، يمكن أن يسع ثلاثة بيوت بحجم بيتك».

تهزّ رأسها.

تسكن روتس على الجهة الأخرى من الطريق قُبالة منزل ماريتا وتمتلك نصف الغابة في القرية. النصف الآخر ملكٌ لماريتا وزوجها نَيْلا. وهما يسكنان في وسط القرية تقريباً، في واحدٍ من أقدم المنازل. كنت ذهبت إلى المدرسة مع أبويها، رولف وجونيلا. كانا يملكان مزارع وكثيراً من الحقول والغابات التي ورثتها عنهما.

وهي تؤجّر الحقول الزراعية لِمُزارعٍ من القرية المجاورة. أما الغابة فهي تعتني بها مثلما كان والدها يفعل، فلا تسمح بقطع الأشجار ولا اقتطاع الأراضي لمشاريع البناء الجديدة.

لولا زيارات ماريتا المتباعدة لما شممتُ خبراً عما يحدث في

القرية. لم أعد أسأل هانس لأنه لا ينتبه لهذه الأمور ويبدو أنه لا يهتم بها أصلاً.

«كنت هناك ومعى قائمة بأرقام هواتف وقطعة من اللحم»، تقول وتُقلِّب صفحات جريدة المقاطعة المُلقاة على الطاولة. «زوجان شابان، وما هي إلا مسألة وقت حتى يأتي الأطفال».

أومى. كانت قائمة أرقام الهواتف فكرتي والأكلة الطيبة اقترح ماريتا لاستقبال من يتنقل للسكن في قريتنا. لقد أحسنّا العمل معاً في فريق القرية. أنجزنا الكثير. نيلا راعي رنة^(١) ولهذا فهو يغيب فترات طويلة، ولذا ومنذ أن انتقل أولادهما فقد توفّر لديها الكثير من الوقت. «صاروا يبنون بنايات كبيرة في الآونة الأخيرة»، أقول موافقاً وأخذ جرعة أخرى من القهوة. «بلا كلاب؟».

«بلى، هنالك كائنٌ صغيرٌ أجعد الشعر»، تقول متصنعة التجهّم. «أخبرتني أن من عادتنا أن نصوّر وننشر صورة كل كائنٍ يمشي على أربع في نشرتنا».

أومى موافقاً.

«وكيف الحال في الإدارة؟» أسأل بعد حين.

تُبدي ماريتا بكتفيها علامة اللامبالاة.

«إه، نعم. ليست الحال كما كانت سابقاً».

(١) الرنة (بالسويدية: Ren وبالانجليزية: Reindeer): أحد أنواع الأيائل، وهو النوع الوحيد الذي أمكن تدجينه، فمنه البرّي ومنه المُدجّن.

لقد مضت سنواتٌ عديدة منذ أن تركتُ الإدارةَ وأغلب الجُدُهم
ممن انتقلوا حديثاً.

«إنَّهم كثيرون المشاغل، لو تدري. لا وقتَ لديهم أبداً».

أضع الكوب جانباً وأنظر إلى ماريتا.

«إنَّهم يريدون أن تنقضي الاجتماعات بسرعة. لا وقت لدى المرء
حتى لتناول كعكته»، تقول وتهزُّ رأسها.

«أتساءل أحياناً عما يستوجب كل هذه العجلة منهم».

«ممم».

تأخذ رشفة.

نجلس صامتَيْن لفترة. حتَّى هانس يجري ويدور حول نفسه دون
أن يعرف حقّاً إلى أين هو ذاهب. شباب هذه الأيام مصابون بلَوثة ما،
فهم في جريٍّ دائمٍ وكأنما لم يتبقَّ لهم في الحياة سوى أسبوع واحد.
لو كان سيكستن هنا، لكانَ ذهب إلى ماريتا بالتأكيد، ليضع رأسه
في حِجرها ويدعها تحكّه.

«ابنةُ أو كَسُون التي تسكن عندَ المنحدر تُوسِّعُ منزلها، سيكون هناك
مُتَّسعٌ لثلاث سيارات»، تقول بعد حينٍ وترفع حاجبيها.

«حقّاً؟ هل ستعود إلى منزلها؟»

«لا، أعتقد أنَّهم سيقفون هناك وربّما يأتون إلى هنا صيفاً. ولكن،
ثلاث سيارات؟» تُكرِّرُ وترتشف من قهوتها.

أفقهقه ضاحكاً.

«اللعة، أنتِ نفسكِ تملكينَ ثلاثةَ جرّارات»، أقول وتنتابني نوبة سعال وأنا أوشك على رفع كوب القهوة إلى فمي.

تضحكُ وتنهض وتدور حول الطاولة. تضرب بقبضتها بين دفتي كتفي كي تعينني على إخراج البلغم.

«الجرّارات شيء والسيارات شيء آخر تماماً»، تغغم. ثم يأتيها تنبيه في هاتفها.

تَمَرُّرُ سَبَّابَتِهَا على الشاشة وتضغط على أحد الأشكالِ الملونة.

«لقد ظل يجري حتّى أعالي فُروكَنج، الملعون».

«سيكستن؟ هل وجدته؟»

يغمرني شعورٌ بالارتياح لا أملك معه إلا أن أبتسم.

تبتسم ماريتا بدورها وتومئ بالإيجاب في الوقت نفسه الذي يلهو فيه إبهاماها على الشاشة.

«يقولون أنّهم حاولوا الاتصال على الرّقم الموجود على لوحة الاسم».

«لم يتصل بي أحدٌ»، أقول عابساً. هنالك دوماً خطأ ما في الهواتف النّقالة.

«أهذا هو؟» تسأل وهي ترفع هاتفها وأجيبها بأن ذلك صحيح. «لديك خمسة اتصالات غير مُجّابة»، تقول وتهز رأسها مُبتسمةً.

«الصوت مكتوم تقريباً، سأرفعه لك».

تلهو ماريتا بالهاتف ولا أستطيع الكفّ عن الابتسام. ليست المسألة

أثم وجدوا سيكستن فقط. لقد أفلحتُ عدا ذلك في تدبير الأمر دون طلب المساعدة من هانس.

تنهض ماريتا وتدُسُّ نَقَّالَهَا في جيبتها.

«سأذهب إلى المدينة الآن ويمكنني أن أجلبه في طريق عودتي»، تقول وتُعِيد الكرسي إلى مكانه. «شكراً على القهوة. سُررنا برؤيتكم».

تغيب عن بصري خارِجَةً نحو الشرفة قبل أن أتمكّن من شكرها حتى.

أميل فوق طاولة المطبخ وأقبض على السَّجِّل. أشطب على جميع الملاحظات المدوّنة عن اختفاء سيكستن ثم أرقد راضياً على الوسادة.

بعد بضع ساعات تعود ماريتا. يركض سيكستن ويقفز إلى أريكة المطبخ. كنت مستيقظاً فسمعت السيارة تنعطف عند المنعطف؛ مستلقياً على الأريكة، مستعداً لعودته.

أشعرُ كأنني أكاد أنفجر سعادةً من الداخل عندما يقفز. يضغط داساً أنفه تحت إبطي ويستلقي فيأخذ وضعه كما ينبغي. أُمسِّدُ جانبه، فراؤه بارد.

«كان من رآه يجري في الغابة زوجانٍ من المنتقلين حديثاً إلى القرية فربطاه وأخذهاه إلى بيتهما»، تقول ماريتا وهي تدخل دون أن تنزع سترتها. «بدّوا لطيفين، وهي طيبة نفسية من فكشو».

أتطلّع إليها حيث تقف هناك ويدها على طاولة المطبخ. «شكراً».

تبتسم ماريتا ونصمت.

«ما أقربه إلى القلب»، تقول بعد هنيهة ونظرتها مُثَبِّتَةٌ على سيكستن.
لا أستطيع مَنَعَ نفسي مِنْ أن أشعر بالفخر.

السبت ١٠ يونيو

الساعة الثامنة والرّبع صباحاً

بو مستيقظ ويعبث. سبق له أن أكل ويريد شايّاً وشطيرةً فقط. أجلب حطباً إلى الداخل وألتقط بعض الأزهار. بو مكتئب قليلاً، ويقول أنه لا يريد الذهاب إلى برونكولا جوردن وزيارة فريديكا . يتناول دواءه.

/ إنجريد

أنا في الورشة وأبحث. أعرف أنها هنا في مكان ما، صور إلينور وهي طفلة. الضوء واهن ويصعب عليّ أن أرى كما ينبغي. يغيظني أن صناديق التخزين مرصوفة رصاً مُحكماً إلى بعضها البعض وأن أغلبها يفتقر إلى مقابض. عليّ بذل جهد مضاعف لأتمكّن من حشر إصبع في كل جانب من جانبي الصندوق. أضني نفسي إلى حدّ الغرق في عَرَقي لكنني في النهاية أفلح في إخراج أحد الصناديق.

إنّه مليء بالأوراق، وبطاقات المعايدة والصور، ولكنني أعرف تماماً عن أيّ الصور أبحث فلا ألقى نظرة حتّى على غيرها.

أتعب، يريد الجسد العودة إلى أريكة المطبخ. أنظر إلى الكرسي المنزوع الظهر الذي ينتصب دون قصدٍ أمام طاولة العمل على مسافةٍ مني. ثم أجدها. إلينور ترتدي زيّ نحلةٍ من أجل المسرحية المدرسية في الصف الخامس. كم كانت فخورةً وكذلك نحن. في إحدى الصور تمسك بيدي، حيث نقف خارج مدخل المدرسة في بُولفيكَن وهي تبسم ابتسامةً عريضة وتقف متصبّة القامة. لا أعرف من أين حصلت عليه، ذلك الزيّ، ولكنها بالفعل تشبه نحلة كبيرة.

أَمْسَحْ عَلَى وَجْهَيْهَا بِإِبْهَامِي. سِيفَرَحْ هَانَسْ بِهَذِهِ الصُّوَرِ. سَتُحَسِّنُ
مَزَاجَهُ. لَنْ تُغَيِّرَ رَأْيَهُ فِي مَسْأَلَةِ سِيكَسْتَنْ فَقَطْ، أَفْكَرْ وَأَلْمَلِمُ صَوَرَ
النَّحْلَةِ، بَلْ سَتُحَسِّنُ الْأُمُورَ بَيْنَنَا.

أَدْفَعْ بِكُلِّ قُوَّتِي لَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ لَا أَفْلِحُ فِي إِعَادَةِ الْكَارْتُونَةِ بِالْكَامِلِ
إِلَى حَيْثُ كَانَتْ. أَنْهَارَ عَلَى الْكَرْسِيِّ. أَتَذَكَّرُ أَنَّنِي قَطَعْتُ مَسْنَدَ الظَّهْرِ
بِالْمِنْشَارِ حَتَّى يَكُونَ عِنْدِي مَا أَقِفُ عَلَيْهِ عِنْدَمَا كُنْتُ أُعِيدُ طِلَاءَ غُرْفَةِ
هَانَسْ؛ شَيْءٌ يُسَهِّلُ الْوُصُولَ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْعَالِيَةِ.

لَا تَزَالُ عَيْنَايَ مَتَهَيِّجَتَيْنِ، تَدْمَعَانِ وَفِيهِمَا حِكْمَةٌ. أَغْمَضُ لِبُرْهَةٍ.
أَفْكَرْتُ بِتَوْرَةٍ، بِأَنَّهُ لَيْسَتْ لَدَيْهِ الْإِنُورُ. سَتَمُوتُ عَائِلَتُهُ مَعَهُ. حِينَ سَيَتَوَقَّفُ
قَلْبُهُ سَتَكُونُ نِهَايَةً تِلْكَ السَّلَالَةُ. أَشَدَّ عَلَى الصُّوَرِ فِي يَدَيَّ. بِطَرِيقَةٍ مَا
سَأُوَاصِلُ الْعَيْشَ مِنْ خِلَالِ الْإِنُورِ. رُبَّمَا سَتَحْكِي لِأَطْفَالِهَا عَنْكَ وَعَنِّي.
يَا تَرَى مَا الَّذِي سَتَقُولُهُ عِنْدئِذٍ؟

أَنْظُرْ إِلَى الصُّوَرِ. كَانَ هَانَسٌ شَدِيدَ الْفَخْرِ حِينَ وُلِدَتْ الْإِنُورُ حَتَّى
أَنَّهُ لَمْ يَكْفَ عَنْ الْحَدِيثِ عَنْهَا أَبَدًا. كُلُّ حَرَكَةٍ صَغِيرَةٍ قَامَتْ بِهَا كَانَتْ
رَائِعَةً. لَمْ تَكُونِي بِحَاجَةٍ لِتَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ، فَالْكَلِمَاتُ كَانَتْ تَأْتِي لِحَالِهَا.
كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى بَعْضِنَا الْبَعْضَ بِطَرِيقَةٍ مُمِيزَةٍ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، وَكَأَنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُ
شَيْئًا لَا يَعْرِفُهُ سَوَانَا. تَقَاسَمْنَا شَيْئًا لَا يَمْلِكُ سَوَانَا إِمْكَانِيَّةَ الْوُصُولِ
إِلَيْهِ.

هَذَا التَّفَكُّيرُ يَصِيبُنِي بِالْغَمِّ. يَعُودُ الْحَدُثُ لِيَمِزُقَ فِيَّ. أَتَذَكَّرُ أَنَّنِي
سَأَذْهَبُ إِلَى بَرُونْكَوْلَا جُورْدَنْ لَاحِقًا الْيَوْمَ، أَنَّنِي سَأَلْتَقِيكَ. أَنَّكَ سَتَنْظُرِينَ
إِلَيَّ كَمَا لَوْ كُنْتُ غَرِيبًا، شَخْصًا لَا يَنْتَمِي إِلَى عَالَمِكَ.

يوماً ما قد يجلس هانس هكذا، ناظراً إلى صورة قديمة لأطفال إلينور. ربّما سيكون الاتصالُ بخدمةِ الرعايةِ المنزليةِ مسؤوليّةً إلينور. يصعب عليّ تخيلُ هانس مُسنّاً إلى هذا الحد. لن يسمح أبداً للحَيّةِ وشعرِه أن يَطُولا كما فعلتُ أنا. سيظل يحلق ذقنه ويضع عطر ما بعد الحلاقة حتّى هلاكه. أحكّ لحيتي، أبتسم وأهزّ رأسي.

كيف سيكون ردُّ فعلِه حين تقول إلينور أنه لا يستطيع العناية بنفسه؟ مَنْ سيكونُ عندما يكفّ عن العمل وعندما يبدأ جسده بالاستسلام على عادة أجساد المسنّين؟ أدركُ فجأةً أنّه ربما يصبح مثلك، ينسى إلينور ويقضي أيامه بلا هدى. أقطّب بشدة وأهزّ رأسي، لا أريد التفكير في مثل هذا.

شعور الرغبة في وضع الأمور في نصابها ينتابني ثانية، أريد أن أفعل ما هو خيرٌ لهانس. تصير ساقاي أقوى فأنهض. أحرص على أخذ الصور معي.

حين أدخل أجد سيكستن يجلس في وسط المطبخ في انتظاري. يتسلّل ضوءُ بداياتِ الصيفِ الدافئِ إلى الداخل فإذا بفرائه المُرَقَّط باللونِ الرماديّ يبدأ بالتألّق. أغرز يدي الحرّة حيث الفراء أكثف ما يكون، في الأعلى عند الرقبة، فيزجر، على عادته حين يشعر بالسّرور. يتسبب الغيظ بارتعاش يدي ويعود ذلك الشعور بالحدّش في أضلاعي. أرغمُ على الكفّ عن تمسيد سيكستن. بهذه السرعة أغضب. شيءٌ ما داخلي يشتعل؛ هكذا.

أفكر بسيكستن وأفكر بهانس. أرمي الصور على الطاولة. لو أنّ

إلّينور كانت ابتي لا حفيدي، لو أنّ القرار كان بيدها لا بيد هانس،
لكانت الأمور أفضل.

ما كانت أبداً لتأخذ سيكستن مني.

الساعة التاسعة والنصف صباحاً

آتي لأصطحب أبي حتّى نذهب لزيارة أمّي في برونكولا جوردن.
سيبقى عندي على الغداء بعد ذلك. أكملُ نواقص الطعام وورق
التواليت والصابون.

/ هانس

رغم أنني أعلم أن لا جدوى من ذلك، أرتدي القميص الذي
أهديتنيهِ في عيد ميلادي الثمانين. لن تُمَيِّزِيهِ ولكنَّكَ قد تريَنه جيلاً مع
ذلك.

الشَّعْرُ نائمٌ على رأسي كما ينبغي له. تَتَّبَعُ نظرتي المشطَ في مرآة الحمام.
أسحب شعري الرماديَّ الطويلَ إلى الخلف. حين يكون مغسولاً للتَّو،
ينزل جافاً على الجوانب. الآن يظل في مكانه، فهو دهنيُّ بما فيه الكفاية.
يبدو الوجه الذي في المرآة نحيلاً بينما الأكياس التي تحت العينين
تتدلى. أندم على عدم طلب المساعدة من إنجريد في تشذيب اللحية حول
فمي، فهي تبدو شعثاء حين تنمو حول الفم. أحكّ ذقني. كان من عادة
إلّينور في صغرها أن تقول أنني أشبه بابا نويل.

صور النحلة الإلّينورية مصفوفة على طاولة المطبخ كي لا أنسى.
وإذا نسيت فعسى أن يلمحها هانس مع ذلك. سأعطيهِ الصورة التي
تجمعني بإلّينور.

حين أسحب شاربيَّ الطويلين إلى الجانبين يخطر لي أن من المستحسن

ربّما أن أستخدم ظرفاً، لحماية الصور. أفكّر للحظات، يُفترَض وجود
أظرفٍ في المخزن خلف المنزل. الصندوق، الذي حفظت فيه الأقلام
والأظرف وورق الرسائل والأشرطة اللاصقة، لا يزال هناك.

يدوس سيكستن على كاحلي فأكاد أتعثر فوقه أثناء مروري بغرفة
المعيشة فاتحاً الباب الخلفي المؤدي إلى الجزء الخاص بالمخزن من البيت.
يلاحظ سيكستن أنّ شيئاً ما يوشك أن يحدث، فليس من المعتاد أن أتأتّق
هكذا.

أشعل المصباح وأبحث عن الصندوق الأخضر.

«بابا، أنت هنا؟»

ألتفتُ فألمح هانس؛ يرتدي قميصاً أزرق وبنطالاً من الجينز.

«ها أنت، لماذا لا تُجيب؟»

لا أُمْنَحُ وقتاً كي أنبس بشيء. أحياناً تتعالى سرعة العالم عندما يأتي
هانس. كما يحدث عندما يُسرّعُ المرءُ فيلماً يشاهده. لا أكاد أنتهي من
التفكير في شيء، حتى يحدث شيء جديد.

«أنت تدرك أنني أقلق»، يقول ويقطّب حاجبيه، «عندما لا تُجيب

هكذا».

أُغلقُ باب المخزن وأرى كيف يدخل هانس إلى الحمام ويفتح الخزانة
التي فوق سخّان المياه، حيث أحتفظ بورق التواليت.

على الفور أشعر بالخزي ولكنني لا أزال عاجزاً عن إيجاد الكلام. في
الوقت نفسه أجد صعوبةً في تذكّر السبب الذي غمرني الشعور بالخزي
لأجله فأصاب بالحيرة.

«حسناً، حسناً»، يقول هانس ويغلق الخزانة بسرعةٍ دون أن يخرج شيئاً منها. «هل أنت مستعدّ؟»

مستعدّ لماذا؟ أجد وقتاً كافياً لأقول ذلك لنفسي قبل أن يُعلِمَنِي هانس: «سنذهب إلى أمي اليوم، أنسيت؟»

أقابلُ نظرةَ ابنتنا. لديه دوائر داكنة تحت عينيه تبدو مثل التي لديك. فيما عدا الفم والذّقن، اللّذين كنتِ ترين أنه ورثهما عن جهتي من الأقارب، فإنّه يشبهك. الجبهةُ العاليةُ نفسُها وكذلك الأنفُ المدوّر. تذهلني غرابةُ كونهٍ مزيحاً منا في شبابتنا. كما أتذكّرنا. ولكننا الآن غريبان مختلفان.

«كلاً، لم أنسَ»، أقول بعد هنيهة وأستدير بحزمٍ قائلاً: «ألنْ نذهب إذن؟»

أذهب مباشرةً إلى الرّدهة وأغرّز قدميّ في حذاء المناسبات الأنيق.

يساعدني هانس في العثور على حزام الأمان ويغلق باب السيارة خلفي. في هذه الأيام يصل المرء إلى المدينة بسرعة، في ثلاثين دقيقة فقط. أيامَ العبّارة، قبل مجيء الجسر، كان الأمر يستغرق ثلاثة أرباع الساعة على الأقل. خارج نافذة السيارة يعبرُ البيتُ الذي كانت مُصَفِّفَةُ شعركِ القديمةُ تسكنه. لقد رَبَّتْ تِلالاً من الجراء الصغيرة البيضاء جعداء الفراء والشعر التي كنا نضحك عليها. أسميناها الكلاب الوهمية. لقد مضى زمن طويل على ذلك وصالون الحلاقة أغلق. ربّما لا تكون على قيد الحياة حتّى.

«قريباً سيأخذون الشهادة»^(١)، يقول هانس ويومئى باتجاه عصابة من المراهقين الذين يقفون عند محطة الباص. «تخيّل أنّ أربع سنواتٍ قد مرّت منذ ركضت إلّينور على تلك السلام». يُطلقُ تنهيدة.

أومئى موافقاً ولكنني بالكاد أتذكر. أعرف أنّ عندي صورةً مُثبتةً على الثلاثة لإلّينور مرتديةً القبعة التقليدية، ولكنني لا أتذكر شيئاً من اليوم الذي احتفلنا بها فيه.

«كان يوماً جميلاً»، أكذب وتمضي أفكاري بعيداً نحو يوم تخرّج هانس. كنا فخورين إلى حد أننا دفعنا نصف تكاليف إجازة السياقة. أنفقنا ميزانية سفرة الصيف دون تردد.

لم يُخبرنا أنّه قدّم أوراقه للجامعة حتّى الأسبوع الأخير قبل موعد انتقاله. أثناء الصيف قضى وقته بلا ضوضاء وكنا نعرف أنّه يتطلّع غالباً إلى البدء بمشروع خاصّ به، ولكننا لم نظنّ أبداً أنّه يوشك على الانتقال إلى مدينةٍ بعيدة كأوبسالا.

أثناء دراسته في الإعدادية كان يتحدث عن رغبته في فتح شركة.

(١) للتخرج ونيل شهادة المرحلة الإعدادية في السويد (وعموماً دول اسكندنافيا) طقوس فرح يمارسها الطلاب المتخرجون تبدأ مع اقتراب نهاية السنة الدراسية وتبلغ ذروتها بالطبع يوم التخرّج حيث تنطلق مواكب الطلاب المحتفلين من مدارسهم في حافلاتٍ وشاحنات تطوف بهم أرجاء مدينتهم. كما يرتدي الطلاب ملابس خاصة بهذه المناسبة؛ الملابس البيضاء للفتيات والزيّ الدراسي الرسمي القديم المكوّن من سترة داكنة اللون وقميصٍ أبيض وينطال داكن للفتيان، عدا عن قبعة الطالب المميزة التي يرتديها جميع المتخرجين، ذكوراً وإناثاً. وتستمر تلك الطقوس حتى بعد التخرج لعدة أيام.

«أكسب المال وأصبح حرّاً»، قال وشيءٌ حالمٌ يجول في عينيه.

أسترق النظر إلى هانس الذي يركّز نظره على الطريق وأتساءل عن مدى شعوره بالحرية الآن.

أول مرة عاد إلى البيت في زيارةٍ لنا، لم يطل الأمر بنا حتّى تشاحنّا. أراد النقاش في السياسة وبدا الأمر كما لو أنه كان يحمّلني مسؤولية ما فعله الديمقراطيون الاشتراكيون^(١) عبر السنين. كان منزعج النبرة وألقى كلماتٍ فاخرةً من كلام الأساتذة.

«الناس يتحوّلون إلى سلبيين ولا يقومون بما عليهم من مسؤوليات في هذا البلد»، قال كما لو أنّ العدالة والرعاية الاجتماعية مما يعيق الناس. لم تتدخل حتى بدأنا نصرخ.

«يكفي!» قلت بِقُوَّةٍ أخرستنا. حتى الكلاب تعجبت وتقدّمت نحولك.

كان ذلك مُجدياً، وتركنا السياسة جانباً. تكلمنا عن حصاد الخريف عوضاً عن ذلك. ثم سأل إن كنت بحاجةٍ إلى مساعدةٍ في أمرٍ ما.

لم أكن أناكف العجوزَ مثلما فعل هانس معي. هذا شيءٌ لا يفعله المرء. كان هو من يقرر كلّ شيء ولم يكن هناك ما يمكن قوله أو فعله

(١) الديمقراطيون الاشتراكيون (Socialdemokraterna): التسمية الدارجة لأكبر أحزاب السويد منذ بدايات القرن العشرين حتى هذه اللحظة؛ حزب عمّال السويد الديمقراطي الاشتراكي (Sveriges socialdemokratiska arbetarparti) الذي تأسس عام ١٨٨٩ وشارك في الحكم لأول مرة عام ١٩١٧. أزهى فترات حكمه وأقواها تلك المتصلة دون انقطاع بين ١٩٣٦-١٩٧٦؛ وهي الفترة التي شهدت نهضة الدولة السويدية الحديثة بمفاهيم يسارية لا تزال أغلبها سارية حتى اليوم.

بشأن ذلك. لم يخطر لي أن الأمور يمكن أن تسير بطريقةٍ أخرى. أما هانس فلم تكن لديه مشكلة في أن يبدأ، لهذا الشأن أو لذاك، بالصياح على والدّه.

يُحَقِّقُ السرعةَ وينعطف نحو الجسر، حيث تمتدّ المدينة المنحدرة حتّى ستورثون. رغم أن الغيظ ملأني بسببها مرّاتٍ عديدة، أعني وقاحته، لكنّ شيئاً ما بخصوصها جعلني أحسده. إيمانهُ برأيه، أنّه يمتلك الحقّ في مواجهتي.

تدخل سيارته الكهربائية بصمتٍ إلى مرآب دار رعاية المصابين بالحَرْف في برونكولا جوردن. ينقبض صدري ويسري نفورٌ شاملٌ في جسدي. يصفّ السيّارة كالعادة أمام أشجار البتولا التي تفصل دار الرعاية عن روضة الأطفال. يفكّ حزام الأمان ويُخرج نقّاله.

«اللّعة على هذا القرف؛ أن يفرضوا رسومَ وقوفٍ على السيّارات هنا»، يَدْمِدُمُ ويضبط معلومات وقوف السيّارة.

عندما انتقلتِ كان وقوف السيّارات مجّانيّاً للزائرين.

أنا سعيد لأنني لستُ مَنْ يجب عليه استعمال الهاتف النّقال. لا أفهم لماذا ليست هناك صيحاتُ غضبٍ أكثر في مواجهة كَوْنِ المرء هذه الأيام لا يستطيع حتى صفّ سيارته دون أن يكون لديه هاتفٌ نقّال. اشترت إلينور وهانس نقّالاً ملائماً للمتقاعدين، كما سمّياه، من أجلي قبل بضع سنوات. أزراره أكبر على ما اتّضح لي ووظائفه أقل ولكنني مع ذلك لا أفهم كيف يُستخدم. يرى تورة أنني غبي ومتدّمّر ولكنني لا أفهم صدقاً ما المثير للاهتمام إلى هذا الحد بشأن هذه الهواتف. السبب هو أنني لم

أحاول، طبقاً له. لكنّ هذا ليس صحيحاً. لقد أرّثني إلّينور كلّ ما يمكن
فِعْلهُ بهاتفها وأنا أرى أن الأمر يبدو سخيّاً.
يُفْتَحُ باب السيارة ويُدخل هانس رأسه.
«هل ستأتي؟»

أنظر متعجباً إلى مقعد السائق، لم أنتبه حتى إلى أنّه قد خرج من
السيارة.

أُخْرِجُ قَدَمَيَّ بصعوبة من المقعد الجانبي. أشعر بضغط على كاحلي
الأيسر؛ لم ألبس الحذاء الأنيق منذ سنوات طويلة. أمسك بالمقبض الذي
في سقف السيارة وأسحبني إلى الأعلى. تدور الدنيا في رأسي وأرغمُ على
الجلوس ثانيةً.

«انتظر، ابقَ جالساً، سأدخل وأجلب كرسيّاً متحرّكاً».

قبل أن أتمكّن من القول أنّ الممشاة تكفي كان قد اختفى عند
المدخل. يجب أن يسير كل شيء بسرعة جهنمية. لماذا هو على عجلةٍ من
أمره هكذا؟ الجميع على عجلةٍ ملعونةٍ من أمرهم.

أَمِيلُ كتفي نحو المقعد وأغوص فيه زيادة. أترك بصري يستقرّ عند
الشعار المعلّق بجانب المدخل تماماً؛ يُذكّرني بشعار حزب الديمقراطيين
الاشتراكيين.

بعد حين يأتي هانس ماشياً ومعه كرسيٌّ متحرك على الجهة الأخرى
من الباب الزجاجي الذي لم يزل مفتوحاً. رغم أنه يسرع الخطى كي
يلحق فيخرج قبل أن يُغلق الباب فإنّ الكرسيّ يعلّق فيه. يسبّ ويمدّ
يده نحو زرّ فتح الباب بينما تقف ممرضةٌ خلفه وتنتظر بصبرٍ.

القسم الذي فيه غرفتك عبارة عن ممرٍ طويل. وواضحٌ أنَّ الموظفين أجهدوا أنفسهم لجعله أقلَّ وحشةً وإثارةً للقلق. فعلى الجدران لوحات بمناظر طبيعية جميلة والأرائك والكراسي الوثيرة منشورة على امتداده. يتسلل ضوء الصيف إلى الداخل عبر النافذة التي في نهاية الممر. وهي مُطلَّةٌ على المَرَّاب وإلى جانبها ينتصب كرسيٌّ وثيرٌ وطاولَةٌ صغيرةٌ عليها كومةٌ من الصحف والمجلات. ولا يَنْدُرُ أن يجلس شخصٌ ما هناك عندما نكون هنا. شخصٌ ضاق ذرعاً بما هو فيه. لستِ الوحيدة المعتوهة هنا.

«لا أفهم كيف يمكنهم استخدام مكانٍ كهذا ليكون داراً لرعاية المصابين بالخرف»، يغمغم هانس.

يقصد أنَّ الممرات الطويلة الكثيفة تزيد شعورك بالوحشة. لا أدري إن كان ذلك سيفرق في شيء، فأنتِ غائبةٌ على أية حال.

على اليمين في منتصف الممر هناك بابٌ يؤدي إلى المطبخ وغرفة تبديل ملابس الموظفين، وهو مُوصدٌ دائماً. قُبَالَتَه تقع صالة الطعام وغرفة التلفزيون. في البداية كنتِ ترين أن تناول الطعام مع الآخرين أمرٌ لطيف، أما الآن فنادراً ما ترغبين في مغادرة غرفتك.

يُوقِفُ هانس الكرسيَّ المتحرك ويتقدَّم ويفتح بابَ غرفتك الفاتِحِ الصُّفْرَةِ. إلى جانبه هناك لوحةٌ خشبيةٌ خُطَّ عليها الرقم أربعة عشر بلونٍ أزرق. حول العدد تتدلَّى زهرةٌ يامْت^(١).

(١) زهرة يامْت، أو زهرة يَمْتْلاند (Jamtblomman): زهرة أرجوانية الرأس رفيعة الساق، تعتبر من نوادر أنواع الأوركيديا وخواصَّ زهور الشمال الاسكندنافية المهددة بالانقراض، ويكثر نموها حول بحيرة ستورشون في مقاطعة يمتلاند شمال السويد.

«إنها تليق بهما، أليس كذلك؟» قال هانس في أول زيارتنا لك.
وافقته لكنني فكرت في أنه أمرٌ مُستبعدٌ أن يُوجدَ شيءٌ لائقٌ هنا.
تحت اللوحة سبورةٌ بيضاء مكتوبٌ عليها فريديريكا بخطٌ مُحَرَّبٌ.
تأتي نحونا رائحةٌ خفيفةٌ لمُطَهَّرٍ ومكانٌ مغلقٌ حين يدفع هانس
بكرسيِّ المتحرك إلى داخل الغرفة. رائحةٌ غُربةٌ؛ واضحٌ أن هذا المكان
لا علاقةَ لهُ بكِ أوبي.

ينزع هانس سترته الصيفية الخفيفة ويعلقُها على رفِّ القبعات إلى
يسار المدخل، وبلا قصدٍ منه يدفع لبَّاسة الأحذية التي أهديتكِ إياها
في عيد ميلادك السبعين. رنين المعدن المصطدم بالأرض يجرح الأذان.
«اللعنة، من الذي علَّقها هنا؟»

يلتقطها ويضعها في الزاوية مائلةً على الجدار بدلاً من وضعها
الأول، إلى جانب خُفيّ نزهاتِك. تكادين لا ترتدين الجِزَمَ أبداً الآن.
حين يخرجونك، تَتمشَّون غالباً في المتنزه المجاور هنا.
«عفواً، أما رأيتَ مفتاحاً ملقًى هنا في مكانٍ ما؟»

فجأة، إذابكِ تقفينَ هناك في الردهة الضيقة وذراعاكِ تتدليان خائرتين
على جانبيكِ. أنتِ التي كنتِ دوماً تبدينَ قويةً رغم ضآلة حجمكِ.
رغم أنَّكِ صرتِ غالباً تسألين عن المفتاح إلا أنني وهانس نتعجَّب.
«ولكنُ يا ماما، هذا أنا وبابا»، ويضع إحدى يديه على ذراعكِ.
كأنها الأمر كان سيختلف هذه المرة. أنَّكِ ستتعرفين علينا فنجلس
ونتناول البُّلات التي اشتراها هانس في طريقه.

يوهم هانس نفسه بأنَّ وجودنا هنا يُحسِّن حالتكِ حتى إذا كنَّا لا نلاحظ ذلك عليكِ. قد يكون على حق.

أختلس النظر إلى هانس الذي يقابل نظرتي بسرعة، ولكنني لا أقول شيئاً. هناك شيءٌ من الحزن يغلب عليه وأريد أن أجعل حاله أفضل. تبدين حائرة في البداية ثم مُشكَّكة. تنظرين إلى هانس ثمَّ إليّ.

ترتدين بنطالاً رياضياً رمادياً يشبه الذي عندي في البيت. لا بدَّ أن هانس اشتري بنطالكِ من إنترسپورت أيضاً. في الأعلى ترتدين إحدى بلوزاتك القديمة. تبدو خلطة الملابس غريبة فأبدأ فجأةً بالضحك.

ثم أقابل نظرتك وأحزن. لا شيء منك في هاتين العينين.
«كم جميل أن تحصلي على زيارة يا فريدريكا».

نلتفت وإذا بامرأة مبتسمة تدخل إلى الغرفة في ثيابٍ بنفسجية عليها شارة اسم معدنية مكتوب عليها لينا، مُساعدة تمريض.

تجاهلينيها، تحدِّقين في هانس ثانيةً ووجهك مُشوَّه من شدة الاشمئزاز.

«ماما؟ هل ناديتني بـماما؟» تُبعدين ذراعكِ وتضعين يدكِ على الموضع الذي لمسه هانس منك. «لا أحب أن يلمسني الغرباء».

تُزججرين هذه العبارة الأخيرة، أنتِ التي لم يعلُ صوتك طوال حياتك. كان الغيظ نصيبي. يشعرني الغضب الذي في عينيك بالخجل من نفسي عن كل المرات التي زججتُ فيها عليكِ.

تبسم لينا لي ولهانس.

«تعالا كي أريكما أين أكواب القهوة»، تقول رغم أننا نعلم أين يقع المطبخ وصالة الطعام.

أجيبها بالابتسام. تبدو طيبةً وهذا يبعث على الارتياح. لأنني أريد أن يرعاك أناسٌ طيبون.

لكنّ هانس يريد المغادرة، ألاحظ هذا. ذلك القلق في نظرتة، الذي كان يصيبه كلما أذى نفسه. نوعٌ من التوسُّل. لأنني والده رغم كل شيء. وإذا بي أفهم فجأةً لماذا يُصرُّ على اصطحابي عندما يزورك. «هيا»، أقول وأضع يدي المتورّمة على ساقه اليسرى.

يُقابل نظرتي فأدركُ أنني لا أستطيع مساعدته. فهو يريد بالقدرِ نفسه أن يتحرر منّي أيضاً.

يقبض على مقبضي الكرسي المتحرّك ويدفع خارجاً بي إلى الممر خلف لنا. وجهها غريب لكننا قد نكون التقينا سابقاً. خلافاً لك، أعرف أن ذاكرتي تخذلني. بإمكانني أن أتخايل على الأمر.

حين نصل إلى المطبخ حتّى نجلب الأطباق تلتفت لنا. «يمكننا أن ننتظر قليلاً، على ما أعتقد. فريدريكا منفعة بشدّة الآن. إذا أعطيناها بضع دقائق، ربّما تصير أهدأ قليلاً». «شكراً، لنا»، أقول.

يبتسم هانس لينا لكنه لا يقول شيئاً. يلتقط ثلاثة أكوابٍ من الخزانة التي بُنيت على بابها وريقةٌ مكتوبٌ عليها أكواب. يبدأ الشعور بالتعب بمغالبتني. أتوقُّ إلى أريكة المطبخ والنوم وسيكستن.

حين نعود إلى غرفتك نجدك قد غفوت جالسةً على الكرسيّ الوثير عند النافذة. تشخرين بالطريقة نفسها على عادتك فأشعر بدفءٍ يسري فيّ. أُلَاقِي نظرة هانس وتبادل الابتسام.

يَوْظُكُ أَنْ يَضَعَ هانس أَكْوَابَ الْقَهْوَةِ عَلَى الطَّائِلَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ كُرْسِيِّ الْوَيْثِرِ وَيَجْلِسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ الَّذِي إِلَى جَانِبِكَ. تَوْمئِذٍ لَهُ، كَنُوعٍ مِنَ الْمَوَافَقَةِ تَقْرِيْبًا، وَتُشِيْحِينَ بِنَظَرِكِ إِلَى الْخَارِجِ عِبْرَ النَّافِذَةِ ثَانِيَةً.

صَفَّنِي هانس فِي الرَّدْهَةِ فِي مَدْخَلِ الْغُرْفَةِ تَمَامًا. صُورَ هَيْسَمُوفُوشُ بِالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، الَّتِي أَطْرَها هانس عِنْدَمَا انْتَقَلْتِ إِلَى هُنَا، مُعَلَّقَةً عَلَى الْجِدَارِ بَقَرْبِي. إِحْدَاهَا لِمَصْنَعِ النِّجَارَةِ الَّذِي عَمَلْنَا فِيهِ، أَنَا وَوَالِدُكَ وَثَلَاثَةٌ مِنْ إِخْوَتِكَ، وَالثَّانِيَةُ لِدَارِ الْبَلَدِيَةِ لِلْمُنَاسَبَاتِ حَيْثُ التَّقِينَا، وَالثَّلَاثَةُ لِمَبْنَى مَدْرَسَتِكَ. دَرَسَ كَلَانَا سِتَّ سِنَوَاتٍ فِي الْمَدْرَسَةِ. تَعَلَّمْنَا الْبَاقِي مِنَ الْحَيَاةِ. حِينَ التَّقِينَا كُنْتِ تَعْمَلِينَ خَادِمَةً فِي مَزْرَعَةِ جِيرَانِنَا كَمَا كُنْتِ تَقْدِّمِينَ كُلَّ مَا يُمْكِنُكَ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فِي مَزْرَعَةِ أَخْتِكَ الْكُبْرَى. رَغْمَ أَنَّكَ سَكَنْتِ فِي رَيْنَاسَ مَا زَادَ عَلَى نِصْفِ قَرْنٍ فَمَا عَدَتْ تَتَذَكَّرِينَ بَيْتِنَا. لِذَلِكَ أَهْمَلْنَا تَأْطِيرَ صُورِهِ لَهُ، فَذَلِكَ كَانَ سَيَحْيِرُكَ لَا غَيْرَ. لَكِنْ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُبَكَّرَةِ مِنْ هَيْسَمُوفُوشَ لَا تَزَالُ بَاقِيَةً كَمَا أَنَّكَ لَا تَزَالِينَ تَذَكَّرِينَ اسْمِي حِصَانِي أَخْتِكَ اللَّذِينَ يَتَمَطَّيَانِ فِي الصُّورَةِ الرَّابِعَةِ.

تَنَفَّسَتْ الصَّعْدَاءُ عِنْدَمَا أَخْبَرْتِكِ أَنَّنِي أُرِيدُ الْعَيْشَ فِي هَيْسَمُوفُوشَ. فَهَنَّاكَ كَانَ كُلُّ عَزِيزٍ عَلَى قَلْبِكَ. جَمِيعُ إِخْوَتِكَ وَأَخَوَاتِكَ، أَبْنَاءُ أَعْمَامِكَ وَأَخْوَالِكَ، وَزَمَلَاؤُكَ فِي الْمَدْرَسَةِ. عِنْدَمَا كَانَ هانس صَغِيرًا كُنَّا نَقْضِي

الكثير من الوقت لدى عائلتك. كانت لديهم مزارع كبيرة وحيوانات كثيرة وكانوا بحاجة للمساعدة.

رغم أنه كان واضحاً أنك لا تريدين لم تقولي شيئاً عندما أخبرتك لاحقاً أننا ورثنا البيت الذي في ريناس. أننا أخيراً سيكون لنا بيتٌ ملكنا. في هيسموفوش كنا قد استأجرنا شقةً وحيدة الغرفة.

على مسافةٍ أبعدَ قليلاً هناك صورةٌ ملونةٌ لنا؛ أنتِ وأنا وهانس. في الصورة تساعدين هانس حتى يرفع دلواً كبيراً مليئاً بثمر العُليق الذي قطفناه في طريق عودتنا من كوخ تورة. أما أنا فأجلس على كرسيٍ خلفكما بمسافةٍ وأبتسم. إلْتَقَطَ تورة الصورةَ وأرسلها إلينا بالبريد بعد بضعة أسابيع.

تجلسينَ محدّقةً إلى الخارج عبر زجاج البلديّة الثلاثي^(١) فيذكّرني ذلك بأوّل انتقالنا إلى ريناس. لطالما كنتِ حينئذٍ تجلسين بنظرةٍ مسمرّةٍ على سلسلة جبال أوفيك البعيدة. لم تنطقي كلمةً طوال الأسابيع الأولى. أظنّ الفقدَ تسبّب في مرضك.

«أيمكن يا ترى أن يكون هذا شيئاً مناسباً؟»، قلتِ في وقتٍ متأخّرٍ من إحدى الليالي بعد ذلك الصمت الطويل ووضعت قطعةً مُجْتَزأةً من صحيفة على طاولة المطبخ أمامي.

(١) النوافذ في عموم السويد (ودول اسكندنافيا) مُزوَّدة بطبقتين من الزجاج بينهما طبقة من الهواء لعزل الحرارة. في شمال السويد، القريب من القطب، تُزوَّدُ النوافذ، خصوصاً في الأبنية الحكومية وفي بيوت المترفين، بطبقة ثالثة من الزجاج وثانية من الهواء لعزلٍ أشدَّ للحرارة.

دفعْتُ الصحنَ جانباً وتطلَّعتُ إلى قصاصةِ الصحيفة. كان إعلاناً
عن دورة تأهيلٍ في السكرتارية. لم يكن هناك شرطٌ عن تعليمٍ مُسبقٍ.
«إه، لست مضطرةً للعمل»، قلتُ وألقيتُ الإعلان.
ثمَّ لم نتكلم في ذلك أكثر.

أرفع نظري إلى الصور ومعدتي تتقلَّب اضطراباً. لم أكن في الواقع
ضدَّ فكرة عملك، رأيتُ فقط أنه أمرٌ غيرٌ ضروريٍّ. كان راتبي كافياً.
لكنني الآن أدرك أنه ربما كان من الأفضل لك أن يكون لك مشروعك
الخاص.

«الصيف مُبكِّرٌ هذه السنة»، تقولين فجأةً. «لكننا يجب أن نتوخى
الحذر فيما يخص البنجر، وإلا فإنه سيصبح زهراً».
«مممم»، يغمغم هانس.

كانت لديه بضع مصاطب تخصّه عندما كان صغيراً. كان يحب
التخطيط لما سيزرعه فيها وما سيكون حصاده. وكان يعدّ إحصائيات
بالكمّيات التي لديه من البنجر والملفوف وما كانت ستكلّفه في المتاجر.
أنهض بصعوبة من الكرسي المتحرك وأذهب إلى التواليت.
«بابا، كن حذراً».

«أجل، أجل»، أقول وأغلقُ الباب خلفي.

أمرٌ عويصٌ أن أفتح الزرّ ولكنني في النهاية أفلح في ذلك. الحفاظة
أسهل، فهي مطاطةٌ بحيث لا تتطلّب أكثر ممّا يتطلّبه سحبُ اللباس
وإنزاله. عليّ فقط أن أحشر إبهاميّ داخل حافّتها.

فوق المغسلة هناك خزانة ذاتُ مرآةٍ قابلةٍ للطّي فيها فرشاةُ أسنانكِ ومعجون أسنان. فيها أيضاً مرهمٌ للوجه وبضعة أقراطٍ لم تعودتي تستعملينها. في الواقع لم تكوني أبداً شخصاً يستعمل الحُلّي كثيراً لكنكِ في المرات الأولى التي جئنا فيها أنا وهانس لزيارتك هنا في برونكولا جوردن كنتِ ترتدينَ القرطينَ الذهبيينَ المرصَّعينَ بحجرَينِ أرجوانيّينَ.

عندما أخرج أجد هانس واقفاً عند الباب في انتظاري وقد ارتدى سُرَّتَه مُسَبَّحاً.

«الأفضل أن نغادر الآن. أعتقد أن ماما بحاجةٍ إلى الراحة».

«ماما؟ أمْ مَنْ التي بحاجةٍ إلى الراحة؟» تصيحينَ فجأةً من داخلِ الغرفة.

أمدُّ ذراعي حتّى يتمكنَ هانس من مساعدتي في ارتداء السّرة. للحظةٍ أوْشك على الدخولِ كي أودّعكِ لكنني أجلس على الكرسي المتحرك عوضاً عن ذلك تاركاً لهانس أن يدفعني عبر الباب.

أئنُّ وأنا أغوص في المقعد. أتابع هانس بنظري عبر مرآة السيارة وهو يعود بالكرسي المتحرك. يبدو وحيداً هناك وهو يدفع الكرسي الخاوي. أفيقُ عندما يفتح هانس باب السيارة ويجلس خلف المقود. «غفوت؟» يسألني.

أظنُّ أنني رأيت نصفَ ابتسامةٍ وأسعد بذلك. أومئ وأرمش كي أستعيد حدة الرؤية.

يجلس ابننا في مقعد السائق ويدها مسبلتان على ركبتيه ويحدّق إلى الخارج عبر النافذة. يبدو أن نظره قد علّقَ عند بضعة صبية يلعبون بعيداً. هذه الملامح الكثيبة التي تبدو عليه أحياناً. نفسها التي كانت لديه عندما كان كل ما يريده أن يبقى ممدّداً في الشقة.

لا أعرف ما الذي يجب أن أفعله. أريد أن أجعل الأمور أفضل فقط. غالباً ما تكون هذه حالنا بعد زيارتنا لك.

بشكلٍ ما يبدو الأمر وكأنني أفضل استعداداً منه قُبيل الزيارات. أُرسي نفسي في ما كان بيننا قبل أن تصيري هكذا، بطريقةٍ لا يفعل هانس مثلها. فهو يتعامل مع ما أنت عليه الآن فقط.

يَدْعُكَ هانس وجهه بكفيه وكل ما أريد هو أن أقول له شيئاً يخفّف عنه.

«رؤيتها هكذا لا تُسرُّ»، أقول وأتطلّع إلى الخارج نحو الصبية الذين يلعبون.

«كلاً، بالفعل».

يُرخي رأسه على المقود لحظات. هانس ضخمٌ بما يكفي بحيث لا يحتاج أن يميل كثيراً كي يتمّ له ذلك.

«ولكنّه حتماً أمرٌ طيبٌ بالنسبة لها أن تأتي»، أقول وأنحنِجُ. «أعتقد أن ذلك يترك أثراً طيباً في مكانٍ ما داخلها».

يلوي هانس رأسه وينظر إلّي بتلك النظرة التي من عادته أن يرمقني بها. تلك التي تقول أننا ننتمي لبعضنا البعض.

«أعتقد ذلك؟».

«نعم، أعتقد ذلك. يبدو أنها بخير هناك. لينا كانت لطيفة». آخذ
نفساً عميقاً. «لقد أحسنتَ حين رتبتَ لها مكاناً في برونكولا جوردن»،
أقول وأتذكر كم غضبتُ أوّل مرة نوّه إلى ذلك في كلامه. «هذا ما أراه».
يومئ هانس وأربتُ على ظهره.
«فلنذهب الآن إلى بيتك ونأكل قليلاً».

مكتبة

t.me/soramnqraa

يزاحمني هانس حتّى يخرج قبلي من المصعد فيذهب لفتح باب الشقة. مضى زمنٌ طويلٌ منذ كنتُ هنا آخر مرة، فهو في الغالب من يأتي إليّ. أصفّ المشاة في الدرابزين بجوار المدخل تماماً. يصطدم العاكس بالجدار فيُحدِثُ رنيناً. يشعل هانس المصباح فأدخل إلى الردهة الضيقة.

أول ما ألاحظه صورةٌ كبيرةٌ لآلِينور لم أرها من قبل.

«هي من أعطاني الصورة في أعياد الميلاد الماضية»، يقول هانس ويومئ نحو الصورة. «تذمّرتُ من أنني لا أملك سوى صورها وهي صغيرة. ها هي».

يناولني لبّاسة الأحذية. إنها طويلة ومن المعدن ولا أحتاج معها أن أنحني أو أعاني. اللبّاسات التي في المركز الصحي من البلاستيك وهي لينة وقصيرة للغاية.

«إنها من إيكيا»، يقول هانس. «فكرت بك حين طلبتها، في الواقع».

أبتسم ونظرتي مثبتة على قدمي؛ أتأثّر.

«سأحضّر الغداء، اشتريتُ حساء الكانتاريل^(١) أمس. وسأعدّ قليلاً من القهوة كذلك. لديّ معجناتٌ من تاجّة»^(٢)، يقول هانس ويدخل إلى المطبخ بخطى ثقيلة.

ما تزال الكآبة تسكننا.

«شكراً، شكراً»، أهمهم وأعلّق سترقي على الخطّاف.

لا يهم كم مرة أقول فيها أن الكريما لم تعد لذيذة الطعم، فهو يصّر على شرائها، تلك المعجنات بالكريما والفواكه التي كنت أحبها سابقاً. «حتى تكتسب قليلاً من الشحوم، فأنت نحيف للغاية الآن»، يصبح من داخل المطبخ.

بينما هانس يعدّ الغداء، أدخل إلى غرفة المعيشة. إنها أكثر فراغاً مما أتذكّره. كانت مليئة بالخضرة أما الآن فليس هناك سوى نبتةٍ وحيدةٍ يابسة عند لوح إطار النافذة الكبيرة المطلّة على الشرفة.

كلّ شيء هنا رماديٌّ أو أبيض أو أسود. الشيء الوحيد الملوّن في الغرفة هو الصور التي تتبدّل على الشاشة الكبيرة المعلقة قبالة الأريكة الوثيرة. صحراء وجمال، سلسلة جبال، طائر بهيّ الألوان. أتساءل من أين له هذه الصور. صورة الجمال تظهر ثانيةً ولا أستطيع أن أفهم كيف يمكنهم أن يلتقطوا صورةً من الأعلى هكذا. لا بدّ أنها التُقِطت من طائرة.

(١) الكانتاريل (أو الشانتاريل أو القوقع الأصفر): من أفضل وأشهر أنواع الفطر. أصفر برتقالي اللون لحميّ البنية وأشبه بالقمع.

(٢) معجنات تاجّة (بالسويدية «Tages bakelser»): كافيتيريا ومطعم معاً، أُسِّست عام ١٩٥٢ في فروسون وتُعدّ أشهر وأكبر الكافيتيريات التي لا تزال بكلاسيكية ألففة وطابع عائلي في الإدارة تقاوم عوادي العولمة.

فجأةً أشعر بلمسةٍ خفيفةٍ لقدمي فَأَنْطَ. اللعنة، ما الأمر، هل جلب
قطعةً؟ أقول لنفسي قبل أن ألاحظ أن آله بلاستيكية تدور ببطءٍ مبتعدةً عني.
«هذا روبرت»، يقول هانس. «مكنستي الروبوتية».

«مكنسة؟»

يصعب عليّ إخفاء تعجّبي وهانس يبتسم.

«لقد أخبرتك عنه. إنه يكنس لي البيت كلّ أسبوعٍ؛ منتهى السلاسة»،
يقول ولا أملك إلا أن أبتسم بالمقابل فهو يبدو راضياً تماماً. «فكرتُ في
أن آتيك بمكنسةٍ مثلها، لكنني أعتقد أن لديك فوضى في البيت. أقصد
أشياء كثيرة جداً».

يأخذ هاتفه النقال ويختفي بعيداً.

أقفُ ساكناً أرقُبُ الآلةَ لوهلة. أهرز رأسي ويغلبني الضحك.
تدريجياً رَعَتِ الأرضيّةُ العاريةُ في غرفة المعيشة. ليست بذاك الكبر،
وأتساءل كم مرةً يتوجّبُ عليه أن يُفرِّغها. فجأةً تستدير وتأتي نحوي
ثانيةً. أتجنبها وأقفُ في الزاوية جنبَ باب غرفة المكتب، حيث يقضي آخرَ
نوبات عمله اليوميّ، كما يقول عادةً. كانت تلك غرفة الخياطة الخاصة
بسونيا على ما أذكر.

تطفئُ على الحائط صورُ إيلينور وهي طفلة. ولكننا أيضاً هناك.
في عيد ميلادك الستين. أنتِ سعيدة، تعتمرين قبعةً كبيرة ذاتَ شريطٍ
مربوطٍ حولها مكتوبٌ عليه ستون عاماً! كانت سونيا هي من أهدتكِ
القبعة. يا ترى كيف حالها، لم تتصل مرةً حتّى منذ أن تركتُ هانس.
أمسح الصور بنظري وألاحظ أن سونيا ليست في أيّ منها.

لقد مضت عدة سنواتٍ منذ الطلاق ولذلك فقد لا يكون الأمر بتلك الغرابة. كان وَقْعُ الأمرِ شديداً على هانس حتماً، لأننا لم نره كثيراً في ذلك الوقت. كنا ندعوه على العشاء ولكنه كان يقول أنه يعمل، حتى عند نهاية الأسبوع.

«البشر بحاجةٍ إلى الطعام»، كنت أجيبه وفي النهاية صار يأتينا أحياناً.

لكنه كان يجلس مثبتاً نظرته في الطعام ويأكل صامتاً.

لم نسأل عن ذلك، أعني الطلاق. ما الذي يمكن حقاً أن يُقال؟ لقد تَرَكْتُهُ، ولم أرغب في نكش الموضوع، كان الأمر ما كانه بهذا الخصوص. كنتِ تعتقدين أن السبب هو أنه كان يعمل كثيراً، أن سونيا ضاقت ذرعاً بذلك.

«ربما تكون وجدت شخصاً آخر»، قلتُ في إحدى الليالي عندما كنتِ تتأسفين لأنهما قدما طلب الطلاق.

«هراء، ليست سونيا من هذا النوع»، قلتُ وَزَمَمْتُ فَمَكِ. «لم تكن لتفعل ذلك أبداً».

هزرتُ كَتَفَيَّ؛ وما أدراكِ أنتِ بحق الجحيم؟ ما كان ليَكُونُ شيئاً غريباً لو أنها التقتُ بشخصٍ آخر. لم يكونا مثلنا، فنحن قد طابَ لنا أن نكون معاً؛ لم نتشاجر وأحبينا رفقةَ بعضنا البعض. بينما كان كلُّ منهما قادراً على خَلْقِ مشاهدٍ مِنْ ذلك النوع، وأمام الناس كذلك. مثل تلك المرة التي ذهبنا فيها إلى مطعمٍ وتأخر هانس فوبَّخْتُهُ سونيا صارخةً حتى سمع كل من في المطعم.

كان بوشع هانس أن يكونَ جلفاً حقيقياً هو الآخر، فينفجر في وجه سونيا دون سبب عندما يكون مزاجه متعكراً. أنا أيضاً كنت أرعد وأزبد، ولكنني لم أكن أبداً لأخاطبك بالطريقة التي كان يتكلم بها مع سونيا.

لكنه أصبح كئيباً، بلى. حاولتُ أن أصطحبه معي لصيد السمك لكنه لم يرغب في ذلك حتى. كنتُ تزورينه وتأخذين له بعض المحاصيل من المزرعة أحياناً. تلك المحاصيل التي كان يحبها.

بعد بضع سنواتٍ من الطلاق زارنا على العشاء بعد نهاية عمله في يومٍ إثنين. بدا أكثرَ مرحاً من المعتاد.

«هناك حفلٌ راقص في ساندفيكن نهايةَ هذا الأسبوع»، قلتُ وأنتِ تعدلينَ مئزرَكَ حيثُ كنتِ تجلسينَ في مكانكِ عندَ نهاية الطاولة. أردتُ أن تكوني قريبةً من المطبخ في جالٍ احتجتِ إلى جلب شيءٍ ما.

كنتِ قدِ ذكرتِ ذلك لي قبل مجيء هانس؛ أن ذلك قد يكون أمراً طيباً له. وافقتُك، قلتُ أن علينا أن نخبرهُ بذلك. لأننا كنا نرى الأوان قد حان للمضيّ قدماً، أن يلتقي بامرأةٍ أخرى. لم نكن نريد أن يكون وحيداً، واعتقدنا أن وجود امرأةٍ في حياته سيكون خيراً له. امرأة تشاركه حياته اليومية.

توقف هانس عن المضغ.

«إه، مجرد فكرةٍ خطرَت لي»، قلتُ بصوتٍ منخفض. «لقد مضى زَمَنٌ طويل الآن».

اختلستُ النظر إليه بحذر كي أرى ما سيقول، لكنه جلس صامتاً

فقط ونظره مثبتٌ على الصحن. رأيتُ أنَّ الأفضل أن أسكت وأترك الأمر لك. كنتُ أفضل مني بكثيرٍ في القيام بذلك. ولكنك ركلتِ ساقي تحت الطاولة. جفلتُ، لكنَّ هانس لم يلاحظ شيئاً.

«والدَّتْكَ على حق»، قلتُ وارتشفتُ رشفةً من البيرة الخفيفة. رمقتُني بنظرةٍ قالتُ لي أنَّ ذلك ليس كافياً. «حفلات الرقص لطيب...». «لن تكون هناك امرأةٌ جديدة، باختصار»، قاطعني هانس ورفع نظره. أولاً إليك ثمَّ إليّ.

شدَّد النظرَ علينا بطريقةٍ جعلتُنا نفهم أنَّ علينا أن لا نتكلَّم في ذلك. فتركتُ الأمر.

«هل تتذكَّر الخيول بوضوح كما تتذكَّرها ماما؟»

أجفل. لم ألحظ أنَّ هانس قد دخلَ إلى غرفة المعيشة.

تبادر إلى ذهني صورةٌ لك وأنتِ تنكشينَ حافر الفرس بقصدي نظيفه. كنتُ أرى أنَّك تبدينَ قويةً وأنتِ تعتنينَ بالخيول. أحببتُ مُشاهدتكِ عن بُعد. مستلقياً تحت شجرة البتولا الكبيرة لبعض الوقت. أحياناً كنتُ تصيحينَ وتطلبينَ مني أن أفعل شيئاً نافعاً، أحمل شيئاً، لكنك في الغالب كنتِ تتركينني في حالي.

«بلى طبعاً، ولكنني لم أكن مولعاً بها مثل والدتك».

يومئ هانس موافقاً ونقف صامتَيْن قليلاً. يبدو كأنه يفكر في شيء ما وأتساءل ما يكون.

يتبسَّم قليلاً.

«غريبٌ هذا الأمر»، يقول ويمضي إلى المطبخ.

أَحَسَبُ أَنَّهُ يَقْصِدُ ذَاكَرَتِكَ وَأَوَافَقَهُ. غَرِيبٌ كَمْ اخْتَفَتْ أَشْيَاءُ فَيْكَ. حَيَاتُنَا كُلُّهَا. وَلَكِنِّي أُوهِمُ نَفْسِي بِأَنَّ شَيْئاً مَا مِنْكَ لَا يَزَالُ بَاقِياً فَيْكَ حَتْمًا. الذِّكْرِيَّاتُ الَّتِي تَأْتِي فِي أَحْلَامِكَ. الصُّورُ الَّتِي تَمَرُّ بِكَ مَرْفُفَةً بَيْنَ حَيْنٍ وَحَيْنٍ عِنْدَمَا تَتَطَلَّعِينَ إِلَى الْخَارِجِ عِبْرَ النَّافِذَةِ. لَكِنْ، رُبَّمَا أَفْكَرَ هَكَذَا لِأَنَّ الْأَمْرَ بَغِيرِ هَذَا سَيُؤَلِّمُنِي بِشِدَّةٍ.

أَلْتَفَتَ نَحْوَ الصُّورِ ثَانِيَةً. أَعْلَقْتُ عِنْدَ صُورَةٍ لِي سَاحِباً إِلَيْنُورٍ عَلَى الزَّلَاجَةِ الْخَشَبِيَّةِ. لَا بُدَّ أَنَّكَ أَنْتِ مِنَ التَّقَطِّ الصُّورَةِ. أَقِفْ مُتَنَصِّباً يُطَوِّقُنِي حَزَامُ الزَّلَاجَةِ، بَعْصَا فِي يَدٍ وَمُنْشَارٍ فِي الْأُخْرَى أَنْظُرُ إِلَى الْغَابَةِ. إِلَيْنُورٍ سَعِيدَةٍ، مُتَوَرِّدَةٌ الْوَجْتَيْنِ. لَا بُدَّ أَنَّ الْوَقْتَ كَانَ مُتَنَصِّفَ النَّهَارِ، فَالْنُورُ سَاطِعٌ. كَانَ مِنْ عَادَتِنَا أَنْ نَجْلِبَ شَجَرَةً لِأَعْيَادِ الْمِيلَادِ كُلِّ عَامٍ. عِنْدَمَا كَانَتْ صَغِيرَةً كُنَّا نَهَيِّئُ لَهَا فَرَاشاً مِنَ الْجُلُودِ عَلَى الزَّلَاجَةِ الْخَشَبِيَّةِ وَنَأْخُذُ زَلَّاجَاتِنَا وَنَذْهَبُ، أَنْتِ وَأَنَا وَإِلَيْنُورِ.

«الغداء جاهز!»

رَائِحَةُ الْكَانْتَارِيلِ تَصْفَعُنِي عِنْدَ دُخُولِي إِلَى الْمَطْبَخِ. يَسْحَبُ هَانَسُ الْكَرْسِيَّ مِنْ أَجْلِي فَأَجْلِسُ. الْكَرَاسِيُّ وَالطَّائِلَةُ مِنْ إِرْثٍ وَالدِيكِ. أَخَذْتُ سُونِيَا أَثَاثَ الْمَطْبَخِ مَعَهَا لِيَحْصَلَ هَانَسُ عَلَى أَثَاثِ مَطْبَخِنَا عِنْدَمَا انْتَقَلْتُ. لَمْ نَكُنْ بِحَاجَةٍ إِلَى طَائِلَةٍ بِهَذِهِ الضَّخَامَةِ عَلَى أَيْةِ حَالٍ.

«كَانَ مِنْ عَادَتِكَ قَطْفُ الْكَانْتَارِيلِ مَعَ تَوْرَةٍ هُنَاكَ حَوْلَ كُوْخِهِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟» يَسْأَلُ وَهُوَ يَرْفَعُ الْمَلْعَقَةَ إِلَى فَمِهِ. يَنْفُخُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِشِفْطِ الْحَسَاءِ.

أبتسم هانس وأحكي له عن تلك المرة التي عدنا فيها ومعنا خمسة وعشرون كيلو غراماً كنت سعيدة بها لأسابيع. حساء الكانتاريل، شطائر الكانتاريل، بخنة الكانتاريل، صلصة الكانتاريل. لم نملّ منه. يبدو أنّ غمامة الكآبة انقشعت ويصدمني أنه يبدو أسعد مما كان عليه لفترة طويلة.

«كيف حاله، تورة؟ لقد مضى زمنٌ طويل منذ التقينا».

«الحال هي هي»، أقول. «نتحدث هاتفياً».

يومي هانس ويصبّ الماء لكلينا.

أريد أن أسأل هانس عما إذا كان يذكر كل تلك المرات التي رافقني فيها في طفولته إلى كوخ تورة. بعض أجمل ذكرياتي هي من المشاوير التي قمنا بها إلى هناك.

«كيف الحال في العمل؟» أسأل عوضاً عن ذلك.

«صرت أعمل أوقاتاً إضافية مؤخراً لكنّ هذا يعني أنّ الأمور تسير على ما يرام»، يقول.

كنت أعتقد أنّ الجميع متفقّ على أنّ الأجدد بالناس أن يعملوا أقلّ، أفكر وأحرّك الملعقة دورة كاملة في الحساء. أننا نريد أيام عمل أقصر. ولكن يبدو من كلام هانس أن الناس يفضلون بدلاً من ذلك أن يهلكوا أنفسهم طواعية في العمل هذه الأيام. يقول تورة أنّ ذلك أصبح أمراً مفروغاً منه. أن ليس هناك أيّ حزب يرى بالفعل أنّنا يجب أن نحصل على مزيد من وقت الفراغ.

«حقاً؟ وكيف الحال مع السياسة إذن؟»

يتنهد هانس.

«لقد مضت عقود منذ أن قمتُ بأي شيءٍ مرتبط بالسياسات الحزبية».

يفكّ أزرار كُمتي قميصه ويرفع الكُمّين إلى مرفقيه.

«حقاً!»، أُجيبُ رغم أنني أعلم أن الأمر كذلك.

لكنّ ما حدث لا يزال مؤلماً رغم مرور زمنٍ طويل عليه. كان قد عاد من أوبسالا ليزورنا وقال، بينما كنتُ تضعين البطاطا على الطاولة، أنّه انضمّ إلى اتحاد شباب المحافظين^(١).

لم أقل شيئاً في البداية. وضعت الشوكة في الصحن فقط. كان ذلك في نوفمبر والثلج لم يسقط بعد. بسبب العتمة لم أستطع رؤية تعابير وجهه كما ينبغي.

منذ عبوره عتبة الدار نهارَ ذلك اليوم شعرتُ بأنّ هناك شيئاً ما مختلفاً. لم تكن الملابس التي كان يرتديها فقط، السّرة الرسمية والقميص الغريب الذي كان أكبر مما يجب، وشيءٌ ما بخصوص الأسلوب الذي كان يتحرك به.

كان أكثر صمتاً بطريقةٍ ما، يحول في البيت ويفكّر. لا أعرف لماذا، لكنّني أحسستُ بنفسي مُراقباً من قبله.

(١) حزب المحافظين (Moderaterna): أقدم وأهم الأحزاب اليمينية وثاني أكبر الأحزاب السياسية في السويد منذ تأسيسه عام ١٩٠٤ حتّى انتخابات عام ٢٠٢٢، حين فقد المرتبة الثانية لحزب ديمقراطيي السويد اليميني المتطرف.

«كم أنت أنيق»، قلتِ عندما نزعَ حقيبة الظهر ووضعتها على الأرض.

ابتَسَمَ لكِ بتلك الطريقة التي لم يبتسم لي بها أبداً.

رَبَّتْ على خدّه وبدأتِ تُعدّينَ شطيرةً له.

مع ذلك تعجّبتُ حيثُ كنتُ أجلسُ هناك عندَ مائدةِ العشاء مع ابنِ
أخبرنا للتوّ أنّه قد أصبحَ عضواً في حزب المحافظين.

كان كلّ ما يتعلّق بالشركة والمال شيئاً في حدّ ذاته، لكنّ اصطفاؤه
إلى جانب اليمينيين كان شيئاً آخر تماماً.

«الديمقراطية الاشتراكية»، قال وهو يتحرّك بانفعالٍ شديدٍ حتّى
أنّ غُرَّتْهُ تبعثرتُ على جبهته، «إنّها فكرةٌ نبيلةٌ لكنّ سياستهم لن تعمل
على المدى الطويل».

أعلم أنّك كنتِ ترينَ رأيي. أنّه كانَ طامّةً كبرى حصولنا على ابنِ
يتكلّم بهذا الأسلوب. ولكنّك لم تقولي شيئاً. قطعْتَ فقط قطعةَ لحمٍ
وغمستَها في الصلصة البنيّة ووضعتها في فمك.

«لا يمكن تقديم كلّ شيءٍ على طبقٍ للناس، بل يجب جعلهم يعملونَ
من أجل ذلك أيضاً»، قال هانس كما لو كان يعرف معنى العمل الشاقّ.
نما الغيظ داخلي.

لم أستطعُ انتزاعَ بصري من خصلةِ الشّعر السخيفةِ تلك، المتدلّية
على الجبهة. كانت منقوعةً في مستحضراتِ شَعْرِ شنيعةِ الرائحة.

«في هذه العائلة نحنُ عُمالٌ»، قلتُ بينما قبضتي تنهال على الطاولة
بقوّة جعلت الملاعق والأشواك والسكاكين ترنّ على الصحون.

أَبَعَدَتِ الشَّمْعَدَانِ قَلِيلاً.

ابْتَسَمَ هَانَسٌ ابْتِسَامَةً سَاخِرَةً وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَهَزَّ رَأْسَهُ.

«لَمْ تَعُدِ الْأُمُورَ تَسِيرَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ».

مَا الَّذِي لَمْ يَعُدْ يَسِيرُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ؟ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ لَكُنِّي شَخَرْتُ وَتَنَاوَلْتُ جَرْعَةً مِنَ الْبِيرَةِ.

«خُذْ نَظْرَةً إِلَى هَذِهِ وَقُلْ أَنَّنِي لَسْتُ عَامِلاً»، قُلْتُ رَافِعاً قَبْضَتِي.

«بِحَقِّ الشَّيْطَانِ يَا أَبِي، كَمْ أَنْتَ دَرَامِيٌّ! أَنَا لَا أَنْكِرُ أَنَّكَ عَامِلٌ. كُلُّ مَا أَرَدْتُ قَوْلَهُ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُولَدَ مَصْبُوغاً بِلَوْنِ حَزْبٍ مُعَيَّنٍ كَذَلِكَ!»

بَلْ هَذَا بِالضَّبْطِ مَا يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَفْعَلَهُ، فَكَّرْتُ لَكُنِّي لَمْ أَقُلْ شَيْئاً. كُنْتُ مَا تَرَالَيْنَ جَالِسَةً وَنَظَرْتُكَ مُثَبَّتَةً فِي الصَّحْنِ. سَكَّيْنِكَ تَقْطَعُ لَقْماً صَغِيرَةً تَضَعِينَهَا فِي فَمِكَ بِيْطَاءً.

شَعَرْتُ فَوْرًا بِالْغَبَاءِ لِأَنَّيَ لَوَحْتُ بِقَبْضَتِي.

«أَنْتَمَا لَا تَفْهَمَانِ هَذَا»، قَالَ هَانَسٌ وَتَنَهَّدَ.

رَمَقْتَنِي بِنَظْرَةٍ رَأَيْتُ فِيهَا التَّأْيِيدَ.

جَلَسْنَا صَامَتَيْنِ لِفَتْرَةٍ وَأَكَلْنَا طَعَامَنَا. تَرَكْنَا السَّاعَةَ تَسِيرَ وَتَفْعَلُ مَا عَلَيْهَا. عِنْدَمَا فَرَّغَ الصَّحْنُ نَهَضْتُ، فَرَغْتُ عِلْبَةَ الْبِيرَةِ وَاقِفاً رَغْمَ أَنَّنِي كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَفْضِلِينَ أَنْ أَصَبَّهَا فِي قَدَحٍ.

أَخَذْتُ كَلْبَنَا وَذَهَبْتُ وَجَلَسْتُ عِنْدَ فَسْحَةِ الْمَرْجِ فِي عَمَقِ الْغَابَةِ. لَمْ أَعُدْ إِلَى الْبَيْتِ مِنْ أَجْلِ الْحُلُوى رَغْمَ أَنَّنِي كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ يَقْلِقُكَ.

أخذُ منديلاً ورقياً وأنظر إلى هانس. تسريحته هي نفسها. يستخدم المستحضرات نفسها التي تزكم الأنف. لكنّ القمصان مشدودة أكثر الآن.

أتذكّر أنني شعرت بالفشل وأنا جالسٌ هناك عندَ فسحة المرج. أنّ هناك شيئاً ما فعلته بطريقة خاطئة.

«لذا، كي أجيب على سؤالك، فليس هناك شيءٌ مُعيّنٌ يجري بخصوص السياسة»، يقول هانس ويرتشف قليلاً من الماء.

وفي غمضة عين أشعر بالخجل من نفسي. لماذا فتحت ذلك الموضوع؟ لا أملك أن أتحكّم بالأمر؛ أية كلماتٍ تخرج مني. لا أريد الشجار، لا أريد أن أستفزّه، ومع ذلك أقول أشياء أعرف أنه لا يحبها. نجلس صامتين لفترة. يقشط هانس آخر ما تبقى من الحساء بملعقته.

«لذيذٌ فعلاً»، أقول بعد بُرهة.

يومئ هانس. مرةً أخرى يبدو مُنهكاً.

أريد أن أسحب اللحاف، لأغطي جسده النائم، وأمسح على جبهته.

«رُبّما علينا أن نعود إلى بيتك عمّا قليل»، يقول بعد حين. «تبدو مُتعباً».

أرفع كتفيّ لا مبالياً ولكنني لا أريد شيئاً أكثر من الذهاب إلى البيت حيث أريكة المطبخ وسيكستن.

يبقى جالساً في السيارة بينما أفتح الباب الموَّصَد. لقد ربطتُ حلقة المفاتيح بحزام جلديٍّ في حلقة البنطال حتَّى أعرف أين هي. أرفع إحدى يديّ ملوّحاً قبل أن أغلق الباب خلفي. يرجع بالسيارة ببطءٍ ويغادر.

يأتي سيكستن ويقابلني في الرّدهة. يمتطّ أقدامه واحدةً بعد الأخرى ويتشاءب. أعرف أنه كان مستلقياً على أريكة المطبخ مادّاً أقدامه ومُرخياً رأسه على الوسادة.

عندما أدخل أكتشف صور نحلة إلّينور التي أردت إعطاءها لهانس. المنحدر مقفّر فأنوي لوهلةٍ أن ألتقط النّقال لأتصل به حتّى أخبره أن عندي شيئاً له. مفاجأة. لكنني لا أريد إزعاجه وهو يقود السيّارة، لذا فالأفضل أن أنتظر حتّى المرة القادمة حين يأتي إلى هنا. قد يطول انتظار ذلك بالطبع، ولا أريد أن تقبع الصور هنا طويلاً فيقع عليها طعام أو قهوة. بعد أن وقفت ممسكاً بها لفترةٍ، أدخل فأضعها على سريرك القديم في غرفة النوم.

ألمحُ ورقةً إلى جانب الهاتف النّقال على طاولة المطبخ. الساعة الواحدة والرّبع. خرجتُ للتمشّي مع سيكستن، بآلٍ وتغوّط. / إنجريد. لا بُدَّ أنّها دخلت من الباب الخلفيّ، فهو غيرُ موصَدٍ على الدّوام تقريباً. تقول ساعة الحائط أنّها الرابعة وعشرون دقيقة، لا بُدَّ أنّه يريدُ الخروج ثانيةً.

«عليك أن تنتظر قليلاً. يجب أن أغفو لبعض الوقت»، أقول وأمسح على رأس سيكستن وأمضي إلى أريكة المطبخ.

الساعة التاسعة مساءً

المطلوب في المساء: شوكولاتة ساخنة. كل شيء على ما يرام.
/ كالة

الإثنين ١٩ يونيو

الساعة الثالثة والنصف صباحاً

دوريّة الليل تجد بو عند صناديق البريد. يريد بإصرارٍ أن يرسل رسالةً إلى فريدريكا لكنّه حائرٌ ومُربكٌ ولا يعرف أنّ الوقت تجاوز منتصف الليل. ندخله إلى البيت ونساعده على الرُقّاد على أريكة المطبخ. سيكستن داخل البيت.

/ دوريّة الليل

نرقد على أريكة المطبخ. سيكستن بأنفاسه الثقيلة متمدّد على بطني. لا يزال باستطاعتي الشعور ببرد ليل الصيف يضغط على ساقيّ. غطّاني الموظفون بإحدى بطّانياتك القديمة، لا أدري أين وجدوها. لا أستطيع أن أتذكّر أنني رأيتها طوال سنين عديدة.

لم أخطئ بشيء، لكنني مع ذلك أشعر بالخجل من نفسي. أيّ حظّ جلب دوريّة الليل مع خروجي تماماً؟ ضخّموا الأمر وجعلوا منه قضية، أعني رغبتني في إرسال رسالة إليك، لمجرّد أن الوقت كان ليلاً. ليس لديّ أيّ مكانٍ أذهب إليه، ولا أحد ينتظرنني، وسيكستن كان معي. ومع ذلك جنّ جنونهم.

«سَيَتَعَيَّنُ علينا أن نأتي إلى هنا ليلاً إذا بدأتِ تُفكّرُ في الخروج هكذا»، قالت واحدةٌ منهم لم أرها سابقاً.

منذ متى صار إرسال الرسائل ليلاً أمراً مُحالِفاً للقانون؟ أردتُ أن أصرخ ذلك لكنني لَجَمْتُ نفسي. أسكّتتني نظرُها المتوتّرة. وعلى الفور بدا غضبي طفولياً وغير مُبرّر.

لكنّه يعود الآنَ وأنا على أريكة المطبخ. حتّى أنّ النور منتشرٌ بحق
السماء وليس هناك أيّ خطر في خروج المرء من البيت.
أُنخِجُ وأبتلع البلغم وما أكاد أوشكُ على الكلام حتى يصطفق
الباب. تندّ عني تنهيدة.

تمدّد سيكستن في فراشه على الأرض. من عادته أن ينام بمفرده
ليلاً، فالنوم معي على الأريكة يشعره بالحرّ.
«تصبح على خير»، أهنّهمُ وأسحب البطّانية فوق بطني.

الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحاً

يتوجّب عليّ أن أوقظَ بو عند مجيئي. أعطيه الدواء وأحرص على أن ينفخ في القنينة. يتذمّر ولكنّه يستسلم بعد قليلٍ من الإلحاح. عسيّدة للإفطار. أذكرّه بضرورة الاستحمام بعد ذلك.

/ إيّفا - لينا

نِمْتُ مَدَّةً أَطْوَلَ مِنَ الْمُعْتَادِ. أَشْرَبُ كَوْباً مِنَ الشَّاي عَادَةً فِي الْخَامِسَةِ
وَالنِّصْفِ صَبَاحاً، وَلَكِنِّي هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ أُسْتَيْقِظْ قَبْلَ وَصُولِ الرِّعَايَةِ
الْمَنْزِلِيَّةِ. وَمَا زَادَ الطَّيْنَ بِلَّةً أَنَّ الشَّمْطَاءَ هِيَ مِنْ أَتَمِّ، وَبَدَأَتْ تَزْعَقُ عَنْ
ضَرُورَةٍ أَنْ أَنْفَخَ فِي الْقَنِينَةِ رَغْمَ أَنِّي بِالْكَادِ احْتَمَلْتُ الْإِفَاقَةَ وَالْجُلُوسَ.
تَبْدُو نَظَرِي تَعِيسَةً فِي مِرَاةِ الْحَمَامِ. تَحْتَ الْعَيْنَيْنِ كَيْسَانِ كَبِيرَانِ مَلِئَانِ
بِالسَّوَائِلِ. أَرْمَشُ حَتَّى أَتَخَلَّصَ مِنْ أَشَدِّ مَا أَرَى مِنْ غَشَاوَةٍ. أَتَغْرَغُرُ
وَأَبْصُقُ. الْبَلْغَمُ الْأَصْفَرُ يَكْفَحُ كَيْ لَا يَنْجَرَّ إِلَى أَسْفَلِ الْبَالُوْعَةِ حِينَ أَفْتَحُ
الْحَنْفِيَّةَ وَأَشْطَفُ الْمَغْسَلَةَ.

حَلَمْتُ بِكَ، لِذَلِكَ كَتَبْتُ الرِّسَالَةَ. خَرَجْتُ وَوَقَفْتُ لِحَظَاتٍ تَارِكاً
نَظَرِي تَسْتَرِيحُ عَلَى الْأَفْقِ الْوَرْدِيِّ عِنْدَ سُلْسَلَةِ الْجِبَالِ. فِي مَتْنِصِفِ صَيْفِ
الْعَامِ الَّذِي سَبَقَ زَوَاجَنَا أَصْرَرْتُ عَلَى قَطْفِ الْأَزْهَارِ عِنْدَ الْمَرْجِ الْوَاقِعِ عَلَى
الْجِهَةِ الْأُخْرَى مِنَ الطَّرِيقِ حَيْثُ سَكَنَّا الَّذِي اسْتَأْجَرْنَاهُ فِي هَيْسَمُوفُوشِ.
«مَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَجْمَلُ مِنْ هَذَا؟»، قُلْتُ وَأَطْلَقْتُ يَدِي فَوْقَ
ذَلِكَ الْبَحْرِ مِنَ الزَّهْوَرِ.

بصراحة تامّة، كنتُ أرى أنّك معتوهة قليلاً وأنّ تطلبين أن نقطف
الأزهار في ذلك الوقت المتأخّر. لكنّ تلك النظرة كان بمقدورها دفعي
لفعل أيّ شيء.

«يجب أن نعرف ما إذا كان من المفترض بنا أن نكون معاً»،
قلتُ ووجتاكِ محمّرتانِ قليلاً. «إذا كنّا فعلاً نريد المضيّ قدماً في تنفيذ
خُطّطك».

رغم أنّ الوقت في تلك المرة كان قد تجاوز منتصف الليل، إلا
أنني كنت يَقطّأً تماماً. أنصتُ إليك وأنّ تغنّي أسماء الأزهار بينما
كنتِ تقطعين سيقانها وتضيفينها إلى الباقة. أخبرتني أنّك كنتِ معتادةً
على الخروج في ليالي منتصف الصيف مع أختيكِ عندما كنتِ صغيرةً.
أمسكتُ بالباقة التي كانت تنمو وتكبر ولم أفكّر في شيء آخر.

عاد إليّ ذلك كلّهُ في الحلم، وكان من البساطة بحيث غلبتني
العاطفة فكتبتُ رسالةً عن الأمر. أُصوِّبُ يديّ وأشطفهما بالماء الدافئ.
أتمنّى لو أنني كنت منحتُ تلك اللحظة مزيداً من التقدير. كان عليّ أن
أسأل عن الأزهار المختلفة أو أن أنصتَ أفضلَ على آية حال. الجُرْيسة
الزرقاء، والنفل، والأقحوان، وقرن الغزال. ذلك ما كتبتُ لك. أنني
أريد الإصغاء إلى لفظ اسم كلّ شفرةٍ عشبٍ ونبتٍ نما في يومٍ ما. أنني
أنهيتُ ما عليّ. أن؛ كفى.

أعرف أنّ ذلك كان بلّهاً لكنني ظننتُ أن رسالةً مني قد تجعلك
تذكّرين ولو للحظات. أنّ خطّي يدي يمكن أن يُوقظَ شيئاً ما لا يزال
باقياً هناك في داخلك.

لكنني الآن، بنظرة أكثر رويّة، أفهم أنّ ذلك هراء.
«ما فائدة ذلك؟» أسأل وأنا أشدّ نظرتي إلى نفسي.

بوّدي لو كان باستطاعتي تجاوز هذا اليوم. كل ما أريده هو أن
أوصد الباب وأندسّ تحت البطانية على أريكة المطبخ مع سيكستن. لا
أريد الكلام مع أحد. مكتبة سرّ من قرأ

وإذا بباب المطبخ يُصفّق ثانية. أمسح فمي بيدي وأعيد تعليق
المنشفة على الخطّاف المجاور للمرأة وأنا أتهدّ.

«مرحباً بو»، تنادي يوهانّا وشيءٌ ما داخلي يسعد لأنّ من أتى لم
يكن سواها.

أتساءل ما إذا كانت يوهانّا ترى فعلاً أنّ من الضروريّ أن أتحمّم.
«على المرء أن يتحمّم بانتظام»، تقول وتعلّق كنزتها الطويلة الكُمّين
على كرسيّ المطبخ.

«ولّا فستفوح منك نتانة عَجَزَة مُعْتَقَة».

ضحكتها مُعْدِيَة. كلّ ما فيها يرتجّ، والكتفان يصعدان وينزلان.
أنظر إلى سيكستن الذي يبادلني النظر. وما يهمّ إذا كانت رائحة المرء
نتنة؟ عندما كنا أنا وتورة نذهب إلى الكوخ لم نكن نغتسل لأسابيع ولا
أذكر أنّ رائحتنا ساءت. لكننا على ما يبدو صرنا قذرين.

أشدّ كتفَيّ لا مبالياً، وأمسح على رأس سيكستن.

«كل ما في الأمر أنني لا أريد الاستحمام اليوم»، أقول ويذهلني
مدى الجديّة التي تبدو من نبرتي.

تواصل النظر إليّ من حيث تجلس على كرسيّ المطبخ، لكنها لا تقول شيئاً. ثم فجأةً تبتسم ابتسامةً عريضة.

«لك الحق بالطبع في أن تكون عجوزاً قذراً إذا أردت أن تكون عجوزاً قذراً»، تقول وتنهض عن الكرسي.

تمضي إلى الثلاجة وتعود بقطعة شوكولاتة.

«والعجزةُ القذرون يحتاجون إلى الحلوى». تكسر الشوكولاتة وتضعها على طاولة المطبخ. «قهوة؟»

أُسندُ ظهري إلى ظهر الأريكة. أمدُّ ساقَيَّ وأبتسم ليوهانًا. يقفز سيكستن إليّ.

تضع القهوة على الطاولة وتلتقط نظّارتي وتلمّعها. تقلّب صفحات الصحيفة المحلية بحثاً عن الكلمات المتقاطعة.

«تفضل»، تقول وتمدّ يدها بالصحيفة. «بدأت بحلّها مع الفطور، أنظر ما إذا كنت ستنتهي من حلّها قبلي».

تغمز بعينها اليسرى.

«قيل لي أنّ العجزة القذرين ماهرون في حلّ الكلمات المتقاطعة».

الساعة الثانية عشرة والنصف

پالْت^(١) مع مرقّة لحم الخنزير للغداء. تناول بو طعامه كلّهُ بشهيةٍ مفتوحة. يقول أنّه أراد إرسال رسالةٍ إلى فريدريكا ليلة البارحة لكنّ دورية الليل أعادته إلى البيت. نناقش موضوع الاستحمام، لكنّ بو لا يريد ذلك. يقول أنّه مع الاستحمام في الجبال، لا تحت الدّوش. سأحاول لاحقاً. أصبح سيكستن السعيد النّشيط في مشوارٍ للتبوّل.

/ يوهانا

(١) پالْت (Palt): أكلةٌ سويديةٌ شعبيةٌ تقليدية. عبارة عن كرات من البطاطا المهروسة، نيئة أو مسلوقة، تُحشى بالخضروات أو اللحم وتُقلى وتقدّم.

في اللحظة التي أُطبقُ بها جفوني يزعق صوتُ شفرة المنشار. أَعَدُّ وسادةَ التَّحميلِ على كتفي الأيمن بذراعيَّ الخائرتين، والحزام الجلدي يحزّ في إبطي الأيسر. أنال استراحةً لالتقاط أنفاسي بينما هم يُحمّلون أرفيد ألواحاً جديدة. أُمَرُّ ذراعي فوق جبهتي وأزيل العرق. أنا وأرفيد ومُكَدَّسُ خشبٍ^(١) آخر نتلقّى الخشب حين يخرج بهيئة ألواحٍ طازجة من المنشار. الخشب ثقيل والشُّغل شاق، فنحن نسحبُ الخشبَ المنقول طفواً من البحيرة مباشرةً. بين حينٍ وآخر يحدث أن أفلتَ قفّازي، فهو كبير وينزلق من كَفِّي، ولكن ليس بوسعي أن أفعل أكثر من الانحناء لالتقاطه كلّ مرة.

«هيا يا بو!»

(١) مُكَدَّسُ الخشب (Stabbläggare): عامل مهنته تفريغ حمولة جذوع الأشجار أو ألواح الخشب من القوارب أو الشاحنات، وبعد أن يقوم سواء بعزل أنواعها وتقسيمها، يقوم هو بنقلها وتكديسها أخيراً. ولأداء ذلك يستخدم «وسادة تحميل» خاصة ذات حزام جلدي يسهّل ربطها على أحد الكتفين (تُدعى بالسويدية: Putan). وكانت هذه إحدى المِهَن التي يمتنها من لا يتقن حِرْفَةً أو صنعةً أخرى في عموم اسكندنافيا.

أومئ لأرثيد موافقاً قبل أن أدخل خلفه وأدعهم يُحمّلون خمسة ألواح جديدة على وسادة التحميل بينما أنا أمدّ بصري فوق البحيرة. أَفْضَلُ أن أعمل هناك في الأسفل لألتقط الخشب من المياه وآتي به إلى العمل؛ القرب من الماء وإمكانية التطلّع بعيداً نحو الجبال.

تضاعف الصداق الذي أفقتُ عليه صباحاً واللوح الأخير يحطّ على كتفي بِثَقَلٍ لو حِينِ. عند الفطور رأيتُ إعلاناً عن حاجتهم إلى عمالٍ في هيسمو فوش، وأتساءل ما إذا كانت أيام العمل هناك بالطول نفسه. يقف أرثيد بعيداً عِنْدَ أكداس الخشب وهم ينزلون آخرَ لوحٍ عن كتفه، أتمنى لو كنت مكانه. لم يبق سوى يومٍ واحد، ثم يأتي الأحد. «لا تبقَ واقفاً تحلمُ هناك، التّالي» يصرخ أحدهم.

أنتفض وأبدأ السيرَ نحو الأكداس حيث يُترَكُ الخشبُ ليجفّ قبل أن يُنقَلَ إلى منافذ البيع في المدينة، وهو يُكدّسُ بعنايةٍ وتوضع بين الألواح ألواحٌ أنحفُ حتى يمكن للريح أن تحترقها. أشعر بالعطش وَبِدَقٍّ في رأسي، المفروض أن استراحة الشرب اقتربت. تميلُ الألواحُ إلى الخلفِ قليلاً فأقدّمُ يديّ إلى الأمامِ قليلاً حتّى أحصل على توازنٍ أفضل.

فجأةً تبدأ اليد اليمنى بالانزلاق من القفّازِ ثانيةً. أحاولُ ضغطها إلى الداخلِ وإلى الأعلى ولكنني أتاخر في ذلك.

يحدث السقوط بسرعةٍ لا أتمكن معها من التفكير حتى. أفعل كل ما بوسعي لتوجيه الألواح إلى الخارج لكنّ اليد تواصل الانزلاق من القفّاز فتتهوي الألواح إلى اليسار لتصيب أرثيد الذي لا يلاحظ شيئاً قبل

أن تضربه الألواح فجأةً على ظهره فيتعثّر ويسقط إلى الأمام على منصّةٍ
للتحميل. تهوي الألواح مدوّيةً على الأرض لأكبو بعدها.
أنهض بالسرعة نفسها التي سقطت بها.

«يا للجحيم»، أقول عندما ألمح أرفيد على مسافةٍ مني.

كانت سقطته مؤذيةً والألواح قد تكوّمت عليه. يجلس ويمسك
بظهره. أركض إليه وأنحني عليه. أشعر بالخجل من نفسي حتّى أنني
أتمنى لو تبتلعني الأرض.

«لا بأس»، يقول لكنني أرى أنّه يتألم.

أن أكون أحرّق فهذا أمرٌ في حدّ ذاته، لكنّه أمرٌ آخرٌ أن يُصاب أرفيد
بسوءٍ بسبب ذلك. فجأةً ألاحظُ توقّف المنشار الآلي وأن جميع الأنظار
متجهةٌ نحونا.

«اللعنة، زلقت يدي، القفّاز..» أفلح في القول قبل أن يجرّني أحدهم
من الخلف.

«أيها الغبيّ الملعون، المفروض أن تُثبّت الوسادة بعناية».

صوتُ العجوز أشدّ حزناً في أذني من زجرة المنشار.

مثلما لم أتوقّع السّقطة للتوّ، أفاجأً باللطمة على الوجه. أُجبرُ على
أخذ خطوةٍ إلى الخلف وأهزّ رأسي، عادةً ما يساعد ذلك على التسريع في
تخفيف الشعور بالألم.

بعد حينٍ ألاحظ أن الناس تجمّعوا في حلقةٍ حولنا. ساعدَ أحدهم
أرفيد على النهوض وابتعد به إلى مصاطب استراحة الغداء. أريد الجري

خلفهما، أن أطمئنَ إلى أنه بخير وأن أعذر، لكنني أقف كالمتهجّر. يصعب عليّ استيعابُ ما حدث للتوّ. لقد مضى زمن طويلٌ منذ أن ضربني العجوز آخر مرة، ولم يحدث في السابق أبداً أنّه فعَلَ ذلك أمام الناس.

«إلى أيّ حدّ يمكن لغباء المرء أن يصل؟» يزجر وذلك السواد في عينيه.

يبدأ عاملان أكبر سنّاً في تكديس الألواح التي أفلتُها.

«هي المرة الثانية هذه السنة، متى ستعلّم؟»

لا أردّ بل أقف وعيناي مُسمّرتان في الأرض طوال ما يبدو كأنّه دهر. ينمو الغيظ داخلي لكنني لا أستطيع نطق كلمة واحدة. أريد أن أصرخ في وجهه أنّ على المرء أن لا يعامل ابناً له بهذا الأسلوب الذي يعاملني به، لكنني لا أقدر على تحريك عضلة واحدة.

نظراتهم حارقة لكنّ أحداً منهم لا يقول شيئاً. كلّهم ساكتون. الشيء الوحيد الذي يرنّ في الأذن هو صوت العجوز.

يعود صوت مُحركِ المنشار إلى الأزيز ثانية. أَلْمَحُ يوناّسون، الذي يقف مستنداً إلى العمود الذي عند المنشار، يتسم ابتسامةً صفراء. ضخّم كبناية ويستطيع بسهولة رفع جذع كاملٍ وحده. فإذا به يرفع ذراعه اليمنى ويشدّها ثم يقبض على العضلة الشديدة ويسخر مني. أتظاهر بأنني لا أرى، أشيح ببصري وأرتدي قبعتي. أضغط بيدي على أسفل قفائي وأمضي مبتعداً إلى كومة الألواح ثانية. أرتدي القفازين ثانية بينما أنا أرقُب العجوزَ الواقفَ عند المنشار موجّهاً الجذوع نحو الشفرة. من المستحيل أن أتعلم ذلك بالإتقان نفسه. أحاول بلع ريقِي. ربما أنا واهم

ولكنني أشعر كأنّ الجميع يحدّق فيّ. إنهم، كالعجوز تماماً، يعتقدون
حتماً أنني عديم النفع، وأنني برّهنتُ على أنني لن أتمكن أبداً من تدبّر
أمر المنشار بتلك الطريقة التي يتقنها هو.

عندما ينتهي يوم العمل أنسلّ مبتعداً نحو حافة البحيرة كي آخذ
طريقاً أخرى إلى البيت. لا أريد أن أصحب العجوز. لا أريد رؤيته
أصلاً. أريد أن أخفي.

أسير بمحاذاة البحيرة مسافةً قبل أن أعبر الطريق صاعداً عند أبعد
المنازل في رانين نحو الغابة. أميل إلى جانب درب البتولا عند إحدى
المزارع، حيث بدأت براعم صغيرة تشكّل على الأغصان النحيلة. رغم
أنّ الجوع ينهش معدتي، أبطئ الخطى قدراً استطاعتي. لا أريد العودة
إلى البيت. لا أريد الجلوس لليلةٍ أخرى عند الطاولة نفسها التي يجلس
عندها.

أخذ المنعرج إلى الجسر الصغير على جدول ريناس. تسبب ذوبان
ثلوج الجبال في الحفاظ على ارتفاع مستوى المياه. حين أخرجُ عند المرج
أتوقّف وأجلس القرفصاء عند شجرة حور رَجراج. جسدي مُنهك،
فأتهاوى. أسند رأسي إلى جذع الشجرة. أترك فكري يراجع ما حدث مع
الألواح وأرفيد. تكلمتُ معه قبل خروجنا من العمل وبدا أنه بخير. لم
يكن حانقاً أو ما إلى ذلك، ورغم هذا فإنني أشعر بالاستياء تجاه الحادث
بأكمله. أسلوبُ العجوزِ الكريه، ويوناسون. إننا في الواقع كان الصمتُ
أفطعَ ما في الأمر، أنّ الجميع وقفوا هناك فقط، يحدّقون بينما العجوز
يفعل ما فعل. أمزّع قبضةً من العشب. اللعنة، عمري ستة عشر عاماً،

لستُ صبيّاً يُدَجِّنه مثلاً يريد. أقطفُ فَرْفَرَةً وأرفعها إلى أنفي. رائحة الربيع فيها قوة فأتَنَشَّط بسببها. أقطف مجموعةً وأشكِّل باقَةً منها. ثم أفكر بالإعلان في الصحيفة. عن أنّ مصنع النجارة في هيسموفوش يبحث عن عمال. بإمكانني حتماً الحصول على عمل هناك.

«اللعنة..»، أغمغمُ وأقْطَب حاجبي. «اللعنة إذا لم..»، أقولُ بصوتٍ أعلى، أنهض وأنظر إلى شجرة الحور. «اللعنة إذا لم أطلب العمل في هيسموفوش!» أصرخ رافعاً رأسي نحو تاج الشجرة وأرمي الأزهار من يدي.

فجأةً أشعر بطاقةٍ غريبةٍ في جسدي يبدو معها كأن الجوع والتعب قد زالا. أتمطّى وأبدأ السَّيرَ بمحاذاة حافة المرج.

يتوفّر سَكَنٌ للعاملين، يقول الإعلان. سرير، غرفة، سَكَنٌ خاص. أشعر برعشةٍ في جسدي، أريد الوصول إلى البيت حالاً لأبدأ في رزم حقيبتَي. أهنالك يا ترى باصٌ يصل حتّى هيسموفوش أم أنّ المرء مجبرٌ على أن يمشي من كروكوم؟

يُسَكِّتُنِي ما يُشَبِّهُ صوتَ البوق ويحلّق فوقِي تماماً جَسَدا طائرَين مَهْيَيْن. أوّل كراكي هذا العام. أقف وأتبعهما بنظري. أرقُبُ الأجنحةَ الجبَّارةَ التي تحفّق بمنهجيةٍ دافعة الطائرَين الهائلَين إلى الأمام. أعدُ نفسي أنني سأكون قد تركتُ هذا المكانَ قبل طيرانها التالي جنوباً.

الساعة الخامسة والربع مساءً

كرات لحم السمك. أجلس للحديث قليلاً. يحكي لي بو عن تكديس ألواح الخشب في مصنع النجارة وعن «وسادة التحميل». عن أنّ الأمر تطلّب وقتاً في البداية، لكنّه أتقن العمل بعدئذ. تمّ الاستحمام على أصوله!

/ يوهانّا

الثلاثاء ٢٠ يونيو

الساعة الثامنة والرّبع صباحاً

بونائمّ اليوم، بينما الجويوشك أن يكون ماطراً... حشرة، وبُصاق
وسُعال قبل الفطور المُكوّن من عصيدة الأرز بالحليب وشطيرة الرنجة.
هانس هنا. يعطيه الدواء.

/ كالة

كان هانس هنا عندما استيقظتُ. ألغى اجتماعاً في عمله حتّى يأتي إلى هنا. اتّصلوا به بعدَ ظهرَ الأمس وقالوا أنّي خرجتُ وتجوّلتُ ليلاً. كأنها خَطَرُ لي أن أتمشّى دونَ هدف.

يطنّ صوت الميكروويف فيخرج هانس العصيدة.

«أتريد مُربّى العنبيّة؟» يسأل ويلتفت.

أومئ موافقاً وأدفع بيديّ مقعدَ الأريكةِ بشدّةٍ حتّى أجلس.

يضع صحن العصيدة أمامي ويصبّ قليلاً من الحليب. يضغط زرّ غلاية الماء ويلتقط هاتفهُ النّقّال. يترك لإبهامه أن ينطّ في أرجاء الشاشة بينما يسخن الماء للشاي.

«أولوف، مسؤول المساعدات، وإنجريد سيأتيان إلى هنا في العاشرة»، يقول دون أن يرفع بصره. «فكرتُ في أنّ بإمكانني أن أحضر اجتماعَ عملٍ من هنا. سأجلس في غرفة المعيشة من أجل ذلك».

أومئ وأتذوّق العصيدة التي مرّ عليها ما يكفي من الوقت كي تتصلّب قليلاً. يصبّ هانس ماءً ساخناً في أحد الأكواب ويضع فيه كيسَ شاي.

«سُكِّر. أليس كذلك؟»

«بلى»، أقول.

ينهض سيكستن عن الأرضية ويسير نحو هانس الذي يُرَبِّتُ على رأسه. يبدو كأنه يوشك أن يقول شيئاً لكنه يُطَبِّقُ فمه. يضع الكوب أمامي وتَرَوَى نظرتُه عندي.

«شكراً»، أقول.

لَمْ يَقُلْ شيئاً عن أحداث الليلة الماضية أكثر من أنه قد كَرَّرَ أكثر من مرة أن هذا لا يجوز. الأمر الذي جعلني أحدِّق فيه متسائلاً ما الذي لا يجوز؟

«سأبدأ اجتماع العمل هذا إذن»، يقول ونظرته تقول أنه ينتظر مني أن أقول شيئاً ولكنني لا أعرف ما هو.

«نعم».

«أعني أونلاين، سأكون معهم عبر الكمبيوتر».

«أوكي».

«يمكنك أن تذهب إلى التواليت مع ذلك، سأضع السماعات، لذلك فلا شيء سيسبب لي إزعاجاً».

«أوكي».

«حسناً إذن، أراك بعد قليل»، يقول ويغلق باب غرفة المعيشة خلفه. أومئ موافقاً وأدُسُّ ملعقةً من العصيدة في فمي. أمرٌ طيّبٌ أن تُسْتَعْمَلَ غرفة المعيشة. كنتِ أنتِ أكثرَ مَنْ استعملها. كانت مائدة

الخطاظة وأدوات الحياكة وما إلى ذلك من أشياءك فيها. منذ انتقلتِ صارت أغلب الوقت معبراً إلى الحمام.

ينتظر سيكستن أن أنتهي من تناول الطعام قبل أن يقفز إلى الأريكة ليستلقي إلى جانبي. وهو مثل بُسْتَرٍ في هذه الصفة؛ أنه يجب الاستلقاء بالقرب مني. وبالضبط مثل بُسْتَرٍ فهو يعرف أن الطعام هو ذلك الشيء الموجود في إناء الطعام. لا استجداء من أيٍّ منهما.

أشغل الراديو وأتمدد على أريكة المطبخ.

تحدث امرأة ذات نبرة داكنة بسرعة عجيبة. تكاد لا تتنفس أثناء حديثها وتصعب عليّ متابعتها.

«هذا صحيح بالطبع»، يقاطعها رجلٌ ويأخذ نفساً عميقاً. «لكن الآباء على أية حال يأخذون مبدئياً جميع الأشهر المخصّصة لهم». يتكلم أبطأ منها بكثير. «الأمر الذي أرى فيه حُجَّةً مهمةً لصالح تخصيص تأمين الوالدين». يبدو أنهم يرتوون أن يأخذ الرجال إجازاتٍ للبقاء في البيوت مع صغارهم بالقدر نفسه الذي تأخذه الأمهات.

«تتعطل المسيرة المهنية فيما يخص النساء، ويعلّقن خارج سوق العمل لعدة سنوات، فتكون عقوبة ذلك أوضاعاً اقتصاديةً أسوأ مقارنةً بالرجال» تقول المرأة ذات الصوت السريع.

أقبض على أذن سيكستن. كان هانس وسونيا يفعلان ذلك، أعني أيام الأبوة والأمومة وما إلى ذلك. لم نفهم لماذا كان الأمر بكل ذلك التعقيد، فقد بدا أن المرء بحاجةٍ لدورةٍ تعليمية لكي يفهم فقط نظام أيام الأبوة والأمومة نفسه.

«بعد أعياد رأس السنة يأتي دوري»، قال هانس ونحن نتناول الغداء في يوم أحدٍ عندما كان عُمرُ إلينور سبعة أشهر.

كنتُ أوشكُ أن أقول أنَّ سونيا مع ذلك هي من حمل بالطفلة في الواقع حينَ رمقتني بنظرةٍ قالت لي أنْ أحرص. ابتسمتِ لهانس لكنَّك لم تقولي شيئاً.

«يفعل الشباب ما يحلو لهم»، قلتِ بعد مغادرة هانس وعائلته.

ما يحلو لهم، يريد الجميع أن يفعلوا ما يحلو لهم هذه الأيام. لقد آلت الأمورُ إلى ما آلت إليه لِسبب. نظرتُ إليك وأنتِ تضبطين مقادير القهوة في المقلاة.

«لكنَّ الرِّجالَ غيرُ مناسيينَ للأطفال الصغار كذلك»، زجرتُ والعجوزُ في بالي. آية كارثة كانت ستحدث لو أنَّه هو من اعتنى بي. السنوات الأولى مع والدتي قبل المدرسة كانت أفضلَ سِنِيَّ عُمرِي. لم يكن هناك سوانا والحيوانات طوال النهارات. علَّمتني كلَّ ما هو مهمٌّ أن أعرفه في الحياة. وكلَّما كان العجوز بعيداً كان ذلك أفضل.

«هو كذلك غالباً»، قلتِ ووضعتِ مقلاةَ تحميص القهوة على الطَّباخ. «هو كذلك غالباً».

أُغمِضُ عينيَّ. ما أجمل أن لا أكون مضطراً إلى أيِّ شيءٍ من ذلك، ولا أفهم كيف يحتملونه.

«الرجلُ المحترم يرفعُ امرأته حتى تتمكَّنَ من رعاية الطفل، هذا جُلُّ ما في الأمر»، أغمغمُ لسيكستن وأترك لجفوني أن تُطبَّق.

«يجب شحذه أولاً»، أقول رافعاً المنجل نحو العجوز وهو يخرج.

دون أن يقول شيئاً، يُغلق الباب خلفه. يَعْلَمُ كلانا أنني صرت قادراً على استعمال حجر الشَّحْد أفضل منه الآن. يشدّ العجوز كتفيه لامبالياً ويبتعد باتجاه الطريق.

«ما الذي ستشحذه؟»

ألوي رقبتى وألاحظ أنني مُسْتَلَقٍ على أريكة المطبخ. يأتي هانس من غرفة المعيشة نحوي. أذعكُ عينيَّ كما ينبغي فْتَبَهْتُ صورةَ ظهر العجوز. «المنجل»، أحاول رافعاً يدي الفارغة.

«لا يوجد منجل هنا»، يُجيب هانس ويتوقف في منتصف أرضية المطبخ. «كنتَ تحلم».

لديه شيءٌ مشدودٌ حولَ فمه، بينما أترك يدي تسقط على البطّانية. يفتح هانس الثّلاجة ويملاً قدحاً بالحليب ويتقدّم نحو أريكة المطبخ. أتناول الكأس وأرتشف رشفة. «بابا، يُفْتَرَضُ بنا أن نُعيد بناء حمامك».

أرفع نظري إلى هانس الذي يرى حتماً أنني أتساءل عن السبب بحقّ كلّ ما له حق.

«لم يفعل أحدٌ شيئاً حياله منذ عقود»، يقول كأنها هناك خطأ ما في الحمام.

«لم يفعل أحدٌ شيئاً حياله؟»

«حسناً، عُمُرُ الحمام أربعون سنة الآن، يا بابا؛ حنفية الدوش تقطر على سبيل المثال».

يسحب هانس كُرسياً ويجلس قُبالتِي. يكسو وجههُ ذلك التَّعبير
الذي يقول أَنَّهُ يعرف ما هو أَصلح أَكثَر مِنِّي. لَأَنَّهُ درس في الجامعة
وسافر حول العالم بأكمله.

«ذلك لأنهم لا يشدّونه بما يكفي من القوّة»، أَقول.

«بل ذلك لأنّ كلّ شيءٍ قديم وبحاجةٍ إلى التبدّل»، يقول هانس
ويبدأ النظر في البريد الذي جلبه معه حين دخل. «ألن يكون مُريحاً
وجود تدفئةٍ أرضيةٍ أيضاً؟» أتساءل ما إذا كان ابناً عاقلاً بالفعل. أعتقد
جاداً أَنني سأُنصَّبُ حمّاماً جديداً وبتدفئةٍ أرضيةٍ فوق ذلك؟

«سيكون ذلك مفيداً لمفاصلك، على ما أعتقد»، يقول. «التدفئة
جيدةٌ لك، حسبما يقول الطيب».

يجلس ابنا ونظره مُسمَّراً في فاتورة الكهرباء. ألا يفهم أَنني سأَموت
قريباً؟

من قال أَنّ لديّ ما يكفي من الوقت لاستعمال ماء السَّخَّانِ كلّ قبل
نهايتي؟

أَتَعَبُ وَأُغْمِضُ. أَتَخَيَّلُ كيف يسير هانس في البيت وحيداً. يُفَرِّغُ
الثَّلاجةَ من عُلَبِ الوجباتِ الجاهزة التي اشتراها. يضعها في أكياسٍ
ورقية ويأخذها معه إلى بيته.

لحظة؛ الأرجح أَنه سيرميها.

الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق صباحاً

إنجريد وهانس وأولوف هنا. اجتماعٌ بخصوص إدخال الدورية الليلية لبو إلى المنزل وكذلك بخصوص وضع سيكستن. تم الاتفاق على زيارة الدورية الليلية لبو ابتداءً من ليلة الغد وأنَّ يبقى سيكستن ساكناً معه إلى أجلٍ غير مُسمّى وأنَّ يقوم موظفو الرعاية المنزلية بتمشية سيكستن عند توفُّر الوقت. تأخذ إنجريد على عاتقها المسؤولية الكبرى.

/ إنجريد

أرفع بصري إلى السَّقْف وأرهِفُ السَّمْع. لقد نسوا أن نافذة المطبخ مفتوحة. على الرغم من أنني أثق في أن إنجريد ستخبرني بما دار في الاجتماع فيما بعد فإنني أريد أن أسمع ما يقولونه هناك في الخارج.

«لكنّ خدماتكم لا تشمل المشاوير مع الكلاب يا إنجريد»، يقول هانس. «أفهم أن الكلب يعني الكثير له لكنّ هذا لا يجوز».

يسكتون قليلاً ويتنامى الغيظ داخلي. كم هو ضيق الأفق، ابننا. أردت أن أصرخ عبر النافذة: أيُّ ابنٍ ملعونٍ يهتم بماذا يشمل ماذا حين يتعلّق الأمر بكلبي؟

«بالنسبة لي هي مشمولة»، تقول إنجريد بهدوءٍ لا يُتقنه سواها وَبِحَزْمٍ يجعلني أُخَفِّفُ قبضتي على طوق سيكستن قليلاً.

«لكنّ الأمر ليس هذا فقط»، يواصل هانس. «فهو يخطر له أن يتمشّي في الغابة معه. يمكن أن يسقط، أن يكسر ساقاً، أن يصبح مُقْعَداً دائماً الرّقاد».

رغم أنني لا أستطيع رؤيته فإنني أستطيع بوضوح تخيّل لغة جسديّه.
كيف تُمسكُ يميناه بشحمة أُذنيه وتسحبها برّفق، كأنّها يُدلكُ نفسه.

لا أعرف ما شعوري لأنّه يتغيّر بين حينٍ وآخر. نبرته التي تُبدي
أنّه في غاية التّعاسة تجعلني أرغب في النهوض وفتح باب البيت لأقول
له لا بأس، يا هانس، سيكون كلّ شيءٍ على ما يرام. في الوقت نفسه لا
أستطيع فهم أنّهُ يُحاجّجها، أنّه يُعزّزُ حجّة الضرورة في نقل سيكستن
منّي. كأنّه بالفعل يريد إيذائي.

«أفهم أنّك قَلِقٌ على بو»، تقول إنجريد فأحبس أنفاسي. «ولكنّ
ما سيجري هو أنّ سيكستن سيبقى هنا وأنا من سيعتني بذلك. وهذه
خلاصة هذا الموضوع».

تَبَتَّلَ عيناى فأغْمِضَ رَغَمَ أن لا أحد سوانا أنا وسيكستن في الغرفة.
يسود الصمت لفترةٍ فيعلو صوت تكتكة ساعة الحائط على كلّ
شيء. أتساءل عمّا إذا كانوا خفضوا أصواتهم وهم يتكلّمون. ولكنّ
أولوف يبادر بالقول:

«إذنّ فهذا ما سيكون». لم يقل بالكاد شيئاً منذ وصوله، مسؤول
المساعدات الذي يقع مكتّب عمّله في فروسون ويسكن وَسَطَ المدينة.
يجب أن يكون حاضراً عند اتّخاذ قراراتٍ جديدة، ولكنّه كمن ليس
لديه الكثير ليدلي به. «دوريةٌ ليليةٌ وسيكستن باقٍ إلى أجل غير
مسمّى».

يغمرنى الشعور بالفرج، لكنّ المحاورّة تجعلني أفهم أنّ هانس لن
يستسلم بسهولة. لا أستطيع أن أضع كلّ أمني في إنجريد، ليس على

المدى الطويل . يجب أن أتوصّل إلى شيءٍ يمكن أن يعيده إلى رُشدِهِ . يجعله يُدرك مدى الخطأ في أخذ سيكستن .

إلّينور، بالطبع! أنهض وأمضي لأنظر في التّقويم . بلى، صحيح بالفعل، سوف تأتي بعد عشرة أيّام .

أجلس على أريكة المطبخ ثانيةً وأخذ وريقةً من الحزمة التي على الطاولة . الاتصال بإلّينور . فور مغادرة هانس سأحاول الوصول إليها . حين أضع القلم على الطاولة يخامرني شعورٌ بأنّ هناك شيئاً ما يخصّ إلّينور كان المفروضُ أن أخبر هانس به، لكنني لا أستطيع تذكّر ما هو .

تقف إنجريد في المطبخ وتغسل الصحون التي خَلَّفَهَا هانس وأولوف. دخلوا جميعاً وشربوا قهوةً وأكلوا مازارين وقَدَّمُوا «مُقْتَرَحَهُمْ» كما أَسَمَوْه. كما لو أنَّ بمقدوري أن أُبدي رأياً فيه.

تقول إنجريد أنَّ علينا أن نأخذ الأمورَ يوماً بيومٍ وأنا أثقُ بها. تغلق الحنْفِيَّة. تُنَشِّفُ يديها بمنشفة المطبخ وتعلِّقُها على الخطَّاف الذي بجانب مغسلة الصحون. كان من عادتكِ تعليقُها على مقبض باب الفرن.

مكتبة

t.me/soramnqraa

تسحب الكرسيَّ وتجلس قبالي.

«أخبرني، ماذا كتبتَ في الرسالة؟»

«ماذا؟»

«حسناً، أَلَمْ تَقُلْ أَنَّكَ كتبتَ رسالةً لفريديكا وكنت تريد إرسالها

تلك الليلة؟ ماذا كتبتَ فيها؟» تسألني إنجريد ثانيةً.

«إِه»، أقول وأشعر بزوال الهمِّ عن صدري.

تظلُّ إنجريد جالسةً على الكرسي ونظرُها مُسَمَّرَةٌ عَلَيَّ.

«كَانَ حُلُمًا»، أقول. «أو ذكرى على الأصح، أو يمكن القول أنني حلمتُ بذكرى معينة».

أسعل وأبصق في الكوب. تناولني إنجريد منديلاً ورقياً ونظرتها لا تزال مُثَبِّتَةً على وجهي.

«وما كانت تلك الذكرى؟»

«الأمريدعو للسخرية قليلاً»، أقول وأسكت.

تومئ لي إنجريد كي أواصل.

«كان منتصف صيفٍ قبل زواجنا، أنا وفريدريكا. كانت مُصِرَّةً على اصطحابي للخروج ليلاً وقطف الزهور. تعرفين. أن تضع سبع زهراتٍ تحت الوسادة. يعني؛ حتى تتأكد من أنني كنتُ الرجل المناسب حقاً».

أسكتُ وتتأججُ حرارةٌ في الخدين.

«حسناً، كانت تلك رجاحةٌ عقلٍ من قبلها»، تقول إنجريد. «لم تُردُ أن تشتري سَمَكاً في البحر^(١) طبعاً».

أضحك.

«لا، لم تُردُ ذلك حقاً».

«لكن الأمر سار على مرامك، لذا فلا بُدَّ أنها حلمت بالشخص الصحيح، أليس كذلك؟»

«حسب ادّعاءها»، أقول ولا أقوى على كبح الضحك.

(١) الترجمة الحرفية للتعبير السويدي الشائع الذي يرد في النص الأصلي هي: «أن تشتري خنزيراً في كيس (مُغلق)».

جئتِ إليّ راكضةً في اليوم التالي.

«كنتَ معي طوال الليل. هذا عجيب، أليس كذلك؟» قلتِ ولا أدري مَنْ مِنَّا ضحك أكثر لحظتها. رفعتكِ ودُرتُ بِكِ مرّةً بعدَ مرّةٍ بعدَ مرّةٍ.

يتجمّع البلغم فأبصق في الكوب ثانيةً، وأشدّ على نفسي بكل ما أستطيع. تنهض إنجريد وتجلب لي كأساً من الماء. تتحرّك بِيسرٍ، ولا يكاد يصدر صوتٌ عن سيرها فوق أرضية المطبخ. «تفضل»، تقول وتمدّ يدها بالكأس.

أرتشف رشفةً فأشعر بحلقي يتحرر قليلاً.

«أعتقد أن لا أنا ولا أنتَ نعتقد بحكايات أزهار منتصف الصيف تلك»، تقول بعد قليل وتجلس على الكرسي ثانيةً. «ولكنّه كانَ من سَعِدِ طالعك فعلاً أنْ مَنْ ظَهر لها في الحلم تلك الليلة لم يكن كائناً آخر».

يخطو تورة خطىً واسعةً فوق الأرضيّة، يقبض بإحكام على العارضة، ثمّ يرفع ساقه اليمنى ويشدّ نفسه رافعاً باقي جسده إلى السرير العلويّ. يمدّ ساقيه الطويلتين ويدسّ ذراعيه تحت وسادته، ثمّ يُطلق زفيراً بطيئاً.

أسدٌ فتحة الموقد وأترك بصري يجول في المكان بينما أمطّ ظهري في الوقت نفسه. الجدران الخشبية داكنةٌ بسبب سخام نار الموقد مما يُحمّد نورَ سبتمبر المتسلل عبر النافذتين الصغيرتين. تُصرّ ذبابةٌ بعنادٍ على الاصطدام بلوح زجاج إحدى النافذتين. أُلّفُ صحيفةً قديمةً وأصوّب. تسقط الذبابة بعد أول رمية، فأفتح النافذة وأدفع الذبابة الساقطة إلى الخارج.

أخرج إلى الشرفة وأخذ كيسَ الشار^(١) الذي وضعه تورة في دلوٍ به ماءٌ للحفاظ عليه بارداً. أنزل إلى الجدول وأغرّز الدلو حتى أعمق نقطةٍ أستطيع بلوغها في الماء ثم أنحني وأبدأ بتنظيف وغسل السمك في

(١) الشار (Röding): من أنواع سمك السلمون.

الماء البارد المتدفّق. تنمو على بعد أمتار قليلةٍ مني أشجار بتولا متشنجة المظهر، أوراق تيجانها تتحوّل إلى اللون الأصفر. يقع الكوخ عند حافة الغابة تماماً. الهدوء طاغٍ إلى حدّ أن جريان الجدول يبدو هادراً.

حين أعود إلى الكوخ أجد تورة جالساً على أحد كراسي المطبخ وبين ساقيه دلوٌ مليء بالبطاطا.

«تمام، سأخذ ممتناً القليل من الماء»، يقول وهو يميل إلى الخلف.

أخلع جزمتي وأسير نحوه.

«أعتقد أنني لم أعتدّ على ذلك بعد»، أقول وأسكب مقدارَ رشّةٍ من الماء في الدلو الذي أمامه. «في جسدي شعورٌ من عليه العودة إلى العمل». يلتقط تورة إحدى البطاطات ويزيلُ تراباً قليلاً عالقاً بها. كنت قد هياّت عدة كيلوغرامات كمؤونةٍ لنا.

«سيأتي الوقت»، يقول ويلتقط واحدةً أخرى. «سيأتي الوقت. تطلّب الأمر معي سنة. واصلت انتظار نهاية الأسبوع حتى أسافر، في الوقت الذي كان بإمكانني أن أسافر فيه يوم ثلاثاءٍ مثلاً».

أومئ موافقاً وأضع السمك على مغسلة الصحون. لست من النوع كثير السفر، لكنني أفهم ما يعني.

أنزل الملح من الرفّ. على نحوٍ ما صرتُ أشعر كأنّ الكوخ كوخِي، فقد تردّدتُ إليه على مدى سنواتٍ عديدة. ولكنني لا أملك ذكريات طفولةٍ هنا كما هي حال تورة بالطّبع.

«أكنت تأتي إلى هذا الكوخ كل عامٍ طوال حياتك أم ماذا؟» أسأل

وأنا أُمَلِّحُ السَّمَكَ كما ينبغي. على المرء أن لا يُقَتَّرَ، هكذا كنتِ تقولينَ عندما أسألك عن المقدار الصحيح للتمليح.
يديرُ وجهَهُ نحو النافذة.

«بعد العشرين ببضع سنوات توقفتُ عن المجيء، وإلا فقد فعلت ذلك طوال حياتي تقريباً، نعم»، يقول بعد حين ويضع البطاطا في القدر. «أتكفيك خمس بطاطات؟» يسأل وهو يعرض ما في القدر.
أومئ موافقاً. أضع كميةً وافرةً من الزبدة في مقلاة حديد الزهر وأضعها على الموقد.

«تدري؛ كنتُ بحاجةٍ إلى استراحة من هيسموفوش، أردت أن أرى شيئاً آخر».

أفهم أنه أراد الهروب، أعلم من خلالك ما الذي كان يُقال. شخصياً ما عُدتُ تتحدثين عن الأمر، أظنّ أنّك تقبّلتِ صداقتنا بعد فترةٍ وما عدنا نتكلم عن تورة إطلاقاً. ليس هناك المزيد لنقوله عن ذلك.
«فكانت يوتيوري»، أكملُ كلامه.
«ممم، كانت يوتيوري».

لقد حدّثني عن تلك المدينة الساحلية. السفن والرافعات وأسواق السمك. الترام. أتساءل أحياناً كيف سيكون الأمر لو زرته وهو في يوتيوري. فهو لا يزال يتردد إليها كثيراً. أن أحزم حقيبةً وأركب قطاراً وأن يستقبلني تورة في محطتها المركزية. ولكن ذلك لم يتسنّ لي.
أغرز الشوكةَ في كتلة الزبدة التي بدأت تسيح. أشكّل دوائرَ في المقلاة وأتذكر حين انتقلتُ إلى هيسموفوش.

«اللجنة، كم كان الخلاص من العجوز مريحاً»، أقول بعد حين.
أعني حين انتقلت من ريناس. أن لا يكون فوق رأسي دائماً، متدخلاً
في كل شيء بشكلٍ ما. كان يريد أن يسير كل شيء على طريقته ولم يكن
بمقدور المرء أن يعارضه. تدري؛ كان يقلب الدنيا لو وضعتُ الحطب
في موضع آخر غير الذي اعتاد أن يضعه فيه».

يمنحني تورة نظرة مؤيدة ويضع القدر على الموقد. إنه أكثر صمتاً
من المعتاد. من جانب آخر فهو يصبح هكذا غالباً عندما نكون هنا، كأنه
يستكين.

«هنالك أشياء معينة لم يكن ممكناً أن تُزعزع لدى ذلك الجيل»،
يقول بعد فترة وينظر إلى الخارج عبر النافذة.

تفرق المقلاة حين أضع السمك فيها حتى أنني أجفل لذلك.
أحركها إلى حافة الموقد فتهدأ الجلبة. لا يبدو على تورة أنه لاحظ شيئاً.
نظرته عالقة بشيء ما في الخارج.

لم يخبرني بالكثير عن والديه. أعرف أن والده مات مبكراً وأن
والدته سكنت دار الرعاية.

«أكان هو الآخر كذلك، عجوزك، أم ماذا؟»، أسأل بعد قليل.

بيطءٍ يُطلق تورة تنهيدة ويرفع كتفيه.

«بلى، كان بالفعل شيطاناً مجعجعا»، يقول وينهض.

يجلب صحنين وأدوات مائدة ويهيئ الطاولة لجلوسنا.

أومئ. لا بد أنهم جميعاً كانوا كذلك.

«إن جاز لي القول فقد كان أبعد ما يكون عن الولع بمجموعة وحش ستورثون التي أملكها»، يقول بعد حين وفي عينيه نظرة شيطانية مثيرة.

«يمكنني تخيل ذلك».

أنفحص تورة بنظرة حيث يقف عند منضدة المطبخ منزلية الصنع. لا بُدَّ أن الأمر كان متعباً بالنسبة له، كان العجوز سيطر دني دون شكّ لو حدث ذلك معي.

«من المريح أتمها ميّتان»، يقول بعد قليل ويلتفت. يصبح فجأة أكثر جدية. «ولكن؛ ربّما لا يجوز للمرء أن يقول شيئاً كهذا».

أرفع كتفيّ لا مبالياً ونصمت لفترة، تاركين السمك يُكمل فرقعته. لم أفكر بهذه الطريقة أبداً من قبل، لكنّه على حق. كان موت العجوز فرجاً لي. أغرز مغرفة القلي تحت السمكة حتّى لا تلتصق وتحترق. لكنني أشعر أن من الخطأ التفكير هكذا.

إنّها شجاعة من تورة أن يقول شيئاً كهذا. بصراحة، ما يراه. كما أنّه أمرٌ مريح؛ أننا نتشابه فيما نشعر على ما يبدو.

يُخرجُ قاعدتيّ قدورٍ ويضعهما على الطاولة، فأضع مقلاة حديد الزهر على إحداهما لتهدئ بصوتٍ مكتوم.

«أحسنّت بالإبقاء على الرأس»، يقول وينظر إلى الصحن. «بذلك يحافظ اللحم على طراوته».

أومئ وأخرجُ شريحتين من الخبز الرقيق من الكيس الذي زودتنا به

وأقطعها إلى قطعٍ بأحجامٍ مناسبةٍ لنقتسمها. يُوزَّعُ تورة شيئاً من البطاطا المهروسة على كل قطعة خبز ويجلس. نبدأ بقرمشة الجلد.

«مَرَّ لاموسٌ بقربي عندما كنت أجلب الماء»، أقول وأشعر بسعادةٍ، لأنني أحكي عنه، تشبه سعادتي حين رأيته. يتسم تورة ويعدّل جلسته ليستقيم ظهره. إنها سنة اللاموس، لقد رأينا على الأقل دزينةً ميتةً منه في طريقنا إلى هنا.

«طَيِّبٌ؛ أليس هذا مما يسعدك؟» يقول وهو يقسم لحم السمك فوق البطاطا المهروسة ثم يطوي قطعة الخبز. «فقد كنتَ شديد القلق على أولئك المساكين الصغار في الطريق إلى هنا!».

«إِه»، أقول ولا أستطيع منع نفسي من الضحك.

يتبدّد عبق السمك ويتجلّى صوت تكتكة ساعة المطبخ. أدْعُكُ الحياةَ في عينيّ وأرى يوهانّا تعبث هناك عند منضدة المطبخ. يضغط سيكستن على ساقَي اليسرى. مدفأة سريرَي الأحب. أمْسُد عنقه وأثناء وسعٍ فمي.

الساعة السادسة وخمس وعشرون دقيقة مساءً

بو غارقٌ في نومه حين أصل. يريد بطاطا مهروسة مع الشار على
العشاء، لكنّه يحصل على كرات لحم السمك مع الصلصة عوضاً عن
ذلك. أخرج مع سيكستن في مشوارٍ قصير.

/ يوهانّا

السبت ١ يوليو

الساعة الثامنة والرّبع صباحاً

عصيدة الأرز بالحليب للّفطور ثمّ الدّواء. بو طيّب المزاج ويريد
الاستحمام. يقرأ في التّقويم أنّ إلّينور ستأتي بعد الظّهر.

/ يوهانّا

لا أحتاج أن أقرأ في التّقويم كي أتذكّر أن إلّينور ستزورني اليوم.
هذا هو أوّل ما يخطر ببالي عندما أستيقتظ. إلّينور، نحلّتنا، التي تعني
باحتياجات جدّها.

أمسح وجهي براحتيّ وأثناءب.

«تفضّل»، تقول يوهانّا وتضع صحنَ العصيدة على الطاولة.

أدفعُ نفسي للنهوض بينما تصبُّ يوهانّا الحليبَ في الصحن.
العصيدة محلولة فتكاد تمتزج بالحليب مباشرةً.

الجو دافئ رغم أن الوقت مبكّر. يوهانّا، المرتدية تيشيرتاً أخضرَ
وبنطالاً من الجينز، لا تكبّرُ إلّينور سوى ببضعة أعوام. درستُ مع
جدّها في المدرسة نفسها. كان من النّوع الذي لا يتكلّم كثيراً وغالباً
ما كان يؤثّر البقاء مع نفسه فلم يكن بإمكان أحدٍ أن يفهم منه شيئاً.
كنا عُصبةً من عاداتها لعب الكرات الزجاجية بعد المدرسة، وكان ينضم
إلينا أحياناً. لكنّه كان يسبح في أفكاره بينما نحن نعلّق على رميات بعضنا
البعض.

لكنّه كان شيطانَ نَحْت، وكانت زوجته تبيع منحوتاته في سوق عيد الميلاد كلّ عام.

«خطافاتٌ جميلة»، قالت يوهانّا مبتسمةً أوّل مرّة جاءت فيها إلى هنا وهي تُعلّقُ سترتها في الرّدهة. لا بُدَّ أنّها قالت ذلك عند كثيرين سواي لأنّ خطافاتِ تعليق الملابس التي من صنّعه كانت رائجةً ومرغوبةً. أصابعي أشدُّ ما تكون تصلّباً في الصباح فيصعب عليّ التقاطُ الملعقة من على الطاولة. في النهاية أدفعها إلى حافة الطاولة حتى يبرز نصفها فأستطيع القبض على مقبضها.

«هل خرج؟» تسأل يوهانّا وتلتفت نحو سيكستن الرائد على الأرض.

أحاول التذكّر. أحياناً أستيظ عند الرابعة فجراً فأخذه في مشوار تَبَوُّلٍ ولكنني لا أستطيع أن أتذكّر ما إذا كنت فعلت ذلك هذا الصباح.

«لا، لا أعتقد ذلك»، أقول متردداً. لا أريد أن أعطي انطباعاً بأنني لا أدري بما يدور حولي.

تلتقط يوهانّا الهاتف النّقَال من الجيب الخلفي وتطالع الوقت. «تناول أنت العصيدة وسأخذه أنا في مشوارٍ قصيرٍ قبل حمّامك»، تقول.

في الواقع ليس هذا يوم استحمام ولكن يوهانّا ترى أنّ بإمكاننا القيام باستثناء لأنّ إلّينور سوف تأتي. ولا أعترض بل أومئ موافقاً وَحَسْب. لا أريد أن تكون رائحتي كمِسْنٍ نَتْنٍ أثناء وجود إلّينور هنا.

تناولت العصيدة كلها قبل عودة يوهانا. أقرّر أن أنظّف وأرتّب طاولة المطبخ لكنني لا أفصح سوى في وضع الصحف في كومة قبل أن تفتح يوهانا باب البيت. يتقدّم سيكستن ليلقي التحيّة عليّ ثم يقفز بسرعة إلى أريكة المطبخ. يغتنم الفرصة ليمتدّد على جهة الرأس فيريح رأسه على الوسادة.

«حسناً، هل أنت مستعدة؟» أسأل فاتحاً ذراعيّ عندما تدخل يوهانا إلى المطبخ.

تضحك.

«يُفْتَرَضُ بالينور أن تأتي كل أسبوع، تخيل كم ستكون نظيفاً عندئذ.»
«إه»، أقول ولكنني لا أستطيع منع نفسي من الابتسام قليلاً. «هيا بنا».

أستدير وأبدأ السير نحو الحمام. تسير يوهانا خلفي تماماً حتى تكون مستعدة لكي تتلقاني إذا ما سقطت. أسير ببطء لكنّ ذلك على ما يبدو لا يؤثرها.

من عادة تورة أن يخلع ملابسه قبل ذلك فيجلس عارياً ومستعداً على مقعد التواليت عندما يصلون. أحياناً يصلون متأخرين، إذا حدث شيء ما. عندئذ يبقى جالساً هناك في انتظارهم دهرأ.

«أتوتّر عندما يتوتّرون بسبب الوقت»، قال حين قلت له أنّ ما يفعله ليس ضرورياً، أن يجلس هناك وينتظر.

أما أنا فلا يهمني ما إذا كانوا متوتّرين أو لا، فأنا آخذ وقتي بغض النظر. في مقابل ذلك فإنني أرى أنهم يصرعوننا بكثرة الاستحمام. لم

أَتَحْمَمُ أَبَدًا فِي حَيَاتِي بِهَذَا الْقَدَرِ كَمَا فَعَلْتُ فِي السَّنَاتِ الْأَخِيرَةِ. وَهَذَا مَعَ
أَنِّي أَرَفُضُ أحيانًا. مَا أَهْمِيَّةُ أَنْ تَكُونَ رَائِحَتِي كَرِيهَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ هُنَا
فِي شِمِّ الرَّائِحَةِ؟

«تَفْضَلْ»، تَقُولُ يَوْهَانَا وَتَضَعُ مَنْشَفَةً عَلَى مَقْعَدِ التَّوَالِيَتِ حَتَّى لَا
أَبْرُدَ عِنْدَ جُلُوسِي. تَمِيلُ فَوْقِي حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْخِزَانَةِ الَّتِي كَدَّسَ مُوظَّفُو
الرَّعَايَةِ كَمِّيَّاتٍ مِنَ الْمَآزِرِ وَالْقَفَازَاتِ الْبِلَاسْتِيكِيَّةِ فِيهَا.

«فَلَنَرِ الْآنَ»، تَقُولُ وَهِيَ تَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّهَا تَرْتَدِي الْمُنْزَرَ الْبِلَاسْتِيكِيَّ كَمَا
يَنْبَغِي. «أَبْدَأُ بِالْقَمِيصِ؟»

«فَلْنَبْدَأُ بِالْقَمِيصِ»، أَقُولُ لِيَوْهَانَا وَأَرْفَعُ ذِقْنِي حَتَّى تَتِمَكَّنَ مِنَ
الْوُصُولِ إِلَى زُرِّ الْقَمِيصِ الْعُلُويِّ فَتَفْتَحَهُ.

يَأْتِي سِيكِسْتَنُ وَيَتَوَقَّفُ عِنْدَ فَتْحَةِ الْبَابِ وَيَنْظُرُ إِلَى مَا نَفْعَلُ. يَرْفَعُ
أُذُنَيْهِ وَيَحْدَقُ بِتَرْكِيزٍ. يَبْدُو أَنَّهُ يَرَى الْأَمْرَ مُضْنِيًّا.

«رَبِّمَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ فَنَأْخُذَ سِيكِسْتَنَ أَيْضًا فِي طَرِيقِنَا،
مَا دَمْنَا بِدَانَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟» تَقُولُ يَوْهَانَا وَهِيَ تَوْسِّعُ عَيْنَيْهَا وَتَخْرُجُ
لِسَانَهَا.

أَضْحَكُ لَذَلِكَ.

«سَيَكُونُ ذَلِكَ رَهِيْبًا!»

أَجْلِسُ عَارِيًّا عَلَى مَقْعَدِ التَّوَالِيَتِ وَأَنْتَظِرُ بَيْنَمَا هِيَ تَفْتَحُ الْحَنْفِيَّةَ.
الْحَمَامُ دَافِئٌ. لَا بُدَّ أَنْ هَانَسَ قَدْ شَغَلَ الْمَدْفَأَةَ دُونَ أَنْ يَسْأَلَ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ
أَنِّي أَرَاهُ أَمْرًا غَيْرَ ضَرُورِيٍّ.

«هل الحرارة مناسبة؟»، تسألني وهي تقدم لي رأس الدوش.

أمدّ ذراعي تحت ماء الدوش وأقول أنّ حرارته معتدلة. تصبّ الماء على كرسيّ الاستحمام قبل أن أدخل إلى كابينة الدوش وأجلس.

«الآن يأتي الماء إذن»، تقول قبل أن تدع دفق الماء ينكسر عند قدميّ المتصلبتين. إبهاما قدميّ منحرفان إلى حدّ يكاد المرء لا يستوعب معه أنّهما إبهامان، تماماً كإبهاميّ قَدَمي أُمّي. «ألا تزال الحرارة مناسبة؟»

أومئ موافقاً فتواصل صعوداً. تقشعرّ بشرتي حين يجري الماء على طول ظهري فأغمض للحظة.

«خذ»، تقول وتناولني رأس الدوش.

تعتصر كمّية وفيرة من الصابون السائل في يدها وتُصوِّبُنِي. تُدخِلُ أصابع يدها لتشبكها بأصابع قدمي. يدغدغني ذلك ويريجني في الوقت نفسه.

«لماذا لا نُعاوِدُ القيامَ بهذا مرّاتٍ أكثر؟» أسأله.

تبتسم يوهانّا وتواجه نظرتي.

«الحقّ، يا بو، أنّك تقول هذا كلّ مرّة».

الساعة الواحدة وعشرون دقيقة بعد الظهر

يُقابِلُنِي بو خارجاً في الحديقة ويريد تجريب قيادة سيارتي، يريد عقد صفقة في الحال، عالية وفخمة، يقول. مزاجه رائق ويتطلّع إلى زيارة إلينور. مستحمٌ حديثاً وطيب الرائحة! غراتان البطاطا مع لحم الديك الرومي للعشاء. آخذ سيكستن في مشوار قصير.

/ كالة

لقد استنفد الحتمام طاقتي حتماً لأنني جائع رغم أنني تناولتُ الغداء
الذي أعدّه كالة توّأ. أنهض حتى أذهب لِأُعِدَّ شطيرةً.

يَعْلَقُ نَظْرِي بِقُصَاصَةِ التذكير اللاصقة التي تركها هانس كي أتذكّر
أن آكل. تسببت الرطوبة وبخار الطبخ في جعل الورقة مَمُوجَةً كما إنَّ
إحدى زواياها قد أفلتت وبدأت تنثني إلى الداخل.

الثلاجة مليئة بما أحبّ؛ أتأثّر حقاً لرؤية الرفوف المزدهمة بالبيرة
الخفيفة وهُلام العجل والأرز بالحليب والحليب المُخَمَّر طویل الأجل^(١).
العلامات التجارية نفسها والطعام نفسه الذي اعتدنا أنا وأنتِ على
شرائه معاً. خيراً فَعَلْنَا معه رغم كل شيء، أعني ابناً. حقاً.

يُفْتَحُ البابُ الخارجيّ فأشعر بدفءٍ يسري فيّ. أعرف أنّها إلينور
ولا أملك إلا أن أبتسم. أُخْرِجُ قطعةً شوكلاتة من الثلاجة وأضعها
على طاولة المطبخ.

(١) الحليب المُخَمَّر طویل الأجل (Långfil): من أنواع الحليب المُخَمَّر المنتشر في شمال
السويد وغرب فنلندا. يكون خفيف الحموضة، متماسك القوام ولا يفسد بسرعة
فساد باقي أنواع الحليب عموماً.

البيتُ نفسه يغدو أكثرَ حُناً لِلمُجرّدِ كونِها فَتَحَتْ بابَه. حالُها يقعُ
بصرُها عليّ تمدّ ذراعيها وتنطّ لتدخلَ إلى المطبخ.
«جدي!»

أكادُ أسقط حينَ تعانقني. أفهقه وأربّت على شعرها الأشقر الذي
يصبح أطولَ وأطولَ.

«إنني أريّه. أريد أن يطول حتّى يغطّي صدري»، تقول بلا حياءٍ
حينَ أقبض قبضاً خفيفاً على لُبَدَتِها الكبيرة.

هكذا كانت دوماً. تترك الكلام يخرج دونَ حَرَجٍ على عكس والدها
الذي يتفوق على نفسه لأقلّ شيء. لهذا فإنّ إلّينور أشبهُ بتورة، حيث
تجري الأمور بِسُرٍ بيننا. لم أكنُ أبداً بحاجةٍ إلى التفكير العميق معها ولا
إلى فرط الاحتراز كما أفعل مع هانس.

كيف يا تُرى أمكنَ لحفيدتنا أن تختلفَ عن أبيها هكذا. ربّما يتعلّق
الأمر بسونيا، أنّها فعلت مع إلّينور شيئاً لم نفعله مع هانس.
يُقبَلُ سيكستن ويضع رأسه على ظاهر فخذه ويداعبُ يدها بأنفه.
تضحك وتجلس القرفصاء أمامه.

«مرحباً أيها الوعلُ العجوز، كيف حالك؟» تسأله وتُمسّدُ رأسه.
«بخيرٍ حالٍ طبعاً»، أقولُ وأتمطّى.

تُخرِجُ إلّينور إحدى ألعابه، فيقبض سيكستن عليها في الحال. أحبُّ
رؤيتها تلعبُ معه وأرى فرصتي.

«لكنّهم رغمَ ذلك يريدون أخذَه. أكيدٌ أنّك سمعتِ بالأمر، أليس
كذلك؟»

ترمي إلينور لعبة سيكستن بعيداً وتتبعه بنظرها حين يركض خلف اللعبة.

«أعتقد أن والدك أُصيبِ بِلَوثة».

يعود سيكستن باللعبة راغباً في أن ترميها ثانيةً. لكنها تكتفي بوضعها على الأرض أمامها وتحكّ ما خلف أذنيه عوضاً عن ذلك.

«يرى أنني غيرُ قادرٍ على العناية به؛ أن سيكستن لا يخرجُ للتمشي كفاية. منذ متى يهتم هانس بالحيوانات؟» أقول وأبدأ بالسعال حين أرغب في الضحك.

تُناولني إلينور المبصقة. أستدير وأشدّ على نفسي بكل ما لديّ من قوّة حتّى أخرج أكبر قدرٍ ممكنٍ من البلغم. تسحب إلينور كرسي المطبخ وتجلس. يتبعها سيكستن ويضع رأسه في حضنها.

أتعب من السعال والبُصاق حتّى أنني أحتاج إلى الاستلقاء.

«على أيّة حال، يجب أن تُكلّمي والدك كي يعود إلى رُشدِه»، أقول بينما يثقل رأسي على الوسادة. يهدأ ما يعتمل في صدري.

تجلس إلينور صامتةً، وتواصل الإشاحة ببصرها. هل حدث شيء؟ ليس من عاداتها أن تظلّ صامتةً هكذا.

«لقد فهمت من أبي أن هناك بعض اللغو بخصوص سيكستن».

إذن فقد زرع اللعينُ أفكاره الجنونيّة فيها مُسبقاً. أحاول إحكام قبضتي لكنني لا أفلح في ثني أصابعي. للجميع الحق في المشاركة في القرارات التي تُتخذُ بشأن حياتي، إلّا أنا.

تلهو أصابع حفيدتنا بِرُذُنِ كَنَزَتِهَا.

ثم ترفع نَظَرَتَهَا، فأقَابِلُهَا وأَلَا حِظَ الشَّيْءِ نَفْسَهُ الَّذِي أَلَا حِظَهُ فِي عَيْنِي هَانَسَ. ذَلِكَ الشَّيْءُ الَّذِي يَقُولُ أَنَّ الْأَدْوَارَ مَعكُوسَةٌ الْآنَ. شَيْءٌ مُشْفِقٌ لَكِنَّهُ مَتَفَوِّقٌ.

«بابا على حَقٍّ فِي الْوَاقِعِ»، تقول فتعتمَلُ حَشْرَجَةً فِي صَدْرِي. «إِنَّهُ أَمْرٌ صَعَبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَخْرُجَ مَعَهُ».

لَا أَسْتَطِيعُ تَقَبُّلُ مَا تَقُولُهُ. لَمْ أَعْتَقِدْ أَبَدًا أَنَّ هَذَا كَانَ سَيَحْدُثُ.

«أَرْجُوكَ، لَا تَغْضَبْ»، تَتَنَهَّدُ وَتَتْرَكَ ذِرَاعَيْهَا تَسْقُطَانِ عَلَى جَانِبَيْهَا. «يَحْتَاجُ سِيكِسْتَنُ أَنْ يَمْشِيَ مَشَاوِيرَ أَطُولَ».

كَأَنِّي لَا أَعْرِفُ مَا تَحْتَاجُهُ الْكَلَابُ.

أُغْمِضُ، لَا أُرِيدُ رُؤْيَيْهَا. تَدُورُ الدُّنْيَا بِرَأْسِي وَأَشْعُرُ بِالْغَثِيَانِ.

أَرَدْتُ الصَّرَاخَ: بَعْدَ كُلِّ مَا فَعَلْتُ لِأَجْلِكَ. بَعْدَ كُلِّ مَا بَنَيْتُ وَكُلَّ الْمَرَّاتِ الَّتِي أَوْصَلْتُكَ فِيهَا إِلَى تَدْرِيبَاتِ كُرَةِ الْقَدَمِ. تَقُولُ أَنَّهَا تَتَفَهَّمُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ سَهْلًا. أُرِيدُ الصَّرَاخَ بِأَنَّ مَنْ فِي الْحَادِيَةِ وَالْعَشْرِينَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ شَيْئًا، لَكِنَّ شَيْئًا مَا يَمْنَعُنِي. لَا أُرِيدُ الصَّرَاخَ؛ لَيْسَ عَلَى الْيَنُورِ. أُغْمِضُ عَيْنِي وَأُخْرَسُ.

«أَرْجُوكَ، جَدِّي؛ أَنْظُرْ إِلَيَّ».

أَفْتَحُ عَيْنِي قَسْرًا. تَبْدُو تَعِيسَةً إِلَى حَدٍّ يَجْعَلُنِي أَكْفُ عَنْ الْغَضَبِ لَوْهَلَةٍ. لَا أُرِيدُ أَنْ أَوْذِيهَا.

«أَعْتَقِدُ أَنَّ سِيكِسْتَنَ سَيَكُونُ بِحَالٍ أَفْضَلَ إِنْ عَاشَ عِنْدَ عَائِلَتِهِ مَا»، تقول وَتَضَعُ يَدَهَا عَلَى سَاقِي. يُحَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّ يَدَهَا تَرْتَعَشُ.

الحالةُ من الغرابة بحيث لا تخرج الكلمات. تغادرنى طاقتي وأشعر
بالخواء. أرقد فقط، صامتاً، فحتّى نحلّتُنَا تخذلني. لا أدري لماذا ولكنني
أشعر أنّ خيبة أُملي في إلّينور أسوأ من خيبة أُملي في هانس. لم أرَ ذلك آتياً.
أترك نظرتي تعلقُ عندَ تحوُّلٍ في لون خشب السَّقْف حيث كان
غصنٌ قد نما يوماً ما. الشعور الوحيد الذي أحسّ به هو أنني لا أريد؛ لا
أريد المزيد الآن.

الأربعاء ١٢ يوليو

الساعة الثامنة والرّبع صباحاً

الدواء + النفخ في القنينة. بو يعاند، لا يريد تناول كامل صحن
العصيدة. يريد أن أُخْرِجَ الكلب لأُمّشيّه، لا وقت عندي.

/ إيّفا - ليّنا

حَالِماً يُغْلَقُ بَابُ الْبَيْتِ أُمْدٌ ذِرَاعِيٌّ لِأَلْتَقَطِ الْجَرَّةَ الَّتِي تَحْتَوِي شَالَكَ.
أَحَاوُلُ بِكُلِّ قُوَّتِي لِكُنْنِي لَا أَفْلِحُ فِي فَتْحِ الْغَطَاءِ. أَتْرُكُ الْجَرَّةَ تَسْقُطُ إِلَى
جَانِبِي وَأَضْعُ يَدِي عَلَى رَأْسِ سِيكْسْتِنٍ وَأَغْمُضُ عَوْضاً عَنْ ذَلِكَ. أَدْعُ
الْمَطْبَخَ يَخْتَفِي.

أَدُوسُ ببطءٍ عَلَى الدَّوَّاسَةِ، أَنْطُ عَنْ الدَّرَاجَةِ وَأَسِيرُ بِهَا قَاطِعاً
الطَّرِيقَ إِلَى الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ. يُمَسِكُ هَانَسٌ بِكُلِّ قُوَّتِهِ بِصَنَارَتِي الصَّيْدَ حَيْثُ
يَجْلِسُ خَلْفِي عَلَى رَفِّ الدَّرَاجَةِ. كُنَّا قَدْ وَضَعْنَا السَّمَكَ فِي حَقِيْقَةِ الظَّهْرِ.
الْمَسَاءُ هَادِئٌ وَسَاكِنٌ إِلَى حَدِّ أَنْ بِإِمْكَانِنَا سَمَاعَ أَدْنَى هَسْهَسَةٍ. غَرَّنا
ضَوْءُ لَيْلِ الصَّيْفِ حَتَّى أَنْسَانَا الْوَقْتَ هُنَاكَ عِنْدَ الْبَحِيرَةِ. لَا أَعْرِفُ مَا
السَّاعَةُ لِكُنْكَ بِالتَّأَكِيدِ سَتَعْتَبِرِينَا مُتَأَخِّرِينَ فِي الْعُودَةِ إِلَى الْبَيْتِ. يَغْلَقُ
نَظْرَ هَانَسٍ بِالْخَنَازِيرِ أَثْنَاءَ مَرُورِنَا بِمَنْزِلِ لَارْشُونِ. تِلْكَ الْأَجْسَامُ الْهَائِلَةُ
تَخُوضُ عَابِثَةً فِي الطِّينِ. لَا بَدَّ أَنَّهَا أَكْبَرُ مِنْهُ بَعِشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقْلِ.

أَنْطَلِعُ إِلَى أَعْلَى الرِّبْوَةِ مُتَأَمِّلاً مُقَدَّرَتِي عَلَى رُكُوبِ الدَّرَاجَةِ وَالِدَّعْسِ
إِلَى الْأَعْلَى، فَأَقَرُّرُ مُوَاصِلَةَ قِيَادَتِهَا سِيراً عَلَى الْقَدَمَيْنِ. لَنْ يَصِيبَ الصَّبِيَّ
أَذَى مِنَ الذَّهَابِ إِلَى سَرِيرِهِ مُتَأَخِّراً بَعْضَ الشَّيْءِ. أَتْرُكُ بَصْرِي يَجُوبُ

أرجاء المرج هناك على حافة الغابة. ألحُ كُرْكِيَّيْنِ كبيرين وواحدًا أصغر.
أوقِفُ الدَّرَاجَةَ وأندُسُ هانس برفق حتى أجذب انتباهه.

«ماذا..»

«ششش»، أَوْشِوْشُهُ رافعاً سَبَّابَتِي أمام فمي وأومئ باتجاه عائلة الكراكي.

تتسع عيناه.

«أَرْجَحُ أَنَّهُ بدأ يَتَعَلَّم الطيران لِتَوَّهِ»، أ همس في أذنه.

لاذت العائلة بحافة الغابة طلباً للمأوى. يتأرجح ريش ذيولها الرائع وهي تجوب متفرقةً هناك، غارزةً مناقيرها بين حين وآخر في أرض المرج.

«ستأكل هذه العائلة الآن حتّى تَسْمَنَ»، أ همس. «قبل أن تغادر مع الخريف».

يومئ هانس مُتَأَمِّلاً.

رغم أننا نقف على مقربةٍ شديدةٍ منها، فإنّها تبدو غير مبالية بنا. نحن مندحمان مع ليل الصيف. هنالك ما يميّز هِبَةً النظر إلى البريّة بهذه الطريقة. أن تتسنى للمرء فرصة أن يُشْرَكَ في كَيْفِيَّةِ سَيْرِ الحياة على نحوٍ ما.

وإذا بِقَرَقَعَةٍ على الطريق المعبّدة بالبحص فتُفْرِفُ عائلة الكراكي لتُحَلِّقَ بعيداً. علبة الصفيح التي تحتوي على الديدان تقبع إلى جانب عجلة الدَّرَاجَةِ الخلفيّة. بنظرة المُسْتَفْزِّ، أرمُتُ هانس الذي يحاول تعديل وضع الصنّارتين في حِجْرِهِ.

حين أَوْشِكُ أن أفتح فمي كي أزارَ بغضب، أَنَّهُ أبله، يلتفتُ بوجهه
نحوي ليقول:

«سامحني!». في نظرتَه شيءٌ منكودٌ إلى حدٍّ أَنني أشعر بِخَدَشٍ داخل
صدري لا أملك معه أن أقول شيئاً.

كانت نظرةُ العجوزِ تمنحني الشعورَ الجارِحَ نفسَه الذي يبدو لي
أَنني أراه في هانس. أَسُدُّ فمي وأحاول ابتلاعَ الغصّة.

«لا..»، أبدأ القول وأنا أضع يدي على ظهره الرقيق. «لا بأس».
يُطِرُقُ هانس.

«أنا تعبان»، يقول بعد حين ويتشاءب.

تدحرج علبة الديدان ببطء نحو قدمي فأنحني وألتقطها وأناولها
لهانس.

«إِذْنٌ فالأفضل أن نركبَ ونذهب إلى البيت»، أقول وأركب
الدراجة.

حين نمرُّ بصندوق بريد منزل لارشون تعود الكراكي فوق تيجان
شجر التّنوب لتحلّق فوقنا. أتوهم الشعور بتيّار الهواء النّاجم عن خفق
أجنحتها ولا أريد أن أكون في أي مكانٍ آخر سوى هنا.
«بابا».

حين ألتفتُ إلى هانس أراه جالساً ونظره مُسمَّرٌ بعيداً نحو الجبال.

«بابا». أسمعُه مجدّداً. «بابا، أسمعني؟»

صوته الآتي من الشّرفة يسحبني من النوم.

«يجب أن تتخلص من هذه، يا أبي».

أفتح عينيّ. يحمل ابنتنا بانزعاجٍ إحدى سُرِّكِ ويبدو عليه التوتر والعجلة، ويواصل بالقول:

«لا يمكنك تركُ أشياءها مُلقاةً في كل مكان كما لو أنها ما زالت تسكن هنا».

عندما أُغمضُ عينيّ وأدسُ قبضتي بين رأس سيكستن وأريكة المطبخ أسمعُه يتنهد. أحاول القبض على النوم ثانية ولكن عبثاً.

من يظنّ نفسه بحقّ الجحيم؟ يأتي إلى هنا ويلقي توجيهاته في ما يجب أن أفعل ولا أفعل بأغراضك. فيمَ يؤثر أن تبقى سُرِّتك معلقةً في الرّدهة؟

أشعر بالرغبة في أن أنهض فأضرب الطاولة بقبضتي وأقول أنّ من حقي أن أفعل ما أريد مثلما أريد. أنني القبطان في مركبي.

ولكنني أترك ذلك. فأنا لست قبطاناً. أنا حِمْلٌ مربوطٌ على ظهر سفينةٍ في عاصفة.

يطوي هانس السُّترة ويضعها في كيس بلاستيكي موضوع على طاولة المطبخ. أرقد صامتاً وأرقبُه. أتذكر أنّ والدتي تركتُ أشياء العجوز على حاليها، تركتها تقبع حيث كانت تقبع دائماً. ولم أعترض بكلمةٍ على ذلك. أُرَبْتُ على سيكستن متسائلاً لماذا لا يستطيع هانس تركُ الأشياء على حاليها؛ لماذا يجب أن يتدخل دائماً ويعبث بكلّ شيء.

وإذا به يلتفت وأظنّ أنني أرى شيئاً من التعاطف في نظره.

أنظر إلى ابنتي ذي السبعة والخمسين عاماً. لا يوجد ما يمكن مقارنته بهذا. أن تربي إنساناً. لم يقل أحد شيئاً عن ذلك قبل أن تصبحي حاملاً. أن الأمر سيكون بكل هذه الصعوبة. كيف يمكن لشيء طبيعيٍّ للغاية كإنجاب طفل أن يكون بكل هذا التعقيد؟

أمسكُ رأس سيكستن وأفكر بالاتفاقية التي عقدتها مع نفسي. أنني سأصلح كل شيء حتى يحين دوري. أنني لا أريد غمّة عالقة بيننا حين تأتي النهاية. لا أريد له أن يضطرَّ إلى أن يدورَ مهموماً لهذا السبب أو ذاك.

يضع هانس الكيس الذي فيه السترة في الشرفة ويدخل حاملاً كيساً ورقياً مليئاً بالطعام. يصيبني شعورٌ بالتعب، كأني قد سرت يوماً كاملاً وعليّ أن أسير يوماً إضافياً.

«كان هناك تخفيض على المربى التي تحبها»، يقول هانس وهو يرفع كيس الكُوب.

نظرته دافئة وابتسامته المائلة تُذكرني بك ولِلحظةٍ أشعر كأنك هنا.

الساعة الواحدة والرّبع بعد الظّهر

هانس ومركز الأجهزة المساعدة هنا لتجهيز السرير الخاصّ. طاجن
سجق للغداء.

/ كالة

أجلسوني على كرسيّ عند نافذة المطبخ على مسافة مناسبة.
كي أشاهدهم يُغْمِغَمُونَ وهم يُخْرِجُونَ الأريكةَ التي نمنا عليها أنا
وسيكستن كلّ ليلةٍ منذ انتقالِك إلى برونكولا جوردن. الأريكة التي
انتصبت في صالة بيتِ أهْلِكِ، والتي جئنا بها معنا من هيسمو فوش حين
انتقلنا إلى هنا.

لقد عارضتُ إيدالها بما يسمّونه بالسريّر الملائم الخاصّ منذ أول
مرةٍ ذكّره فيها هانس. أَفْضَلُ النّومِ عندي يكون على أريكة المطبخ.
لكنّ كلماتي المحشّرة لم تعد تَعْلَقُ ببالٍ أحدهم، فهي تهوي كطيورٍ ميتةٍ
ساقطةٍ من السماء في مكانٍ لا يذهب إليه أحد.

يسيل العرق على جبين هانس بينما لا يكاد الرجل القادم من سوق
الخردة يبدو متأثراً. عضلاته مفتولةٌ بالمقارنة.. وهو بالتأكيد أصغر
بعشرين عاماً على الأقل من هانس. بِكُمْ يا ترى سيبيعها؟

يقلق سيكستن ويندّ عنه تدمرٌ بسيطٌ رغم أنني قد وضعتُ يدي
على ظهره.

أنتبه إلى الشاحنة عبر النافذة.

«أكانوا مضطرينَّ إلى إيقاف السيارة على البلاطات الحجرية؟»

«ماذا؟»

يلتفت هانس.

«أَتَعْرِفُ كَمْ كَلَّفَتْ؟» أسأله.

كان استثماراً كبيراً حين قررنا وَضَعَ بلاطٍ حجريٍّ خارجَ المدخل.

«ليس الآن، يا بابا».

يرفع هانس الأريكة ويدفع بمنشفةٍ تحت سيقان الأريكة حتى
يسهل عليهم سحبُ الأريكة على الأرضية.

ينمو الغيظ داخلي. أريد أن أصرخ، ولكنَّ شيئاً ما يجعل مشاعري
تبدو مُضحكة. كأنها لا أحد في العالم كله يرى أنَّ من حقِّي الغضب
بسبب ما يجري هنا.

أبتعد ذاهباً إلى التواليت لأختلي وأفكر دون إزعاج. يُنَزَلُ الذي مِن
سوق الخردة الأريكة ويدعني أمرّ به حتى أتمكن من الوصول إلى غرفة
المعيشة ومنها إلى الحمام.

«إِذْنِ سنقوم بمحاولة أخرى»، يقول هانس مُردِّفاً بتنهيده.

حين أعود من التواليت أجد أنهم قد حملوا الأريكة في الشاحنة.
يدفع هانس السرير الحديد إلى مكانه في الزاوية ويُقْفَلُ العجلات. على
الأقل كان القول لي فيما يخصّ مكان السرير. في المكان نفسه حيث كانت
الأريكة دوماً.

تبتعد الشاحنة ونقُفُ صامِتَيْنِ نَظَرِ إلى السرير لبعض الوقت.
الساعة تَتَكُّ. إِنَّه يشبه الأَسِرَّةَ في اللعازارِية. من ذلك النوع الذي نَمَتْ
فيه بمستشفى توليد الأطفال حين وُلِدَ هانس. والذي كان موجوداً في
غرفتي بالمستشفى حين أُجريت عملية القلب. من ذلك النوع الذي
تنامين فيه كل ليلة حالياً.

وجهُ ابْنِنا الراضي يجعلني أرغب في التقاط قطعةِ حطبٍ لأرمي
رأسه بها. ولكنْ لا طاقةً عندي لِمَدِّ يدي.

لو أَنَّهُ يمنح نصفَ الوقت الذي يقضيه في اجتياحِ بيتي والعبث
فيه للخروج مع سيكستن لتَبَخَّرَتْ تلك المشكلة من الوجود كُلِّه، أقول
لنفسي.

«لماذا يجب أن يكون سريرِي ذا مقابض وحوافٍ وعجلات؟» أقول
مقطَّباً جبينِي. أجلس؛ أريد أن أفعل كل ما في وسعي كي لا أَكُونَ سهلاً
القياد.

«لأن ذلك أفضل بكثير لك»، يقول هانس ويحَقِّف عرق جبينه.
جسمه سمينٌ وضخم ومع ذلك فهو ضعيف للغاية.

أبصق في الكوب الذي أحمله. ألاحظ كيف يتزعج هانس.

«كيف يكون ذلك أفضل لي وأنا نفسي لا أريده؟»

يحشرج صوتي فأبصق ثانية، لكنني لا أتخلص من البلغم الذي في
حلقِي. أنا سَتِمْ حَدَّ السَّخَطِ من أن يخبرني الآخرون بما هو أفضل لي.
«القيام من هذا السرير أسهل بكثير. أنظُر».

يستلقي هانس في السرير المُرتَّبِ للتوّ ويسحب نفسه باستعمال
المقبض المُعلّق في عمودٍ من الألومنيوم يمتدّ من رأس السرير.

للحظة أفاضل بين السكوت وبين النهوض وَخَبْطِهِ على رأسه
بالمقبض. يضع سيكستن رأسه على فخذي النحيل فيقوّيني ذلك؛
اللعة، إنّه بيتي! أشدّ عزمي وأسعل بقوة فتتفرج أزمة البلغم.

«كيف يكون هذا أفضل وأنا أعرف أنني أنام هامداً على أريكة
المطبخ؟»

يتحسّر.

«لكنّ هذا الأمر يا بابا لا يتعلّق بك وحدك».

أريد أن أصرخ: كيف لا يتعلّق الأمر بي وحدي ونحن نتكلم عن
موضع نومي في بيتي؟ لكنّ سِدادةً من البلغم تستقرّ في حلقي فأبدأ
بالسعال ثانيةً.

«خذ»، يقول هانس بعد قليل ويناولني كأساً من الماء. «أنت تعلم
أنّ سريراً كهذا يُسهّل على موظفي الرعاية أن يساعدوك».

أستسلم. تختفي الطاقة بالسرعة نفسها التي جاءت بها. أدعُ هانس
يضعني في السرير ويُريني جميع الحِيل التي يمكن لجهاز التّحكم أن يقوم
بها. أومئ وأغمغم حين يرفع مسند الظهر.

يغادر هانس فأرخي ظهري إلى الخلف على السرير، مهزوماً.
السرير ليّنٌ إلى حدّ أنني أشعر كأنني سأغور في حفرة. يرقد سيكستن
في فراشه على الأرض، لم يرغب في القفز إلى السرير عندما ربّت هانس
بيده على اللحاف.

«تعال، ليس لدينا خيار»، أقول وأُطْبِطُ على فخذي.

ينظرُ إليَّ متردداً ويقفز صاعداً. يدور بضع دورات ويستلقي بعد ذلك كالعادة على يساري.

عندما أُغْمِضُ يسير هانس أمامي على المنعرج صاعداً إلى كوخ تورة. حقيبة ظهره ملأى ويحمل بنفسه كيسَ نوم وبساطاً حرارياً معاً. «لا تُثْقِلْ عليه بما تحزم من أغراض»، قلتُ حينَ أعدتُ تعبئة الحقيبة لأدسَ فيها كنزةً إضافية. «عُمُرُهُ تسعة أعوام فقط». «تسعة أعوام فقط»، قلّدتُك.

في عمره كنتُ أحمل أثقالاً تفوق هذا الحِمل. ولكنني قلّتُ أن ذلك كان آخر شيءٍ وابتسمت لك.

لقد وجد تورة عصا للسير وها هو هانس يبحث عن أخرى مثلها. «هناك!»

«كلّا، إنها أطرى مما ينبغي»، يقول تورة. «علينا أن نواصل البحث». الهواء نفسه يُنبئ بِدُنُوِّ الشتاء، ودرجة الحرارة ستنحدر الليلة إلى ما تحت الصفر على الأرجح. لم يكفّ هانس طوال أسابيع عن الحديث عن الرحلة؛ أية صنّاراتٍ سنأخذ معنا وماذا سنفعل. لقد بدأ مرافقتنا منذ بلغ السادسة، قبل ذلك كان أصغر من أن يقوى على السير طويلاً، حَسَبَ قولك. كنت أرى أنّه كان كبيراً بما يكفي ليرافقنا منذ السنة التي سبقت، ولكنّ رفضك كان قاطعاً.

يسير تورة وهانس على المنعرج خلف بعضهما البعض على مسافةٍ

مني. في زيارته الأولى لنا بُعِدَ خروجنا من مستشفى توليد الأطفال خفض تورة نبرة أنه الثرثرة عادةً. لم أخبره أن الولادة كانت عسيرة عليك، لكنه لاحظ الأمر مع ذلك. ابتسم لك بدفءٍ حيث كنتِ تجلسين في كرسيك الوثير وهانس نائمٌ في حضنك. جلب لكِ دورقاً من الماء وقدحاً ووضعهما إلى جانبك.

«فهمتُ أن المرء يعطش».

أجبتَه بإيماءٍ متحفّظ. بعد قليل استيقظَ هانس وفَعَرَ ذلك الفم الصغير في ثأؤٍ كبير.

«ربّما يُريدُ تورة أن يحمله؟» سألتِ فتعجّبتُ ولكنني لم أقل شيئاً بل بقيتُ جالساً على الكرسيّ الخشبيّ عند طاولة المطبخ.

«بكلّ سرور»، قال تورة وعيناه تتسعان بطريقته الدراميّة.

تحوّلتُ للجلوس على أريكة المطبخ ناظراً إلى رفيقي وهو يحمل ابني حديث الولادة. شعرتُ بأنه كان أمراً مهماً بشكلٍ ما، أن يكون موجوداً في حياة هانس.

مال تورة برأسه فوق جسد هانس الصغير.

«فيما بعد، حين تصبح أكبر قليلاً، سترافق الكبار حين يذهبون إلى الكوخ ويصيدون السمك»، قال بصوتٍ مُضحك.

ضحكنا، أنا وأنتِ. شيءٌ ما، بخصوص نبرة تورة وجسده الطويل النحيل إضافةً إلى صوتِ غرفة هانس، بدا كوميدياً للغاية.

«هناك، هانس!» يقول تورة فجأةً. «هناك عند البتولا تقبع عصاك».

يُنْطَ هانس عبر شجيرات التوت الأزرق راكضاً نحو شجرة البتولا التي أشار إليها تورة.

يُصادِق تورة بالقول «تمام» حين يعود هانس، ثم يقلع غصناً صغيراً من نهاية العصا ويأكله هانس ثانيةً.

بعد العشاء أستلقي على السرير السفلي وأمدّ ساقيّ. بدأ الظلام يحلّ، لكنني لا أهتمّ أبداً بمواعيد النوم التي تراقبنيها بصرامة في البيت. أتركه يبقى صاحياً حتى نذهب للنوم جميعاً. لا أستطيع أن أتذكّر أنّي كنتُ مُلزماً بوقتٍ محدد للنوم. فقد كنا ننسلّ جميعاً للنوم بعد العشاء.

«ما هو الكتاب الذي جلبته معك؟» يسأل هانس.

يذهب تورة إلى حقيبة الظهر ويسحب بزّهو كتاباً ضخماً.

«هذا!!»

ألقي نظرة عليه تحت ضوء مصباح الكيروسين الخافت لكنني لا أستطيع تمييز العنوان. يضعه على الطاولة أمام هانس الذي يبدأ بالصياح:

«حكاياaaaaaaaaاات الأخوييسيين جرييسيسيم».

أخذ هانس وقته تماماً حتّى تعلّم القراءة، لكنّه الآن بدأ يقرأ بيُسْر. وكان دائماً يحبّ أن يقرأ الآخرون له.

«بالضبط، جيّد جدّاً»، يقول تورة ويفتح الكتاب على حكاية سندريلا.

«أليست هي تلك الحكاية الفظيعة؟» أسأل. سمعتك تتكلمين عنها مع أختك التي عانى أطفالها من الكوابيس بسبب تلك الحكاية.

«ممم، بلى، إنَّ فيها ما فيها»، يغمغم تورة ويدفع النظارة إلى أعلى عَرْنَيْن أَنفِهِ. «ولكنَّ القليل من الفضائع لا يقتل أحداً. لقد كنت أعشق هذه الحكايات في طفولتي».

يشرع تورة في القراءة ويروق لي أيضاً أن أستمع، ولكنّه لا يكاد يقرأ لبضع دقائق حتّى يغلبني النعاس. أسمع بضعَ كلماتٍ بين الحين والآخر، ونارَ الموقد التي تفرقع لحظةً لتختفي بعدها ثانيةً.

«بابا، لقد قطعنا قدميهما»، يصيح هانس ويجرّ ذراعي.

«ما الذي تتكلم عنه؟» أسأل وأنا نصف نائم.

يجلس تورة عند الطاولة ضاحكاً.

«ابتنا زوجة أبيها. لقد قطعَت كلَّ منهما قطعةً من إحدى قدميهما، إصبعاً وكاحلاً، حتّى تقدرا على إدخال القدم في فردة الحذاء الزجاجي وتحصّلا على الأمير»، يوضّح.

أدعك وجهي.

«ما هذا الهراء»، أقول وأتشاءب. «هذا تلفيق لا أكثر يا هانس».

ما كنتِ سترينها فكرةً طيبةً؛ قراءة أشياء كهذه.

«غداً سنقرأ حكايةً أخرى»، يقول هانس ويلتفت إلى تورة.

«ممم، إذن ستكون حكاية رابونزيل».

«نعم، نعم»، أقول وأهز رأسي، فليس لديّ أدنى فكرة عمّن تكون.

أنهض وأسير نحو الباب.

«الآن سأخرج على كل حال كي أتبول».

نسیر أنا وهانس إلى ربوة صغيرة على مسافةٍ من الكوخ. يثر البدر
ضياءً بارداً فوق البحيرة والغابة، بينما تقبع الهضبة الباردة خلفنا صامتةً.
يقف هانس لصقي قدرما يستطيع ويسحب سحّابه. ذراعه على
ساقِي. إنه صامت.

«أنت تعرف أنها ليست سوى اختلاقات؛ تلك الحكايات التي
يقرأها تورة، أليس كذلك؟»

يرفع هانس كتفيه ويصوّبُ دفع بوله على الخُلج.
«إنه يروي الحكايةَ بطريقةٍ تشعرُك تقريباً بأنها تحدث بالفعل، أليس
كذلك؟» أقول وأرَبُّتُ على كتفه.

ننتهي من التبول ونشرع في العودة إلى الكوخ. يدسّ هانس يده
برفق في يدي ويعتصرها. فأردّ باعتصار يده.

الساعة الخامسة وخمس وأربعون دقيقة مساء

أُعدّ الأرز بالحليب لكنّ بو لا يريد الطعام. يريد أن أكتب أنّه غير
راضٍ بالسريّر الجديد. أنّه أطرى مما ينبغي.

/ إنجريد

عندما أفيق أشعُرُ بضغْطٍ على صدري كما إنني غارقٌ في العَرَق. رأسي عالقٌ بعبارةٍ تقطّعه من الداخل مرّةً تلوَ أخرى، مثل سكينٍ حادّة: إذا كان قادراً على أخذ الأريكة، فهو قادرٌ على أخذ سيكستن.

أرفع نفسي إلى وضع الجلوس على حافة السرير. أصابعي ترتجف. أمدّ يدي إلى الهاتف النّقال. يغمرني شعور بضرورة الحديث فوراً مع تورة. يستغرق إيجادُ النّقال وقتاً، السرير أعلى من الأريكة ويدي غير معتادةٍ عليه. أضغط على الزرّ الأخضر فإذا بي أتصل بهانس بدلاً من تورة ويفتح النّقال الخطّ.

«اللّعة»، أغمغم وأضغط بسرعة على الزرّ الأحمر.

يرفع سيكستن رأسه نحوي. يستمر رنين الهاتف طوال ما أحسسته دهرأ.

«بو، هالو»، يقول تورة أخيراً.

يهداً ما في صدري قليلاً.

«هل حدّدنا موعداً اليوم؟» يسأل ويُنَحْنِحُ.

«لا، لم نحدّد موعداً حقّاً، لكنني اتّصلتُ مع ذلك»، أقول وأسكت.
«هل حدث شيء؟»

أرغب فجأةً في البكاء. أريد الصراخ بأنني لا أريد أن أمُرَّ بهذا. أريد أن يتّصل بهانس ويقول له اللعنة عليك إذا أخذت سيكستن مِن بو.
«بو، أما زلتَ على الخط؟»

«سأنتحر إذا أخذوا سيكستن مني»، أقول قبل أن أتدارك نفسي بالتفكير.

يُنَحْنِحُ تورة ثانيةً.

«هذا كلامٌ كبير، يا بو».

لا أعرف بِمَ أجيب. أُمسِّدُ رأس سيكستن وحسب. ترفرف صور ابن فريدريكون بالقرب مني. في عيد ميلاده العشرين وجدوه في الحظيرة ورأسه مفلوقٌ بعيارٍ نارِيّ.

«ولكن.. أظنّ أنّك ستفعلها؟» يسأل تورة بعد قليلٍ من الصمت.

«أفعل ماذا؟»

«أقصد أن تنتحر إذا أخذوا سيكستن منك؟» يقول ويصدر عنه صوتٌ حشرجيّةٌ تَدْمُرُ.

أتأمّل. لو كنتُ صيّاداً لكان الأمر سهلاً ربّما. ولكنّ بالنسبة لشخصٍ مثلي، بلا سلاح ولا يستطيع الاستحمام بنفسه بل يكاد لا يذهب إلى التواليت حتّى، فالأمر غير ممكن.

«لا أعرف..»، أقول وأترك الجملة تتلاشى في العدم.

يسود الصمت على الجهة الأخرى من الخط.

«إِه»، أقول بعد حين. «فليكن ما يكون».

يحشرج تورة متدمراً مرةً أخرى فأخجل قليلاً. أتتهّد وأضع يدي على ركبتني. تؤلمني أصابعي أكثر من المعتاد.
«إِه»، أقول ثانيةً.

لا يزال تورة صامتاً مما يمنحني الوقت لأفكر في أنّه ربما يكون قد أغلق الخط، فليس من عادته أن يسكت هكذا. وأنا أوشكُ على القول أن ما قلته كان غباءً مني، لأنني لم أكن أبداً لأفعل ذلك، نَحْنَحَ تورة.
«لا أريد ذلك. لا أريد أن تؤول الأمور إلى ذلك»، يقول بنبرةٍ شعرتُ بأنّها غريبة.

لا بُدَّ أنَّ يده ترتعش فالكوب يصدر رنيناً حين يضعه على الصحن.
أخجل من نفسي، أتذكر آل فريديكسون، وكيف اتّهم لم يعودوا أبداً كما كانوا. ما كنت لأعرّض تورة لشيءٍ مشابه.
«كلّا، بالتأكيد»، أقول وأمسح بإصبعي بقعةً قهوة على فخذي.
«بالتأكيد لن تؤول الأمور إلى ذلك».

«ثم إنَّهم لم يأخذوا سيكستن بعد»، يقول تورة بنبرته المعتادة.
«أعتقد أن إنجريد ستدبّر الأمر وربما يرجع هانس إلى صوابه».
لا يزال هناك ما يمزّق صدري، لكنّ الضغط قد خفّ الآن.

الثلاثاء ١٨ يوليو

يقف سيكستن وَسَطَ المطبخ بأذنين مشدودتين ونظرة مُسَمَّرَةٍ عليّ. كعادته عندما يحتاج إلى التبول. أضع النّقال على الطاولة. اتّصلتْ ماريتا للتوّ وسألت عن الحال، وإذا ما كنت بحاجة إلى مساعدة. وعدتُ أن أتصل إذا طرأ شيء. فكّرت لِوَهْلَةٍ أن أتكلّم معها عن سيكستن، ولكنني تراجعَت عن ذلك. لديها بالتأكيد ما يكفي من الهموم. أنا مُتَعَبٌ وأفضّل البقاء راقداً في السرير لكنني أُمسِكُ بالمقبض المتدلي فوق رأسي وأسحب نفسي إلى وضع الجلوس.

لقد برد الشاي في الكوب، يبدو أنني غفوت مع الفطور. يَبْسُتْ حافّة الشّطيرة لكنّ الزّبدة لم تزل لزجة. يدور سيكستن حول نفسه دورة واحدة ويذهب باتجاه باب البيت وينتظر أن أَقْلِدَه الطّوق.

أشعر بالدّوار عندما أنهض فأضطر إلى التمسّك بالطاولة حتّى يختفي اللمعان الأسود. لقد نسيْتُ أين وضعتُ حُفَيَّ. تؤلّمني قدماي إنّ مشيتُ على أرضية المطبخ القاسية دونهما.

يركض سيكستن خارجاً حالماً أفتح باب البيت، لكنّه ينتظرني بصبر على الرغم من أنّ جسده يرتجّ توقاً عند الباب.

أَمْسَكَ بِرَفِّ الْقُبْعَاتِ وَأَغْرَزَ أَوَّلًا إِحْدَى قَدَمَيْهِ، ثُمَّ الْأُخْرَى، فِي
الْجُزْمَةِ الْمُطَاطِيَةِ. أَمَّا الْجَوَارِبُ فَقَدْ سَحَبَتْهَا إِلَى أَعْلَى الرَّبْلَتَيْنِ وَثَبَّتَهُمَا كَمَا
يَنْبَغِي حَتَّى لَا يَصْعَدَ بِنِطَالِي الرِّيَاضِيِّ.

حَالَمَا أَغْلَقَ الْبَابَ خَلْفِي يَنْطَلِقُ سِيكَسْتَنُ نَحْوَ الْغَابَةِ خَلْفَ الْبَيْتِ.
أَتْبَعُهُ، إِنَّهُ يَمُدُّ الْخَطَى عِبرَ طَرَفِ الْغَابَةِ الَّذِي يَهْدِي الرِّيحَ عِنْدَ الْجُزْءِ
الْخَلْفِيِّ مِنَ الْمَنْزِلِ.

الساعة الثامنة وعشرون دقيقة صباحاً

البيت فارغ عند وصولي، لا بو ولا سيكستن هنا. انتظرت ولكنهما
لم يعودا. إنجريد في طريقها إلى هنا. أخرج للبحث.
/ يوهانّا

تَحُدُّ الْمُنْعَرَجَ فُرُوعُ أَشْجَارٍ قَدِيمَةٍ وَهَشِيمُ أَعْوَادٍ وَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْهُ
شَدِيدُ الانْحِدَارِ. لَا بَدَّ أَنَّ الْمَطَرَ هَطَلَ لَيْلَةَ الْأَمْسِ فَالْأَغْصَانُ الْعَارِيَةُ
زَلِقَتْ. يَبْرُزُ أَحَدُ الْفُرُوعِ مِنَ الْخَافَةِ وَلَا أَرَاهُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ قَبْلَ أَنْ
تَعْلَقَ قَدَمِي فَأَتَعَثَّرَ. وَلَكِنِّي قَبْلَ سَقُوطِي أُمِسْتُ بِغَصْنٍ مُتَدَلٍّ فَأُفْلِحُ فِي
اِسْتِعَادَةِ تَوَازُنِي.

بَلَغَ سِيكَسْتَنُ الْمَرْجَ الَّذِي فِي قَلْبِ الْغَابَةِ؛ الْمَكَانَ الْأَحَبَّ إِلَيَّ حَيْثُ
تَنْمُو أَزْهَارُ بَرِّيَّةٍ كَمَا لَوْ فِي بَاقِيَةِ طَبِيعِيَّةٍ تَطَوَّقُهَا الْغَابَةُ.

«أَيُمْكِنُ أَنْ تَجْلِبَ مَعَكَ بَعْضَ الزُّهُورِ؟»، كُنْتُ تَقُولِينَ أحياناً
عِنْدَمَا كُنْتُ أَقْبِضُ عَلَى السَّلَاسِلِ لِأَطْلُقَ الْكَلَابَ. «هَذَا إِذَا فَكَّرْتُ فِي
الْمُرُورِ بِالْمَرْجِ طَبْعاً»، كُنْتُ تُضَيِّفِينَ رَغْمَ مَعْرِفَتِكَ بِأَنِّي أَسْلُكُ الطَّرِيقَ
نَفْسَهَا كُلَّ مَرَّةٍ تَقْرِيباً.

«مَنْ مَعْرُضُ الزُّهُورِ»، كُنْتُ أَقُولُ وَأَنَا أَقْدَمُ الْبَاقَةَ الْكَبِيرَةَ بِفَخْرِ
عِنْدَ عَوْدَتِي.

كُنْتُ تَضَعِينَهَا عَلَى مَنْضَدَةِ الْمَطْبَخِ لِتَقْلَمِي السَّيْقَانَ بِعَنَاقَةٍ، ثُمَّ

تَسْقِينَهَا كما ينبغي وتضعينها في مزهرية كبيرة على طاولة المطبخ. غالباً ما كنت تستعملين تلك التي حصلنا عليها كهدية زواج من خالتك.

أقف عند حافة المرج حتى ألتقط أنفاسي.

أتيتُ إلى هنا مرّاتٍ كثيرةً جدّاً. عندما كنتُ أحتاج أن أفكر، وعندما كنت أتعب. عندما انضم هانس إلى شباب المحافظين. عندما مرض تورة أول مرة وعندما غادرت بيتنا آخر مرة. كنت عندئذ أخذ كلبنا لأجلس هنا قليلاً. ربّما لا يجعل ذلك الأشياء أفضل أو يجعلني أكثر حكمةً ولكنني أتحيل أن ما يدور ويدور في نفسي يهدأ بعض الشيء. أسمع حفيف أوراق الحور في الأجمة التي تتوسط المرج. رَصَد كلبُ ابنِ جارِنا دَيْسَمًا^(١) على إحدى قمم أشجار التّنوب هناك قبل بضع سنوات.

«لا بُدَّ أَنَّهُ فقد أمّه»، أوضح الصبيّ. «فقعد هناك في الأعلى يناديها». كنتُ أعرف مسبقاً بوجود الكثير من الدّيبَةِ في الغابة تلك السّنة، فقد ضمّ سيكستن ذيله بين ساقيه وسارَ في إثري في الغابة لأيّام. لم تزيدني على رفع كتفيك لا مباليةً ولم تكوني مهتمةً قيد شعرة؛ لم تخشي الدّيبة أبداً. أمّا تورة، من ناحيةٍ أخرى، فلم يزرني مرّةً ذلك الخريف.

«أراهن أنني سأكون أوّل من يموت على يد دبّ منذ ألف وتسعمائة وتسعة وثمانين»، قال وهزّ رأسه عندما سألتُه إن كان يرغب في الخروج معي لالتقاط الفطر.

(١) الدَّيسَم: صغيرُ الدّب.

في السنة التالية أطلقوا النار عليه. دونَ وجود أمّه كان قد بدأ يقترب من البيوت بحثاً عن الطعام. في صغره كان ظريفاً بالطّبع أما كدُبّ تامّ النضج فلا رغبة لأحدٍ في اقترابه من المنازل.

أسرح بنظري في بحر الزهور. زُرُقٌ وبيضٌ وصُفَرٌ وخُضر. نَقَلٌ وجُرَيْسٌ وتلك الزهور البرتقالية العظيمة.

لا أستطيع رؤية سيكستن لكن الأزهار والأعشاب تتحرك حيث يركض هناك بعيداً. كزوبعة تمضي عبر المرج.

قريباً سيقطعون كلّ شيء ويجمّعونه في بالاتٍ قبيلَ قدوم الشتاء، علامة تُنبئ المرء بأنّ ألوانَ الخريف مُقبلة وأنّ لونَ الحورِ الرّجراج الذي يتوسّط فسحة الغابة سيتحوّل إلى الأحمر.

لو كنتِ هنا لاقتطفتِ باقةً وقلتِ أنّ على المرء اغتنام الفرصة.

أشعر بأنّ قدميّ قويتانٍ فأقرّرتُ أن أسيرَ في دورةٍ حول المرج، وأنزل على درب الغابة القديم، ثم أصعد على طريق البلدة مروراً بصناديق البريد. لن يكون سيراً طويلاً، ولكنّ أغلبه نزولٌ وصعودٌ.

أنا سعيدٌ لأنني لا أرتدي حفاظةً، فذلك يشعرني أنني أكثر مرونةً كما أن خطواتي تصبح أخفّ. أرفع الوتيرة وأبحث في الوقت نفسه بنظري عن سيكستن. تضغط أقماع الصنوبر تحت قدميّ، ما أكثرها هذا العام. يأتي سيكستن راكضاً نحوي جالِباً عوداً لكنه يتوقف على بعد أمتارٍ مني. إنه الوحيد من كلابي الذي فعل ذلك. يريد أن أرمي له أشياء لكنّه لا يعيدها إليّ أبداً. بدلاً من ذلك يتوجّب عليّ البحثُ عن أشياء جديدة. حاولتُ تعليمه حين كان جرواً، إنّما عبثاً.

أنحني كي ألتقط عوداً. المفاصل متصلبة ويلزمني بذل جهد مضاعف كي أبلغه. أرميه بكلّ ما أملك من قوّة فيركض سيكستن خلفه. قبل وصوله إلى العود بالضبط يقفز عليه. يلتقطه بفمه ويهزّ برأسه كما لو كان العود فريسةً يريد طرد الحياة منها بذلك. أستمعُ بحماسة. بعد حينٍ يستلقي ويبدأ بقضم العود حتّى يحيله إلى قطع. ألتقط عوداً آخر وأرميه.

رغم أننا في يوليو لكنّ الريح قارسة فأشعر بالبرد. أزيد وتيرة الخطى حتّى أرفع حرارتي. عادةً أمعن النظر في أرض الربوة حتّى أرى موطن قدمي حين أسير، ولكنني الآن أنظر إلى سيكستن الذي انطلق يعدو إلى أسفل الأجمة. إنّه يتبع غرائز الصيد فيه حين يجري وأنفه يتشمم الأرض مطارداً الفئران.

تحدث السقطة بسرعةٍ لا أملك معها الوقت لكي أستقبل الأرض بيديّ. فجأةً أجد نفسي راقداً ووجهي في أرض الربوة ورائحة الغابة الرطبة تملأ أنفي. لو كنت أرتدي نظارتي لتمكّنت من رؤية النمل الذي يعمل أمام وجهي. أغلب ما أراه ألوانٌ مُضَيّبة، ولكنني أعرف أن هناك مستعمرة نملٍ إلى جانبي تماماً. فقد كانت موجودة منذ كان هانس صغيراً.

أشعر بوجع في ركبتي، عدا ذلك فلا أشعر بأن جسدي أسوأ من المعتاد. أنقلب إلى جانبي وأفلح في أن أنهض إلى وضع الجلوس. لم أنتبه إلى الجذع الهاوي الذي غدا الآن مرتفعاً صغيراً على أرض الربوة تغطيه الأحرش.

يأتي سيكستن ويلحق وجهي ويتذمر قليلاً.

«لا بأس، لا بأس، أنا بخير»، أغمغم وأزحف نحو شجرة حور.
أسند ظهري إليها وأغمض. يزداد ألم الركبة وتلك الطاقة التي
كانت تنبض في جسدي كأنها تبخرت. تهب الريح على تيجان الأشجار
وتكسو القشعريرة جلدي. يجلس سيكستن بأذنين مشدودتين على بُعد
مترٍ مني ويجول ببصره عبر المرج. مقارنةً بباقي كلابي فهو الأكثر جبناً،
ولكنني لا أعرف ما الذي يمكن أن يفعله إذا ما تجلّى خطرٌ حقيقي. قد
يكون الأكثر جبناً هو الأكثر تعملقاً عند اللزوم.

«سأرتاح قليلاً فقط»، أغمغم وأسند رأسي إلى جذع الشجرة.

الساعة الثانية عشرة والنصف

كان سيكستن طليقاً وركض نازلاً إلى المرج حيث وجدنا بو. كان يجلس مستنداً إلى شجرة في فسحة الغابة، حائراً قليلاً، وقد بال على نفسه. يقول أنه بخير، ولكنه لا يعرف تماماً كيف وصل إلى هناك. استحمّ وارتدى ثياباً نظيفة. تكتب إنجريد تقريراً وتتصل بهانس.

/ يوهانا وإنجريد

أراحني الاستحمام حقيقةً. كانت يوهانا حازمةً إلى حدٍّ لم أستطع معه الرفض.

«إنه أمرٌ لا يقبل التفاوض»، قالت وهي تستدير وتدخل إلى الحمام حتى ترتدي مئزراً وقفازاً بلاستيكيين.

لم ألاحظ ذلك وأنا في المرج لكنني حين عدت إلى البيت كنت برداناً حتى النخاع. دَعَكْتُ يوهانا جلدي حتى احمرّ، وصَوَّبْتُ شعرَ رأسي ولحيتي ولم أعترض. أَلْبَسْتَنِي بنظالاً رياضياً وقميصاً نظيفين. تركتها تُلبِّسُنِي حفاظةً دون احتجاج وشعرتُ بالارتياح وهي تضعني في السرير.

أديرُ رأسي، نحو اليسار أولاً، ثمَّ نحو اليمين. أشعر كأنها السرير الجديد بحر. لا أفهم لماذا يحتاج المرء كلَّ هذه المساحة حتى ينام. كم تغنى هانس بمدى مطواعيته، لكنني أراه مُعَقِّداً ومُريعاً.

أضغط على جهاز التَّحكُّم. يسمّونه «السرير الملائم» وأتساءل لِمَنْ تحديداً؟ فهذه الأعجوبة اللعينة لا تلائمني. رغم أن الرجل الذي

أتى من مركز الأجهزة المساعدة وهانس أرياني كيف أرفع مسند الظهر،
فلست أتذكر ذلك الآن. أقبض على كوب الشاي الموضوع على طاولة
السريـر وأرتشف قليلاً.

تقف يوهانا وإنجريد وتقلبان في ملفّ به أوراق على مسافة مني في
المطبخ. تشرح إنجريد شيئاً ويوهانا تومئ موافقةً بجديّة.

«سأرتّب قليلاً هنا»، تقول إنجريد. «أخذت ماري م. أ. وكذلك
ت. إ. نيابةً عني، ولذلك فليس لديّ شيء آخر على أية حال».
«أوكي»، تقول يوهانا وترفع إبهامها.

تخرج إلى الرّدهة، تلبس حذاءها الرياضي وتأخذ كنزتها. ثمّ تدسّ
رأسها عبر باب المطبخ.

«مع السلامة، عليك الآن أن تظّل داخل البيت»، تحثني. «لا أريد
أن أجذك هناك في المرج بتلك الحال مرةً أخرى».

كأنها كان الخطأ خطأي أنّي سقطت ولم أستطع بعد ذلك سوى
البقاء جالساً.

«بلى، بلى»، أغمغم.

تُغلق يوهانا الباب فيسود الصمت بينما تقف إنجريد وتُعاينُ
الأوراق عبر الملفّ. بعد حين تغلقه وتضمّه إلى بطنها. تلتفت نحوي
لكنّها لا تقول شيئاً. يُكدّرني ذلك وأتساءل مع نفسي عن سبب صمتها.
ينهض سيكستن ويتقدّم نحوها. يضغط أنفه بين ساقها، إنّه يريد
منها أن تحكّ بشدّة ما خلف أذنيه معاً.

ترك يديها تتخللانِ فراءَ سيكستن بينما نظرتُها في الوقت نفسه تخرج عبر النافذة.

«أنت تعرف أننا يجب أن نكتب تقريراً عن هذا يا بو»، تقول بعد حين.
«تقرير»، أشخر لكنني أريد الصراخ كما فعل العجوز حين أخطأتُ في تكديس الحطب حتى انهار كلُّ شيء.

كلُّ ما أردتُ هو أن آخذ كلبي لنمشي في الغابة. في الغابة التي جُبْتُها لنصف قرنٍ قبل أن يكونَ أيُّ من هؤلاء فكرةً في رأس أحدٍ من أهله حتى. أريد أن أقول كلَّ هذا لكنني لا تخرج مني سوى إعادة كلمة:
«تقرير؟»

تتقدّم إنجريد نحو السرير وتربّتُ بيدها على طرف قدمي. ينظر سيكستن إليّ ثم إلى إنجريد التي تومئ. يقفز صاعداً إلى السرير ويتمدّد على طول امتداد ساقيّ فأشعر بنفسي أخفّ قليلاً.

«سأفعل ما بوسعي كي أُبيّنَ أنّ هناك ظروفاً مُحَقِّفَةً»، تقول وترفع اصبعين وتعقفهما مثلما يفعل أرنب بقدميه حين تقول كلمة «مُحَقِّفَةً». «ولكنّ الأمر كان يمكن أن ينتهي نهايةً في منتهى السوء، وأنت تعرف ذلك أيضاً».

أشهوq نفساً حتى أحتجّ لكنّ الكلمات تتلاشى ولا تندّ عني سوى حسرة خاوية عوضاً عن ذلك. لم أعد أعرف ما هو منتهى السوء.

أشعر بحرقّة في عينيّ فأغمضُ لوهلة. تملأ إنجريد قدحاً بالماء وتضعه مع مشروبٍ طاقّة على الطاولة الصغيرة بجانب السرير. حتى طاولة المطبخ أخذوها مني.

«سأُخرجُ شوكلاتة وأضعها هنا»، تقول.

تُخَشِّشُ العبوة أثناء فتحها. أغمغمُ شكراً وعيناي لا تزالان مغمضتين بينما أضع يدي على سيكستن. أنفاسه ثقيلة. يأتي النعاس، الأمر الذي يُخَفِّفُ عني.

«ارتح الآن يا بو، وسنلتقي غداً. سأعمل نهاراً، لذا فأنا من سيخرج مع سيكستن».

نعم، نعم، أظنُّ أنني أجيب ولكنني كنت قد غبتُ بعيداً بينما إنجريد تغلق الباب خلفها.

الساعة السادسة والنصف مساءً

يبدو بو أكثر نشاطاً. أقلّي سجق فالو وأهرس بطاطا. آخذ سيكستن
في جولة ليتبول ويسبح في الجدول.
/ كالة

تزعق نغمة الهاتف الذي لا أجده أوّل الأمر. إنّه يقبع على رفّ
تحت طاولة السرير. فراش السرير طريّ إلى حدّ يصعبُ معه الإبقاء
على النصف العلويّ من الجسد مرفوعاً. يغوص المرفق في الفراش وتبدأ
ذراعي بالارتجاف. ألتقط النّقالَ آخرَ الأمر وأعطُ في السريرِ ثانية. أقرأ
إلّينور على الشاشة فينطّ قلبي. أنحنح.

«ألو نعم، هنا بو أندشون».

«جدّي، كيف حالك؟» يبدو على صوتها الاضطراب.

يعصر صوتها شيئاً في صدري وأشعر بأنني أوشكُ على البكاء
لكنني أبلع ريتي بدلاً من ذلك.

«اتّصل أبي توّأ وأخبرني أنّ موظفي الرعاية وجدوك في الغابة، أهذا
صحيح؟ أنّك سقطت عندما كنت تمشي مع سيكستن؟» تقول قبل أن
أستدرك فأستطيع الإجابة.

«بلى، بلى»، أجيب وأضحك دون أن أعرف لماذا. «كنتُ سأتمشّي
فقط مع سيكستن، وإذا بي أتعثر»، أضيف بسرعةٍ حتى لا أبعدو كالأخرق.

تشهق إلينور متحررةً بصوت عالٍ.

«لم أؤذ نفسي، لا تقلقي».

«بالطبع أقلق. كان من الممكن أن تكسر ساقيك فترقُد عاجزاً عن الحركة».

لكنني لا أرى أحداً يقلقه رقادي هنا على سرير مجلس المقاطعة. دون قصدٍ مني ألمح سيكستن الذي يشدّ أذنيه.

أسمع خشخشة، لا بُدَّ أن إلينور قد حوّلت السّاعة إلى الأذن الأخرى. أدفع نفسي لأجلس على طرف السرير.

«ساعني، أنفهم بالتأكيد أنك تريد الخروج مع سيكستن»، تقول بعد حين وتسكت ثانية. «لكنّ القلق يسيطر عليّ، أو علينا. كان أبي شديد القلق حين اتّصل بي. أحسست بذلك في نبرته».

«هانس، قلق؟ أكاد لا أصدق»، أقول ساخراً.

«بالطبع يقلق. كل ما في المسألة أنّه يصعب عليه أن يُظهر ذلك».

ما مدى صعوبة أن يقول الأشياء كما هي؟ أفكر مع نفسي وأنحنح.

أستمع إلى أنفاس إلينور وأريد فجأةً أن تُخبرني المزيد عن هانس. أريد أن توضّح لي لم هو هكذا؟ لماذا هو صعبٌ هكذا؟

«نعم، نعم»، أقول وأمسدُ رأس سيكستن. «وكيف تسير الأمور في المدرسة؟»

«عدا هذا فأنت أيضاً لا تُحسِنُ أن تُدرك حين يصبح قلقاً» تقول

إلّينور وتتجاهل كُلّيّاً سؤالي. «وأنّنا نقلق لأنّنا نحَبّك، simple as that»^(١).

ترتفع الحرارة في وجهي. أحياناً أجدها تعرف عني أكثر مما أعرف ويدغدغني ذلك كما أنّهُ في الوقت نفسه يشعرني بعدم الارتياح؛ حين تخبرني بنبرة ملؤها الثقة عن طباعي وما أشعر به.

«نعم، يا نحلتني»، أقول. «ما أبسط الدُّنيا وأصعَبَها!»

«ممم».

«ولكنّ ماذا بخصوص الدّراسة؟ كيف تسير أمورها؟» أسأل ثانيةً وأنا أدوّنُ في الوقت نفسه الانجليزية؟ على الوريقة اللاصقة أمامي. سأسأل تورة عن رأيهِ في كثرة استعمال شباب هذه الأيام للإنجليزية.

تصف إلّينور المراجع التي طلبتُها قُبيل الخريف للفصل الدراسي ولا أريد أبداً أن تكفّ عن الكلام. تُخبرني بحماسة عن أنّ هناك نظرياتٍ مختلفة عن كيفية الحديث مع الناس.

«حقّاً؟»، أقول وأتساءل مع نفسي عمّا يكتبون في تلك الكتب.

لقد أتممت فصلين دراسيين، تقول. والآنَ تعمل أثناء الصيف في سَكَنٍ للناس الذين لا يستطيعون العناية بأنفسهم.

ولكنني سأعود للديار فأزورك قريباً»، تقول. «ربّما تأتي صوفي معي كذلك، لقد التقيت بها في عيد الميلاد الماضي».

(١) simple as that (إنجليزية) تعني «بهذه البساطة».

«بلى، نعم، ما ألطف ذلك»، أقول على الرغم من أنني لا أتذكر. نادراً ما كان هانس يأتي بزملاء دراسته معه إلى البيت، أمّا إلينور فنادرًا ما تزورني دون أن تأتي بإحدى صديقاتها معها.

«وكيف حال سيكستن؟» تسألني وأتساءل مع نفسي عما إذا كان أبوها قد أخبرها عن خططه الشيطانية. لا أتذكر ما إذا كنا تكلمنا عن سيكستن في آخر زيارة لها.

«بلى، إنه بخير، يتمددُ حاليًا هنا بقربي»، أقول وأضغط على رأسه. «أتفهم أن الأمر قد صار أصعب الآن حتمًا»، تقول وتصمت. «أعني الاعتناء به».

«إيه، لا بأس في ذلك بالنسبة لي، لكنّ هانس هو من يرى أن ذلك يبدو مُتعبًا»، أقول وأشعر بالضيق.

«ممم».

تحوّل إلينور السّاعة ثانيةً.

نجلس صامتَيْن لفترة وأحاول الاهتداء إلى شيء أقوله.

«أستطيع مساعدتك في تقليم مخالبه عندما أعود إلى الديار»، تقول وأبتسم حين أتخيل فكرة جلوس إلينور مع سيكستن على أرضية المطبخ أمامي.

«بكلّ سرور. ليتك تفعلين حقًا»، أقول وأزدادُ أملًا في الحال.

لن تسمح إلينور لهانس بأن يأخذه. سوف تحرص على بقائه عندي، حيث ينتمي.

السبت ٢٢ يوليو

أدهن كميةً أخيرةً من الشحم على سلسلة الدّراجة الهوائية وأضع علبة الشحم على الثلج بقربي. أدير الدّوّاسة حتى يتوزّع على السلسلة بأكملها. عمرها الآن أسبوعان. تمنحني العجلتان البالونيتان الجبّارتان شعوراً بالطيران حين أقودها على الطّرقِ المكسّوة بالثلج، حيث لا يستغرق الوصول إلى كُروكُوم أكثر من عشر دقائق. أدير المونارك إلى الاتجاه الصحيح، أمسحها بخرقة نظيفة وأزيلُ بفرشاة الثلج العالق بالمقود. أَصْفُفُها إلى جانب المدخل تماماً. آخذ خطوةً إلى الوراء وأتطلّع إليها. أَقَرُّرُ أن أبعدَها قليلاً لأسندَها إلى الجدارِ بدل أن أستعمل مسندَها.

أمسح يديّ وأدُسُ الخرقَةَ في جيب البنطال. يعضّ البرد على أصابعي. أسير إلى المخزنِ المُشترَكِ حتّى أجلب دلوّ البَحْص، أنثر مزيداً منه على طول الممشى المؤدي إلى الباب في المبنى الطويل لمساكن العمّال. لا أريد لأُمِّي أن تزلق عندما يأتیان لزيارتي. أركل جانبَ البابِ لأتخلّص من الثلج العالق بجزمتي وأدخل لأبحث عن صابونٍ حتّى أغتسل كما ينبغي. تقفينَ عند مغسلة الصحون وتدندين. أصبُ بعضُ الماء الفاتر

من المغسلة في وعاء وأضعه على طرف الموقد وأقف بالقرب منك. تميلين برأسك على كتفي لحظات. أستنشق عطرِكَ، ولا أكتفي منه.

«حسناً. هذا آخر شيء»، تقولين وتضعين الغطاء على قدر المرق وتضعينه على الموقد.

تدسّين آخر قطعة حطب في الموقد وتأخذين محمّل الحطب الفارغ إلى الباب. أرتدي كنزتي الصوف وأخرج لآتي بالمزيد من الحطب.

أترك يديّ تقطران فوق مغسلة الصحون وأنشّفهما بمنشفة المطبخ بينما أتبّت من نظافة المكان. أعلّق المنشفة وأسحب إصبعاً على طول حاشية الأرضية؛ لا يعلّق أيّ غبار. تساعدني في توشية الستائر، بحاشية مطرّزة، مثلما تحبّ والدتي.

يقع بصري على إطار الباب وأقرّر أن أدقّ مسماراً إضافياً في زاويته. ذلك أفضل لكنّ الفجوة لن تختفي تماماً لأنّ حافة الجدار قد انحنت إلى الخارج.

لقد مضت ستة أشهر منذ حزمْتُ حقيتي وسرت إلى طريق البلدة حتى آخذ الباص الذهاب إلى أَسْتَشُنْد ومنها إلى كروكوم. من هناك كان عليّ أن أمشي المسافة المتبقية إلى هيسموفوش.

«ها قد حان الوقت»، قلت ورفعتُ الحقيبة في شرفة بيتنا في ريناس. ألقىت نظرة على العجوز الذي جلس مثبتاً نظره في الصحيفة. لم يتحرّك قيد شعرة.

«سيرحل بو الآن، يا كارل-إيريك»، قالت والدتي.

رفع العجوز رأسه وحشرج قائلاً:

«مع السلامة»، ليعود ببصره إلى الصحيفة ثانية.

أومأت بِصَمْتٍ وخرجتُ. جلست القرفصاء عند الكلاب
ومسدتُ ظهورَها. عَقَدْتُ والدي شالها على رأسها ورافقتني إلى محطة
الباص. وضعنا الحقيبة على الرف الخلفي لدراجة العجوز وسرنا وهي
بيننا.

«الخير فيما سيكون»، قالت ونظرُها مُثَبِّتٌ على بَحص الطريق.

«الخير فيما سيكون»، قلتُ وأشرتُ إلى أسفل دَرَب البتولا عند آل
إيفرتسون الذي بدأ يتحوّل إلى اللون الأصفر. «أنظري إلى الجمال».
تَبَعْتُ والدي نظرتي وابتسمتُ. كان الخريف أحبّ الفصول إليها؛
الألوان، الفطر والحصاد.

«لكن الدار ستصبح خاوية»، قالت وسكتت.

كنتُ أعرف أنني سأفتقد والدي، لكنّ توقّي وأملي في ما هو آتٍ
كانا أكبر إلى حدّ أنني لم أجد الوقت للتفكير في ذلك. كانت الخطى تَحِفُّ
كلّما اقتربنا من محطة الباص.

أسحب حافة الستارة. أريد أن تشعري بأنّك مُرَحَّبٌ بِكِ في العائلة
مثلما أشعر وسط عائلتك.

«والدي ليس من النوع الغضوب، أبداً»، قلتُ مساء يومٍ أحدٍ
ونحن عائدانٍ معاً إلى سكني بعد تناول الغداء عند أختكِ الصغرى
حين تساءلتُ عما إذا كان من عادة عجوزكِ أن يفورَ غاضباً.
أذكر أنني تعجّبتُ. وكيف يمكن أساساً أنّكِ لم تريه غاضباً أبداً؟

ربّما كان الأمر مرتبطاً بالخمر؛ أن أباكِ حُرِّصَ على الابتعادِ عنه. فعجوزنا كان دائماً يمسي أسوأ بعد بضع زجاجات.

تدخلين ثانيةً وتزعين قفازيكِ وتتقدّمين من الموقد حتّى تُدْفِئِي تلك الأصابع المُحَمَّرَةَ من البرد. رغم أنّكِ ما زلتِ تعيشين عند والديكِ، إلّا أنّكِ تشعرين بأنكِ في بيتكِ هنا عندي.

«سيكون لقاءً جميلاً، ثِقْ. أتعطّل للقاء والديكِ. ليس أكثر من غداءٍ بسيطٍ»، تقولين وتحيطين خدّيّ بيديكِ. تحفّفُ راحتا يديكِ حرارتي فأشعر بالراحة.

أترك نظرتي تستكينُ في عينيكِ قليلاً. إنّه أمرٌ لا يُصدّقُ بالمرّة؛ أن امرأةً بجمالكِ تريد أن تكون مع رجلٍ مثلي. لقد ذاب الجليد الذي على رموشكِ، فأمسح بعض البكّل العالقِ بجفنيكِ.

«أأذهبُ إذن؟» تسألينَ بينما يداكِ تُفْلِتَانِ وجهي.

ينفثُ الباصُ دخاناً كثيفاً وهو يتركُ الرّكّاب الذين غادروه ويبتعد. تتكوّن غماماتٌ صغيرةٌ حول وجوه المسافرين. ليسوا كثيرينَ والعجوزُ أوّل الذين رأيتهم، فرأسه يبرز أعلى بكثيرٍ من رؤوس الآخرين. تأتي والدتي بنحو مترٍ خلفه ويصدمني كم شاخت.

ليس من عادتي أن أفعل ذلك لكنني بينما العجوز يُقبِلُ نحوي أنزع قبّعتي. أومئ له لكنني لا أقول شيئاً.

«بو، صغيري»، تقول والدتي وترفع وتيرة خطاها فتتجاوز العجوزَ وتتقدّمُ نحوي. تنزع قفازيها وتضع يديها على خدّيّ، تقريباً كما فعلتِ لتوكِ، وتلتفتُ سريعاً نحوكِ.

«وأعتقد أنّ هذه هي فريديكا الصغيرة؟»

تبتسمين وتَنَحَّينَ لتحيّتها فتعانقكِ.

«طاب يومكِ، آنستي»، يقول العجوز فيسري ارتياحاً في مريئي.

نسيرُ على مهلٍ عائدينَ وأنتِ ووالدتي تتحدثانِ عن هيسمو فوش وعائلتكِ. نسيرُ أنا والعجوزُ كلّاً على جانبٍ منكما، وبين الحين والآخر أرمي مداخلةً ما، لكنني في الغالب أسير صامتاً، مستمتعاً بأنكما تبدوانِ على توافق.

«آه، ما أجملها، أهي لك يا بو؟» تهر والدتي حين يقع بصرُها على درّاجتي. «أرأيتَ يا كارل - إيريك؟»

لا أتمالك نفسي من الابتسام لوالدتي. يتقدّم العجوز من المونارك ويُمرّرُ إصبعة على بدنِها. يبدو عليه للحظةٍ أنّه سيقول شيئاً ولكنه يسدُّ فمه ثانيةً ويستدير لينظر ناحية الطريق.

«يبدو أنّ لديكم كهرباء هنا»، يقول ويمسك بذقنه. «نعم، بالفعل لديكم كهرباء وطنية».

تومئ والدتي موافقةً وتلتفت إلى أعمدة الكهرباء. تدسّين ذراعكِ في ذراعي وتبتسمين لها.

«لاا، أرى أن ندخل الآن إلى حيث الدفء، لقد هياّت المائدة من أجلنا»، تقولين وتسحبينني نحو الباب.

يقع سَكْنِي في أقصى المبنى تقريباً. حصلنا، نحن العاملين، على غرفةٍ لكلِّ منّا وهناك مرحاضٌ مشترك في الفناء. على الرغم من أنّ الغرفةَ واسعةٌ إلّا أننا سنحتاجُ إلى البحث عن سكنٍ أكبر عندما سنعيش سوياً.

المكان ضيقٌ عند طاولة الطعام التي لم تُخصَّص لأكثر من شخصين. تسألك والدتي عما إذا كنتِ قد رأيتِ طبّاخاً كهربائياً فتخبرينها أنهم سيزودونني بواحد هنا. ترفع والدتي حاجبيها مُعجبةً، بينما أسترّق النظر إلى العجوز؛ إنه يتطلّع إلى أرجاء الغرفة لكنه لا يقول شيئاً.

يُقْجِمُ الصمتُ نفسه وأحاول أن آتي بشيءٍ ما لكنني متعبٌ للغاية. صَعَبَ النَّوْمُ عَلَيَّ البارحة؛ رقدتُ وتقلّبتُ طويلاً بعد منتصف الليل. تمدح والدتي طعامكِ اللذيذ، فأخبرهما أَنَّ اللحمَ من والدكِ وكذلك البطاطا.

«توجدُ فجوةٌ هناك، عليك أن تثبّت الحاشيةَ بطريقةٍ أفضل»، يقول العجوز ويشير إلى زاوية فتحة الباب.

ترمقيني بنظرةٍ ثم تنهضين وتذهبين وتملأين الدَّورَقَ بالماء. تسألين والدتي عما إذا كانت تريد وتصيّن لها حتّى حافّة كأسِها. أحاول شغل فكري بأنني لا أهتم بما يراه، أنّ الأهم هو أنكِ ووالدتي على وفاق وأنّ لا يفور العجوز غضباً. لكنّ خيبة الأمل تنشب مغالبها فيّ مع ذلك. كان بوّدي أن أحكي للعجوز عن عملي في مصنع النجارة هنا، ووجوه اختلاف الأمر عن مصنع النجارة في رانثيكن، ولكنه لا يسأل شيئاً عن العمل. حين ينتهي الجميع من تناول الطعام أضع الشوكة والسكين على الصحن وأنهض.

«لعلّ الأفضل أن نبدأ بالتحرُّك حتّى لا يفوتكما الباص»، أقول فتطرق والدتي.

حين نخرج نجد الدُّنيا قد بدأت تعتم. وبالضبط قبل وصولنا

إلى محطة الباص، تشنين للرجوع. تنحنين بأدب وتقولين أنك سررتِ
بلقائهما. يرفع العجوز قُبَعَتَه ويدور على عقبه ويواصل السير.

تضع والدتي إحدى يديها على خدي ثانيةً. تماماً وهي توشك أن
تقول شيئاً، ترفع يدها بسرعة وتستعجل اللحاق بالعجوز.

أرفع يدي وألّوح بينما أتبع بنظري لوح ظهركِ الذي يصير أصغر
فأصغر. أريد أن أعدّو خلفكِ لكنَّ طَرَقاتٍ متواصلةً تزعجني. أهز
رأسي وألتفت حتّى أرى أين ذهبت والدتي والعجوز لكنَّ الطريق
الريفية اختفت والباسص معها. تعود الطَرَقات ثانيةً. أفتَحُ عينيَّ وأواصل
الرُقَادَ وأحدّق في السقف لوهلة. لا يزال هواء ديسمبر يبتّ برده.
أدْعُكِ وجهي وأسعل.

يزحف سيكستن صعوداً في السرير قليلاً ويضع رأسه على بطني.
أقابل نظرته وأمسدُ رأسه.
«نعم، أدخل».

مكتبة

t.me/soramnqraa

الساعة العاشرة صباحاً

أنا هنا في زيارة. لقد ملأتُ المجمّدة. توجد رُزمةٌ جديدة من ورق التواليت عند المدخل الخلفي. مُعجّنةٌ بالقشطة في الثلاجة. أكياس حطب مُكدّسة في الشرفة. نتكلم عن سيكستن ولا نتفق تماماً، مزاج أبي متعكّر.

/ هانس

سوف يستخدم السَّقْطَةُ في الغابة ضدِّي. كدليلٍ حتَّى يعزِّزَ حُجَّتَهُ.
حتَّى يعزِّزَ أنَّ له الحق في أخذ سيكستن مني.

يجلس هانس على كرسيّ المطبخ قرب السرير. يُبْثِّتُ بَصَرَهُ على
صورتك التي على طاولة السرير بدلاً من النظر إليّ. بينما صوتُ الخشخشة
الناجم عن حركة يده المتوتّرة على ذقنه غير الحليق يَحْزُ أذني.

أعرف ما سيقول. لقد جلس وأخذ وقته في تَدَبُّرٍ ذلك، صَقَلَ
العباراتِ مع نفسه. وها هو أخيراً وقد أتمَّ بناء الشجاعة الكافية داخله
للبدء.

«لم يعد هذا جائزاً. أنت أيضاً تعلم ذلك»، يقول كأنها فاته تماماً أنَّ
هذا الأمر في الواقع هو تنازُع. أتمَّ إرادته ضد إرادتي. أنه هو من لديه
سلطة القرار.

لا أعرف متى حدث ذلك ولكننا نبدو كأننا تبادلنا الأدوار. رغم
أنَّ جِسْمَهُ لم يبلُغ أبداً حجمَ قوّة أو ضخامةٍ جسمي إلاَّ أنّه هو من يمتلك
السّلطة الآن. ذلك الذي يقرّر شؤونَ حياتي. أنا سببٌ وُجُودِهِ، ولكنني

رغم ذلك مَنْ يتوجّب عليه الخضوع. مَنْ يعتمدُ على قراراتِهِ. هو مَنْ يُصغى إليه، لا أنا.

لا يُصغي لي أحدٌ مثلما كانوا يصغون للعجوز. حتّى آخر رمقٍ له كان الناس طوعاً وإرادته.

أقاومُ، لكنّ عينيّ تبتلانِ رغماً. لا أريد له أن يرى ذلك، فأغمضُ، أتظاهر بأنني متعب. اللعنة؛ لا أريدُ منحه ذلك.

«سيكستن يعاني عندك. لا تستطيع العناية به. ليس هناك خيار»، يواصل ويُطلّق حسرةً.

يتحرّك سيكستن. يرفع رأسه ويتشاءب.

فجأةً يجتاحني الهلع. يختفي الغضب ولا أشعر سوى بالخوف. أشعر كأنّ ابناً قد أطبقَ بقبضته على عنقي وصار يشدّها.

ولكنّ ماذا لو أنني أتنازلُ عن حمامِ الثلاثاء أو عن بضعة فناجين من القهوة بين الوجبات، أكاد أقول. ألن يتوفّر لهم الوقت الكافي للخروج معه عندئذٍ؟

«لا تقع مسؤوليةُ العناية بالحيوانات على عاتق موظفي الرعاية».

يقولها بسرعة تُشعرك أنّك تمرّن عليها. الحجة التي لا أملك شيئاً يُقابلها.

«ماريتا، ربّما»، أقول وأنحنجُ. «ربّما بإمكانها أن تأتي أحياناً وتخرجه؟»

يهز هانس رأسه.

يُنْسَبُ الغضبُ مَخَالِبَهُ فِيَّ ثَانِيَةً. تتتابني رغبةٌ في رمي ماء الشاي الساخن في وجهه. في الصراخ أن هذا لم يكن ما رَبَّيْتُ ابني عليه. لا أستطيع قراءةَ نظرتِهِ ولكنني أظنُّ أنني أرى شيئاً تعيساً فيها. أستشيط غيظاً؛ لماذا هو تعيس مع أن بإمكانِهِ جَعَلَ كُلَّ هذا كأن لم يكن؟ إنه يتصرّف كأن القرار خارج نطاقِ قُدْرَتِهِ. كأن هنالك مَنْ أرغمه على أخذ سيكستن مني.

ألاقي نَظْرَتَهُ وأشعر كأنه يوشك أن يَمَزَعَ طرفاً من أطرافي. أريد أن أقول له أن الناس لا تفعل مثل هذا، الناس لا تُفَرِّقُ سرباً مجتمعاً، لكنني صامت.

إذ رَغِمَ أننا، والدأ وولده، تحاججنا مرّاتٍ عديدةً إلّا أن الكلمات تهوي خاويةً داخلي. لا أجد ما أقوله. لا أشعر سوى بالخواء.

«هذا ما سيكون من الآن فصاعداً»، يقول بِحَزْمٍ وينهض. رغم أنني لم أشك أو أعرّض حتّى فهو يُضيف بحزم: «هكذا ستسير الأمور».

أشعرُ بانسدادٍ غريبٍ في حلقي وأتمنى لو كنتِ هنا. أن تضعي على كتفِ ابنيك، باعتباركِ أمّه، يداً تُرشّده إلى الصواب. كتّحذير؛ أن المرء لا يُعاملُ أباهُ هكذا. إذ لا بُدَّ أن يكون هنالك حدّ. مهما كان العجوز قاسياً وظالماً فقد كنتُ أعرف مكاني. هكذا تسير الحياة.

يضع سيكستن رأسه على بطني ويُغمِضُ ثَانِيَةً. تشتدّ القبضة على عنقي وأشعرُ بالدُّوار.

سيعتني شخصٌ آخرُ بسيكستن. شخصٌ آخرُ سواي.

ولكنني الوحيد الذي يعرف الطريقة التي يريدُ أن يعانقَهُ المرء بها
حول أُذُنَيْهِ.

الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً

كرات لحم السمك بالصلصة مع بطاطا. كان هانس هنا في زيارة ليو. لقد تم التوصل إلى قرار بشأن سيكستن وهو أن ينتقل، وبو غير راضٍ. أضع الطعام على طاولة السرير، لكنّ بو لا يريد تناوله.

/ إنجريد

لا أريد أن أفعل شيئاً على الإطلاق. أرقد في السرير الملعون وأنتظر
أن يتغير شيء ما. أو ربّما أنتظر زوال هذا. كلّهُ.

يغدو حقلُ الرؤية ضبابياً وتأتينَ للقاءني. صار النومُ نوعاً من الملاذ
مقارنةً بالسّابق.

«ما الذي نحتاجه؟» تسألينَ رغم أنّك أنتِ من يحتفظ بالقائمة في
جيبه.

«نحتاج حليباً وزبدةً وحليباً مُحَمَّراً من ركن الألبان»، تقولين فأشقّ
طريقي عبر متجر الأطعمة. «علبة واحدة فقط من كلّ منها»، تنادينَ من
ورائي.

سنذهب بعد أسبوعٍ في زيارةٍ لوالديكِ ولذلك فاليّيت سيظلّ فارغاً
لأسابيع عديدة. كالمعتاد سأخذ كلّ أيام إجازتي السنوية وستبقين هناك
مع هانس طوال الصيف.

«سأقضي الأضيافَ في هيسموفوش، لِعَلِمِكَ فقط»، قُلْتِ حين
بلَغْنَا أنني ورثت البيتَ في ريناس.

يَتَمَطَّى سِيكِسْتَن وَبَرْدُ عُلْبِ الحليب لا يزال يُثْقَلُ يَدَي. ظَهْرُهُ
محسورٌ إلى جانبي.

«لا شيء يُشْبِهُ نَفْسَهُ مِنْ دُونِهِمْ»، قُلْتُ حِينَ سَأَلْتُكَ عَمَّا إِذَا كُنْتَ
تَفْتَقِدِينَ هَيْسَمُوفُوش.

لَمْ أَفْهَمْ ذَلِكَ عِنْدئِذٍ، لَكِنِّي الْآنَ أَعْرِفُ عَمَّا إِذَا كُنْتَ تَتَكَلَّمِينَ. الْآنَ
وَأَنَا أُرْقِدُ فِي سَرِيرٍ غَرِيبٍ فِي مَطْبَخٍ يَخْلُو مِنْكَ. الْآنَ وَسِيكِسْتَن سَوْفَ
يُؤْخِذُ مِنِّي.

تُخْرِبُشُ رَنَّةَ الْهَاتِفِ أَرْجَاءَ الْمَطْبَخِ. يَدُشُّ سِيكِسْتَن أَنْفَهُ تَحْتَ مَرْفَقِي
وَيَشْخَرُ شَجَرَةً خَفِيفَةً فَتَخْتَفِي أَفْكَارِي عَنْ عَائِلَتِكَ. لَكِنَّ فِكْرَةَ أَنَّكَ
كُنْتَ تَدْرِكِينَ عَنِ الْحَيَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا أَدْرَكْتُ فِي حَيَاتِي كُلِّهَا تَمَكُّثَ مَعِي.

تَزْعُقُ الرَّنَّةُ ثَانِيَةً. أَلْتَقِطُ الْهَاتِفَ النَّقَالَ. هَانَسَ عَلَى الشَّاشَةِ.

«مَلْعُونٌ مَنْ يَرُدُّ»، أَقُولُ وَأَعِيدُ وَضَعَهُ عَلَى الطَّائِلَةِ وَأَتْرِكُ الرَّنَّةَ
تَطْنُ. «فَلْتَذْهَبْ إِلَى الْجَحِيمِ».

أُغْمِضُ عَيْنِي وَأَنْتَظِرُ أَنْ يَنْتَهِيَ الرَّنِينَ. إِذَا تَجَاهَلْتُهُ فَسَوْفَ يُغَيِّرُ
رَأْيَهُ. لِأَنَّهُ سَيُذَرِّكُ عِنْدئِذٍ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ خَطَأً.

يَكْفُ الرَّنِينَ وَأَفْتَحُ عَيْنِي. أَمْدُ يَدَي إِلَى الْهَاتِفِ وَأَضْغُطُ عَلَى السَّمَاعَةِ
الْخَضِرَاءِ وَتَوْرَةِ.

الساعة الخامسة وخمس وأربعون دقيقة مساءً

لا تزال كرات لحم السمك على الطاولة، فأسخنّها. أُوحيّلُ بو لكنّه
لا يريد شيئاً. يُكرّرُ عدّة مرّاتٍ أنّه لا يعتزم الموافقة على انتقال سيكستن.
/ كالة

الأحد ٢٣ يوليو

الساعة السابعة وأربعون دقيقة صباحاً

بو في السرير، يبدو متوَعكاً. يريد أرزاً بالحليب للفتور. أذكر
بالنفخ في الزجاجاة. وأنّ اليوم يومٌ حارّ، وشرب الماء مهم. دواء.
/ يوهانا

جسدي ثقيل. أثقلُ من المعتاد. أترنح حالماً أشرع بالجلوس على حافة
 السرير. لأنه غاية في اللين فمن الصعب المحافظة على التوازن عليه.
 يقفز سيكستن نازلاً من السرير، يتقدم نحو وعاء الماء ويعبّ منه.
 يصعبُ عليّ أن أنظرَ إليه دون الشعور بحرقّة خلف جفوني.
 ألتقط الهاتف النقال وأشغل خيار فتح مُكبر الصوت. يتردد صدى
 الرّنات واحدة تلو الأخرى في المطبخ الصّامت. لا يُجيب تورة.
 تهوي يدي والهاتف النقال في حضني وهكذا أبقى جالساً لوهلة
 وأنتظر أن يتصل. لكنه لا يفعل ذلك.
 يُنظفُ سيكستن نفسه بلعق جسمه. يلحق الماء الذي تجمّع حول
 فمه ويأتي ويضع رأسه على فخذي. ألاحظُ أن وعاء الماء خاصّته فارغ؛
 يجب أن أتذكّر أن أملأه.
 أعاوِدُ الاتصال ثانيةً إنّما لا جواب هذه المرة أيضاً. يبدأ القلب يخفق
 بشدّة ويتصبّب العرق مني.
 أتخيّل فوراً أسوأ ما يمكن أن يحدث. تورة، فاقداً وعيه في الحمام.

أَتَذْكُرُ مَكَاَلَةً بَيْنَنَا ذَاتَ مَسَاءٍ قَبْلَ بَضْعِ سَنَوَاتٍ، عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يَرِغِبُ كُلُّ مَنْ أَن يُدْفَنَ فِيهِ.

«لَا فِي آيَةٍ كَنِيسَةٍ مُلْعُونَةٍ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»، قَالَ. «وَلَا فِي هَيْسَمُوفُوشٍ، بِالْمُنَاسِبَةِ».

كُنَّا جَالِسِينَ فِي مُتَنَزَّهِ الْمَسْبَحِ قَرَبَ رَقْعَةِ الشُّطْرَنْجِ الْكَبِيرَةِ نَنْتَظِرُ دَوْرَنَا. رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ يَفُوزُ دَائِمًا، فَقَدْ كُنْتُ أَرَى اللَّعِبَ مُسَلِّيًا.

«بِالنِّسْبَةِ لِي سَيَكُونُ ذَلِكَ فِي هَيْسَمُوفُوشٍ بِجَانِبِ فِرِيدْرِيكَ»، قُلْتُ لَهُ.

كَانَ أَمْرًا وَاضِحًا، أَنَّكَ تَرِيدُنِي هِدَاةً هُنَاكَ، كَمَا قُلْتَ. وَلَآئِنِّي لَا فَرْقَ عِنْدِي فِي الْأَمْرِ فَقَدْ وَعَدْتُكَ أَن ذَلِكَ هُوَ مَا سَيَكُونُ.

«لَكَ أَن تَأْخُذَ مَكَانِي عِنْدَهُذْ وَتَرْقُدَ عِنْدَ كَنِيسَةِ سُئِدِي»، قُلْتُ وَأَخْرَجْتُ مَا زَارِينَةً أُخْرَى لِتُورَةِ.

رَمَقْنِي بِنَظَرَةٍ كَأَنَّهُ يَرِيدُ مِنْهَا أَن يَتَبَيَّنَ مَا إِذَا كُنْتُ أَمْرَحَ أَوْ لَا. كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ بَالِغٌ فِي أَخْذِ مَسْأَلَةِ الدَّفْنِ بِجَدِّيَّةٍ، وَهُوَ الَّذِي لَا دِيَانَةَ لَهُ. جَلَسَ صَامِتًا لِفَتْرَةٍ.

«فَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِي إِحْدَى الْجَنَائِنِ التِّذْكَارِيَةِ إِذْنٌ»، قَالَ وَأَوْمَأَ بِحَزْمٍ. أَنْتَظِرُ مُدَّةً وَأَضْغَطُ عَلَى السَّمَاعَةِ الْخَضِرَاءِ ثَانِيَةً. يَتَبَعْدُ سِيكُسْتَنُ قَلِيلًا لِيَسْتَلْقِيَ حَيْثُ الْأَرْضِيَّةُ أَبْرَدَ قَلِيلًا.

يَأْتِي مِنَ السَّمَاعَةِ صَوْتُ نَقْرَةٍ قَبْلَ أَن يُجِيبَ تُورَةَ فَأَحْسَّ بِالْانْفِرَاجِ قَلِيلًا حَوْلَ قَلْبِي.

«مرحباً»، يقول بصوتٍ يتبدّى منه الثَّقَلُ نفسه الذي أحسست به للتوّ.

«مرحباً، كيف حالك؟» أسأل.

لا يُجيبُ تورة فيقبض القلق عليّ ثانيةً.

«هالو؟ ألا تزال تسمعني؟»

أسمعه يتنهد على الجانب الآخر.

«الحال في قعر الجحيم»، يقول بعد حين وأتعجّب للمباشرة في إجابته.

رغم أنّه هو الذي دائماً ما يسأل تلك الأسئلة المباشرة التي لا حيلة لي أمامها، فمن النادر أن تكون إجاباته بالوضوح نفسه.

«حالي كحالك»، أقول لأنني في الحقيقة لا أملك المزيد لأقوله.

نجلس صامتَيْنِ مُدَّةً.

«إنّه أوان الانحدار الملعون من السيّء إلى الأسوأ»، يقول بعد قليل.

«بلى»، أقول وألاحظ أن سيكستن قد غفا.

«إنّه أمرٌ غريب»، يقول تورة ويثقل نفسه إلى حد أنني أسمع خرخشة عبر الهاتف. «ألا ترى الأمر غريباً؟ أعني كيف يرغموننا على التّشبُّث بالبقاء على قيد الحياة؟»

«بلى».

لقد تكلمنا كثيراً عن هذا، كيف أننا لا نريد أن يُبقونا على قيد الحياة عندما لا يتبقى فينا شيءٌ من الحياة.

«ولكن؛ حين يقول الطبيب بعد ذلك أنّه لا يستطيعُ فعل شيء،

فإنني لا أريد في تلك اللحظة شيئاً آخر سوى أن يفعلها»، يقول تورة
وأذكر أنه كان على موعد مع الطبيب هذا الأسبوع.

«لهذا الحد؟»

«لهذا الحد»، يقول بحزم.

نترك الساعات تتيك لوهلة.

«لم يعد لدي حقيقة سواك وسوى مكالماتنا»، يقول تورة بعد فترة.
لذلك أظن أن الوقت قد حان.

لم أفكر في ذلك من قبل، ما إذا كان يريد ذريّة. كان أمراً مفروغاً
منه بالنسبة لي أنه لا يريد ذلك. كان سيصبح أباً طيباً، أفضل مني بكلّ
تأكيد. فهو يتمتع بسعة الصدر.

«نعم، ربّما هو كذلك»، أصادق على كلامه وأبصق البلغم في القدر
الذي على الطاولة.

يسود الصمت على الطرف الآخر. أوشك على القول أن الأمر كان
يمكن أن يكون أسوأ. أنه كان من الممكن أن يضطرّ كل أسبوع للحديث
مع بير-أولوف بدلاً مني. زميلنا القديم، في مصنع النجارة، الذي كان
وغداً مزعجاً. ولكنني أمتنع نفسي. أعرف أنني يُفترَضُ بي أن لا أفسدَ
جدية الأمر بالمزاح.

«وكيف تشعر إذن؟» أسأله عوضاً عن ذلك، رغم أنني أفضل
اغتيال بير-أولوف.

يسحب نفساً طويلاً. يملأ رثتيه بالهواء المرتجف.

«مثل الرّفْت»، يقول ويسكت. «إنّما ليس باليد حيلة، أليس كذلك؟»

تَبْتَكَ سَاعَاتِنَا دُونَ تَنَاغُمٍ وَأُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَ الْأُمُورَ أَفْضَلَ. أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً يُخَفِّفُ هَذِهِ الْوِطَاةَ.

أَذْكُرُ يَوْمَ اتَّصَلْتُ بِهِ بَعْدَ انْتِقَالِكَ. أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَهُ أَشْيَاءَ تَجْعَلُهُ يَشْعُرُ بِالتَّحَسُّنِ، مِثْلَمَا فَعَلَ مِنْ أَجْلِي. وَلَكِنِّي لَا أَتَذَكَّرُ مَا قَالَ. بَلِ الشُّعُورُ فَقَطْ، كَيْفَ هَذَا مَا فِي صَدْرِي بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمْتُ مَعَهُ.

«هُوَ كَذَلِكَ، لَيْسَ بِالْيَدِ حِيلَةٌ»، أَقُولُ وَأُمْسِكُ النَّقَالَ بِالْيَدِ الْآخَرَى. أَحَاوِلُ الْإِتْيَانَ بِشَيْءٍ أَلْطَفَ كَيْ نَتَحَدَّثَ عَنْهُ، شَيْءٍ يَجْعَلُهُ سَعِيداً دُونَ قَلَّةِ اكْتِرَافٍ يَحْزُنُهُ.

«لَكِنَّكَ سَافَرْتَ كَثِيراً. أَنَا لَمْ أَغَادِرْ يَمْتَلَانْدَ إِلَّا بِالْكَادِ»، أَقُولُ لَهُ. كَمْ كُنْتُ أَحْيَاناً أَحْسَدُهُ عَلَى أَسْفَارِهِ. تِلْكَ الْقِصَارُ مِنْهَا إِلَى يُونَيْبُورِي، وَكَذَلِكَ تِلْكَ الَّتِي غَادَرَ الْبَلَدَ فِيهَا. رُبَمَا لَمْ أَكُنْ لَأَعْتَرِفَ بِذَلِكَ جَهراً، وَلَكِنِّي لَمْ أَمْتَلِكِ الْقُدْرَةَ عَلَى الرِّحِيلِ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ. «لَقَدْ رَأَيْتُ الْكَثِيرَ، بِالْفِعْلِ»، يَقُولُ تَوْرَةَ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ صَوْتَهُ بَدَأَ أَقْلَ ثِقَلًا.

«وَيَا مَا حَكِيمَتِي لِي. حَتَّى أَنَّنِي أَحْيَاناً أَشْعُرُ كَأَنَّنِي قَدْ سَافَرْتُ مَعَكَ». يَضْحَكُ تَوْرَةَ وَيَقُولُ:

«أَحَقّاً؟ كَمْ تَبَالِغُ!»

«لَيْسَ فِي الْيَدِ حِيلَةٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟» أَعِيدُ الْقَوْلَ مَعَ أَنَّ الْعِبَارَةَ تَجَرَحْنِي. «وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْدُثُ فِي أَوَانِهِ». «نَعَمْ، أَظَنَّهُ كَذَلِكَ»، يَقُولُ وَيُطْلِقُ حَسْرَةً بَطِيئَةً.

الساعة الثانية وعشر دقائق بعد الظهر

يقول بو أنّه لا يشعر بشهية ولكنه مع ذلك يتناول الأرز بالحليب مع السكر. هانس هنا لزيارته. الطقس دافئ اليوم، لكنه ليس دافئاً بما يكفي للاستغناء عن نار الموقد، يقول بو. آخذ سيكستن في مشوار وأملأ وعاء الماء الفارغ.

/ إنجريد

يوقظني وجود هانس مع إنجريد وحديثهما في المطبخ . لم ألاحظ
مجيء هانس . يقفان مائلين على منضدة المطبخ ينظران إلى شيء تحمله
إنجريد في يدها . أثناء تناوياً كبيراً وأدعك وجهي .
«أكانت قيلولة طيبة؟» تسأل إنجريد وتُنزل نظارتها إلى طرف
أنفها .

«بلى، شكرًا للسؤال»، أجيب وأثناء ثانية .
يفيق سيكستن على حوارنا ويمطّي سيقانه . لقد تعود على السرير .
تدفع إنجريد النظارة إلى الأعلى ثانية ويواصلان النظر في ما تحمله
في يديها .
«أتذكر تلك الليلة حقّ التذكّر»، يقول هانس وتنبّج ابتسامة في
وجهه .

يبدو متأثراً فيثير ذلك فضولي . يا ترى ما الذي ينظران إليه .
«يبدو مما فهمته أنّ المسرح يمنح الصغار الكثير، أتهم يجربون فيه
الكثير . كان أولاد أختي مجانين بشأنه»، تقول إنجريد .

«كانت متعةً للمُسِنَّينَ كذلك»، يقول هانس ويومئٍ نحوي. «كثيراً ما كان أجداد الأطفالِ هم من يرافقونهم إلى العروض». ما ذاك الذي كنتُ أشاركُ فيه؟ أوشكُ أن أسأل لكنّ ثأوباً آخرَ يغلبني.

«لقد وجدنا هذه الصُّورَ الجميلةَ يا بو، لإلّينور عندما كانت تلعب دورَ النّحلة في مسرحيةٍ مدرسية»، تقول إنجريد وهي ترفع إحدى الصور. «كانت الصور في غرفة النوم».

ترفع إنجريد صورتِي وأنا أحمل النحلةَ إلّينور في يدي قبل خمس عشرة سنة فأتذكّر أنني كنت أنوي إعطاء الصور لهانس.

«كانتُ مُضحكةً على المسرح، أليس كذلك يا بابا؟» يقول هانس. «كانت تلعب دور نحلةٍ سمينَةٍ إلى حدّ أنها لا تستطيع الطيران، أتذكُر؟» أتذكّر ولا أستطيع منع نفسي من الضحك.

تنظر إنجريد إلينا فنضحك أكثر. كان رأسُ سيكستن يهتزّ على بطني.

«هذا ما أردتُه؛ أن أعطيك تلك الصورة» أقول عندما يخفّ الضحك. «تلك التي أقف فيها مع النحلة خارج المدرسة».

«أهاااا»، يقول هانس.

«وجدتها في المخزن، وقلتُ لنفسي أنك ربّما ستودّ الاحتفاظ بها»، أقول وأمسّدُ رأسَ سيكستن. «كذكرى». يُنَحْنِحُ هانس.

«أوكي. شكراً. هذا لطفٌ منك».

ترفع إنجريد النظارة وتثبتها على جبهتها. تبسم لي.

«كان ذلك جميلاً منك يا بو»، تقول وترمق هانس بنظرة. «جميلٌ أن نحتفظ بالصور».

يسود الصمت في المطبخ ولا أعرف حقاً ما يجب عليّ قوله. أمسّد رأس سيكستن وأنظرُ إلى ابنتا.

«أتريدُ أن أبقى على نار الموقد؟» تسأل إنجريد بعد حين.

أومئ موافقاً. تُضيفُ قطعتيّ حطب وتشرع بترتيب المطبخ.

«هل أريك ما عبأتُ به المُجمّدة التي في الخارج؟» يسأل هانس. «قبل ذهابي».

«يُسْتَحْسَن»، تقول إنجريد وتخرج إلى الشرفة وتغرّز قدميها في الحذاء الرياضيّ.

يسحب هانس شعره إلى الخلف ويضع القبعة الرياضية على رأسه. يبدو كمن يريد أن يقول شيئاً لكنّه لا يُطلق لسانه.

«أوكي، مع السلامة»، يقول ويواصل النظر إليّ.

«مع السلامة»، أقول.

«وشكراً على هذه». يرفع صورتي مع النّحلة إلّينور. «إنّها جميلة فعلاً».

يرتعش طرفاً فمي وأُثبتُ نظرتي على يديّ.

«لا داعي للشكر».

يُغْلَقُ بَابُ الْبَيْتِ وَأَشْعُرُ بِسَكِينَةٍ فِي صَدْرِي. وَإِذَا بَسَيْكَسْتَن يَضْغَطُ
بِجَسَدِهِ عَلَى سَاقِي فَأَتَذَكَّرُ أَنَّهُمْ سَيَأْخُذُونَهُ مِنِّي.

الأربعاء ٢ أغسطس

ينعطف هانس قادماً من المنحدر. أقف في انتظاره عند الشرفة. اتَّصَلَ عندما غادر المدينة وقال أنّه قادمٌ حالاً حتّى يأخذ سيكستن. يفتح باب السيارة وينزِلُ ببطءٍ من مقعد السائق.

أرقبه عبر نافذة الشرفة وأدير المزلاجَ ذهبيَّ اللون. اللعنة إن تركته يأخذه؛ ليس اليوم.

يُغلق هانس باب السيارة ويستدير متجهاً إلى البيت. يخلع قبّعته الرياضية ويمرر يديه على جبهته وشعره. يمسك بشحمة أُذنه ويدعكها لوهلة. يقف ساكناً ونظرته مُسمّرةٌ في الأرض.

ينمو الغيظ داخلي. ألتقط إحدى قطع الحطب المُكدّس في أكياسٍ على المصطبة وأجد قبضتي تعصرها بكلّ ما أُوتيتُ من قوّة. من خلال النافذة تضيء الشمسُ الشرفةَ التي غدت دافئةً رغم أننا في الصباح الباكر. يرتطم الذباب بزجاج النافذة مُصِراً على الطّنين. هناك رائحة عطنة، والعرقُ يبدأ بالتّصبّب مني.

أُرجعُ قطعةَ الحطب وأعود إلى السرير وأرقد إلى جانب سيكستن وأنتظر.

تأتي أولى الجذبات في مقبض الباب بعد بضع ثوانٍ فقط.

«هل أوصدت الباب؟» يصيح هانس من الخارج وفي الوقت نفسه يجذب مقبض الباب مرةً أخرى.

لا أوصد الباب أبداً حين أكون في البيت، ولعلّ هانس لم يأت مرةً إلى البيت ليجد الباب موصداً.

«اللعنة، ما هذا؟»

أكان يظنّ الأمر بهذه البساطة أم ماذا؟ أكان يظنّ أن بإمكانه أن يأتي إلى هنا ليأخذه هكذا؟

«لن تذهب إلى أيّ مكان»، أقول وأمسدُ رأس سيكستن.

يغمّ الصمّت خلف الباب في الخارج ولو هلة أحسبُ أنّه قد عاد من حيث أتى. أنّ أفكاراً أخرى أفضل قد واثته. بل وربّما أنّه يحسّ بالخجل من نفسه قليلاً، أنّه سوف يتّصل فيما بعد ويعتذر.

أنهض لأتبيّن. عبر النافذة أرى هانس واقفاً يلهو بهاتفه النّقّال. فإذا به يرفع بصره. بسرعةٍ أخذ خطوةً إلى الجانب ولكنه سبق وأفلح في رؤيتي. يتقدّم هانس نحو نافذة المطبخ ويضرب بقبضته على الزجاج حتّى يهتزّ.

«اللعنة، بابا.. افتح الآن!»

أكبِسُ نفسي بكل قوتي على الجدار الذي بجانب النافذة حتّى لا يراني. يتحرّك ظلُّ رأسه باتجاه أحد جانبي الموقد. يرفع سيكستن رأسه ويرمقني بنظرةٍ متسائلة حيث يستلقي على سرير المقاطعة.

«لا تُجبرني على الاتصال بإنجريد من أجل المفتاح الاحتياطي»،
ينادي هانس وهو يضغط جبهته على زجاج النافذة.

تنتابني رغبةٌ في الضحك وأُضطرُّ إلى تغطية فمي بيدي.

«اللعنة»، يُكرّر هانس ويختفي الظلّ من على الموقد.

هل غادرَ؟ يزحف سيكستن إلى طرف السرير حتّى تبلغه يدي
فأستطيع أن أربّت عليه.

«مرحباً إنجريد، هذا أنا، هانس، ابنُ بو أندشون».

أنظر بحذرٍ إلى الخارج عبر النافذة. يسير هانس ببطءٍ متجهاً إلى
مصطبة مزروعاتكما ونقاله مضغوطٌ على أذنه.

بكلّ ما أستطيع من هدوء، أرخي مزلاج النافذة لأفتحها بضعة
سنتمرات، حتّى أسمع أفضل.

«كلّا، لم يحدث له شيء. إنّه بخير. يقف هنا في المطبخ رافضاً السماح
لي بالدخول». يركل هانس زهرةً هندباء نمت في تلك المصطبة المنسية
منذ دهر. «أها، وكم سيأخذ ذلك من الوقت؟»

يتنهد ويمسح وجهه، فأستدير وأبتسم لسيكستن.

«أعتقد أنّها تعبث به»، أهمس.

«المسألة هي أنّ لديّ اجتماعاً الساعة العاشرة»، يقول هانس،
إنّما يبدو أنّ إنجريد تقاطعه فيسكت. «نعم، بطبيعة الحال، أتفهم
هذا. سأنتظر هنا حتّى تأتي»، يقول بعد فترة بنبرة أهدأ. «شكراً يا
إنجريد».

فورَ إغلاقه الخط، ينظرُ باتجاه النافذة فأغلقها بأسرع ما يمكن. يلوي رأسه وينظرُ متفحّصاً إلى أسفل الغابة وذراعاها معلّقتان على جانبيه. كأنها الإجابة التي يبحث عنها تقبع هناك.

ثم يهطل المطر، وكأنها جاء من العدم. يدمدم على السّقف الصفيح. أشرق النظر عبر النافذة ثانيةً فأرى هانس يركض نحو السيّارة حتى يحتمي من المطر، فيَقوّر الضحك داخلي ثانيةً.

أذهب إلى الثلاجة وأخذ قطعة شوكلاتة وأدسّها في فمي وأذهب بعدها لأتمدّد بجانب سيكستن الذي يضغط نفسه نحوي.

يستيقظ كلانا، أنا وسيكستن، على ثلاث خبطات عنيفة على الباب، يتبعها صوت هانس:

«إنجريد هنا الآن، وسوف تفتح الباب».

أنظر إلى الساعة، لا بد أننا نمنا لساعتين على الأقل.

نقراُ ويُفتح قفل الباب. يُحكّم العرق البارد قبضته عليّ وأشعر بالغثيان.

يدس هانس رأسه عبر الباب مقطّب الحاجبين والمطر يقطر منه.

«يجب أن أذهب إلى التواليت»، يقول ويخطو عبر أرضية المطبخ. وتدخل إنجريد.

«مرحباً بو». ابتسامتها مكتومة. «أنا آسفة. لقد حاولت الماطلة وإضاعة الوقت».

أحكّ عنق سيكستن دون أن أقول شيئاً.

«أحسنّت صنعاً على آية حال»، تقول إنجريد وتنظر بعيداً ناحية التواليت حيث نسمع كيف يشغل هانس السيْفون خلفه. «أعني ذلك فعلاً».

أشدّ كتفيّ دلالة اللاجدوى.

«يجب أن أمضي الآن، كما تعلم. ولكنني سأرجع للعمل ثانية غداً». تضع يداً متآبتيّة على كتفي. تبدو كأنّها توشك أن تقول شيئاً آخر لكنّها تسدّ فمها ثانية. بعد حينٍ تعتصر يدها كتفي.

«أنا آسفة»، تقول ثانية.

حين يعود هانس إلى المطبخ تُسمّرُ إنجريد نظرَها عليه. ربّما أتوهم ذلك، ولكنني يبدو لي أنني أرى عينيها تضيقان. ثم تُفَلِّتُ قبضتها كتفي وتختفي دون أن تتفوّه بكلمة.

يهز هانس رأسه حين يُغلّق باب البيت.

«بابا...»، يقول هانس ويتبعد باتجاه الشرفة.

أحدّق فيه دون أن أقول شيئاً. يُطلِقُ حشراتٍ مسموعةً ويخلع حذاءه بعصبيةٍ يجفل لها سيكستن. كأنّ من حقّه أن يُظهِرَ غضبه، كأنّ من حقّه أن يكون غاضباً أساساً.

لو كنتِ هنا لكَلَمَتِهِ حتى يعودَ إلى الصّواب. كنتِ ستأتين من غرفة الخياطة وترمقيه بتلك النظرة التي تقول كفاك هذا الآن. تلك النظرة التي كان يُدعِنُ لها دائماً كما لم يفعل أبداً معي.

ولكنك لستِ هنا ولا شيء يهمّ بعد الآن.

يزحف سيكستن صاعداً نحوي. يدسّ أنفه تحت أصابعي السّجق. إنّه لا يريد. أنا لا أريد. ولكنّ ما أريده وما يريده ليس مهمّاً. لم يعد ما نريدُ مهمّاً منذ زمنٍ بعيد.

«سوف يكون بكلّ خير، حتّى أنّ تلك العائلة لديها أطفال»، يقول هانس وعلى وجهه تعبيرٌ يفصح كونه يعرف كم أنّ هذا لأخلاقِي، هذا الذي يوشك على فعله.

أرقد على سرير المقاطعة المبالغ في طراوته مع سيكستن المضغوط إلى جنبي وكل ما يمكنني الشعور به تجاه ابنتنا هو الاحتقار. بإمكان المرء أن يرى في عينيه كم يراني ضعيفاً. إنّه لا يتأهّب لخوض معركةٍ حتّى. يُشْفِقُ عليّ فقط. ولكنّه لن يرحم أبداً. رغم ضعفي، لن يتركني إلا مُضَرَّجاً بدمي.

يعبث ابنتنا برباط سيكستن الذي تعلّق أنشوطته بالخطّاف، فيشدّه كي يُحرّرها، بينما عطرٌ ما بعد الحلاقة، الذي يضعه، يَحْزُ أنفي.

«سيكستن، هيّا كي نخرج ونتمشّى»، يقول بنبرة طفوليّة بعد أن تمكّن أخيراً من التّحكّم بالربّاط وطوقه.

يواصل سيكستن الرقاد إلى جانبي دون أن ينظر إلى هانس. يهزّ هانس الربّاط ثانيةً وتَمُرُّ أمامي صورٌ مُرفِقةٌ لبُسْتَر. يغدو الدّوار والغثيان أسوأ.

«لا يمكننا أن نفعل شيئاً آخر»، زجر العجوز بعد أن أغلق جأرنا بابَ المنزل خلفه.

كان بُسْتَرٌ متوعكاً لأيامٍ عديدة؛ كان يعرج ولم يُرِدْ أن يأكل. رأى

العجوز أنَّ الذهابَ به إلى الطبيب البيطري لم يكن أمراً ضرورياً بينما جازنا لديه خبرةٌ في الكلاب.

جلستُ أمام الموقِدِ الذي كنتُ قد عبَّأته للتو. التفتُ إلى والدتي وبدأ لي أنني رأيتُ شيئاً تعيساً في نظرتها.

غارَ العجوزُ خارجاً فزحفتُ نحو بُسْتَرٍ. رفع رأسه وعدَّلَ استلقاءه ليقرب من جسدي.

فُتِحَ البابُ بعنف فجفل بُسْتَرٌ. وقف العجوز عند المدخل مرتدياً جزمته المطرية والبندقية معلقةً على كتفه.

«على رِسْلِكَ، يا لارش-إيريك، دَعِ الولدَ يودِّعه بسلام».

ندت ضحكةً صغيرةً عن العجوز لكنه لم يعترض وإثما جلس على أحد كراسي المطبخ منتظراً.
التفتُ إلى والدتي ثانيةً.

«ما الذي تعنيه والدتي؟» سألتها فعاد ذلك الشيءُ التعيسُ إلى عينيها ثانيةً.

مسحت يديها بقماش تنورتها وأشاحت ببصرها. لَفَتُ قطعةَ الخبزِ بالقماش ووضعتها في مكانها على منضدة المطبخ.

«لقد حان الآن وقتُ وداعِ بُسْتَرٍ»، قالت وأومأت بِحَزْمٍ. «هذا كل ما في الأمر».

رَبَّتُ على رأسِ بُسْتَرٍ. حَكَكْتُ تلك الشَّيْءَ الصغيرةَ في أذنه، فزادَ في ضغطِ جسده على يدي.

«حسناً، هذا يكفي الآن»، قال العجوز وبدأ من نبرته التوتُّر والعَجَلَة. «لا بُدَّ من أن يتعلَّم في مرحلةٍ ما».

بعد ذلك أخذ بُسْتَرٌ معه وذهب. رفعتُ بصري إلى والدتي، كنت لا أزال غيرُ مُدركٍ لمغزى أيِّ شيءٍ مما جرى للتو، ولكنها لم تقل شيئاً. هَمَّهَمْتُ شيئاً فقط عن أُنْهَا ستخرج لتفقد الحيوانات، رغم أنها كانت قد انتهت من الحلب. حالما أغلقتُ الباب خلفها غرزتُ قدميَّ في جزمي المطريَّة وارتديتُ معطفي.

كان الهواءُ قارس البرد؛ لا بُدَّ أنَّ درجة الحرارة كانت تحت الصفر أثناء الليل. كنْتُ متوتِّراً وبحاجةٍ لإيجاد بُسْتَرٍ والعجوز في تلك اللحظة. أسرعْتُ الحُطْي. أخذتُ أوَّلَ مُنْعَرَجٍ على اليمين ثم اتجهتُ يميناً مرَّةً أخرى بعد الجدول. تَطَلَّعتُ بسرعةٍ إلى جانبي وأنا أعبر الجسر، رغم أنَّ الجو كان أبردَ من أنَّ أصبح اليوم.

سمعتُ صوتَ العجوز فجأةً يقول: «هيا اذهب، اِبحَثْ»، بعيداً هناك بين جذوع الأشجار.

انحنيتُ بسرعةٍ خلف شجيرةٍ عَرَعَرٍ خَدَشْتُ إِبْرُها الحادَّةَ وجهي مما اضطرَّني أن أغْمِضَ.

ثم لَمَحْتُ بُسْتَرٌ. كان يعرجُ في سيره بعيداً هناك على الربوة. كان ذيلُه النحيلُ في وضع العمل، ثم ساد الصمت. لم يكن الأمرُ أكثر من أنهما قد خرجا للصيد. عدلتُ جلستي على الأرض. بُسْتَرٌ، أروع مُتَعَقِّبٍ رأيته. قالت والدتي أن التفكير بتلك الطريقة لا يجوز، ولكنني كنتُ أراه مثل أخي الأكبر. كان دائماً يعتني بي ويمنحني الصُّحبة.

كان صوت الطَّلقة عالياً إلى درجة أن يَدَيَّ ارتفعتا إلى أُذُنَيَّ دون تفكيرٍ مني. وبنفس السرعةِ غَطَّتَا فمي عندما رأيت جَسَدَ بُسْتَرٍ يرقد هناك.

فَارَتْ معدتي وَوَجَدْتُني على أطرافِ الأربعةِ أَتْقياً العَصيدةَ خلف شجيرة العرعر. كنت أتنفّس بصعوبة، وكأنَّ أحدهم أطبق بقبضةٍ شديدةٍ على عنقي.

وقف العجوز يهيل التراب على بُسْتَرٍ، لم يلاحظ شيئاً. مَحَتْ الريحُ دموعي.

نهضتُ وبدأتُ أركض عائداً على المنعرج الذي جئتُ منه نفسه. لم أعرف إلى أين أنا ذاهب، لم أعرف سوى أنَّ عليَّ أن أبتعد. إلى أبعد مكانٍ عن العجوز أمكنني أن أصله.

يسحب سيكستن رأسه من مخبئه تحت يدي ويرمقني بنظرةٍ سريعة. تطعنني نظرتَه لأنني أعرف أنني لا أستطيع مساعدته. مثلما عجزتُ عن مساعدة بُسْتَرٍ.

عندما تعهّدتُ سيكستن وعدته أنَّ بمقدوره الاعتمادَ عليَّ. أنني سأكون أماناً له. وها أنا الآن أخذه.

يدُسُّ رأسه ثانيةً. وما أتمناه من كل قلبي أن يُدركَ أنني ليس لي يدٌ في هذا. أن لو أنَّ القرارَ كان قراري لما غادر إلى أيِّ مكان. وأنَّ الأمرَ حينئذٍ كان سيعودُ له في الاستلقاء إلى جانبي قدرَ ما يريد.

يهزّ هانس الرِّباطَ ثانيةً وسيكستن يحدّق فيَّ. أشعر بجسدي يتمزّق وأُغمَضُ حتى أستطيع الإيماءَ لسيكستن. لكنه يظلّ مكانه،

لا يستقبل إيمائي كأمر. يزدادُ ثقلُ جسده على ساقي، كأنه يحاول التمسك بالبقاء.

أخيراً يتقدّم هانس ويضع الطوق حول رأس سيكستن ويشده برفق. يقفزُ سيكستن مُرغماً عن السرير ورأسه ملتفتٌ إليّ. لا أحتمل ملاقاته نظرته فأغمضُ ثانيةً.

يدُ ابنتنا موضوعةٌ على كتفي لكنني لا أُحرِّكُ ساكنًا.

«ساعمني، إنّها ليس هناك أيُّ مخرجٍ آخر فعلاً»، يقول بنبرة تبدو صادقة. كأنه حزينٌ حقاً بسبب الفعل الشيطاني الذي يقوم به.

أشدّدُ إغماضَ عينيّ بكلّ فوّتي. لا يهمني بتاتاً ما يشعر به. لا أريد سماعَ صوته. كل ما أريد هو أن أشعر بجسم سيكستن لصقَ جسمي.

بعد نقرة الباب الذي يُغلَقُ، يُنَشِبُ الصمتُ مخالِبَه فيّ. تُسابقُ الدموعُ المخاطَ وتعلّقُ بلحيتي. لوهلةٍ أشعر بأنني سأختنق. أتوسّل الرّمقَ رغم أنّ كلّ ما أريد هو التوقّف عن التنفّس.

الساعة الثانية بعد الظهر

بو حائق واستحمامه يأخذ وقتاً طويلاً. أتأخر عن مواعي التالى.
أعدّ جراتان السمك وأضعه على الطاولة.

/ إيفا-لينا

تُرتب إيثا-لينا وتجهّز. تُخرجُ مئزراً جديداً وتعقده عند خصرها. ثم القفاز البلاستيكي.

«لقد حان وقت الحمام».

أشدُّ إغماصَ عينيَّ كأنّ ذلك سيعينُ على إخفاء صوت الشمطاء. إذا رَقَدْتُ ساكناً وأغمضتُ فَلَربَّما ستعتقد أنني نائم وتغادر.

«بُسه، هيا، استيقظ»، تقول وتمسك بساقي وترجُّها.

دون أن أريد، أفتحُ عينيَّ. تُحرقاني ولا تزالانِ متورمتين.

«انفض واجلس بينما أذهب لِأُجهِّزَ الحمام، لا أملك وقتاً لأضيّعه»، تقول وتختفي ذاهبةً إلى الحمام.

يا للجحيم.

بَحْثُ راحةِ يدي المتعثِّرة عن سيكستن في المساحة الفارغة إلى جانبي يدفعني للرغبة في البكاء ثانيةً.

أسمع كيف تجهّز إيثا-لينا. يا تُرى لماذا هي هنا اليوم، مَنْ منهم مَرِضٌ؟ أشعر بحرقه خلفَ جفوني وأُضطرُّ إلى إغلاقِها وسحبِ نَفْسٍ

حتى أبعد تلك الحُرقة. أتمنى لو أتها كانت إنجريد. أو يوهانا على الأقل.

«هيا تعال يا بُسّة، أما تزال راقداً؟»

تدبّ إيّفا-لينا نحو السرير وتمسك بكتفيّ.

«قُم وانهض الآن، هكذا، نعم.»

«لا»، أفلح في القول. «لا أريد.»

يخرج صوتي وأبدأ بالسعال.

«لا يتعلّق الأمر الآن بما تريد، بل بما تحتاج»، تقول وترفع نصفَ جسدي العلويّ بينما تعطفُ ساقيّ على حافة السرير في الوقت نفسه. لا أكاد أقول أو أفعل شيئاً قبل أن أجد نفسي قد نهضت جالساً. «أنظرُ إلى لحيتك فقط، لقد علّق بها الكثيرُ من بقايا الطعام.»

هنالك شيء ما بشأن الشمطاء يمنعني من إيجاد الكلام. ومع ذلك فما أقوله ليس مهماً على أية حال، فهي تضرب عرض الحائط بما أريد.

«هكذا، هيا»، تقول وتقبّضُ على يديّ وتجريّني إلى الأعلى.

تؤلمني أصابعي. أتوجّع وأحاول سحب يديّ لكنّ إيّفا-لينا تستدير وتضعهما على كتفيها.

«والآن نمضي.»

ليس لديّ خيارٌ آخر سوى أن أتبعها حتى ندخل الحمام وهي تُبَتُّ بقبضتيها يديّ على كتفيها. لِلْحِظَةِ أُوهِمُ نفسي أنّي قد أجد القوةَ لأدفعها عني ولكنني سرعان ما أدرك أن لا جدوى من ذلك.

فهي شديدة إلى حدّ أنني على الأرجح لن أستطيع زحزحتها مَليَمتراً واحداً.

ندخل إلى الحمام فتصُفّني أمام مقعد التواليت.

«البنطال أولاً»، تقول وتُنزِلُ ساقي البنطال ثمَّ السروال الداخلي لِتُقَعِدَنِي بعد ذلك على مقعد التواليت.

أشعر ببرودة الغطاء البلاستيكيّ بينما هي تنزع عني البنطال الرياضيّ الذي يستعصي عليها. الجسد بأكمله يقول لا، ولكنّ كلّما ازداد عدم رغبتني، ازداد تحجّري حتّى أنني لا أستطيع التّفوّه بأنني أنا من يقرر متى أريد الاستحمام.

«الذّراعان إلى الأعلى»، تقول وتسحب الفائلة فوق رأسي بينما هي تُعبّس. «سيذهب هذا إلى سلّة الغسيل».

أشعر بالبرد هنا حيث أجلس عارياً أحدّق في إيّفا-لينا. تقشعر بشرتي. تفتح الحنفيّة وتضع يدها تحت دَفْقِ الماء. القفاز البلاستيكيّ مشدودٌ على يدها إلى حدّ أنّه يمكن أن يتشقّق في آية لحظة.

«الآن تستطيع أن تأتي إلى هنا»، تقول وتمدّ يدها اليسرى لي.

أتأمّل ما إذا كنت سأقوم بمحاولةٍ أخيرة للاحتجاج. لكنني عندما ترفع إيّفا-لينا حاجبها، أضع قبضتي في قبضتها وأنفض وأترك نفسي أقادُ إلى كرسي الاستحمام.

الماء باردٌ جدّاً ولكنني لا أقوى على الكلام لأقول شيئاً. أغمض عينيّ. يسير الأمر أسرع إن خرسْتُ. تعود أفكاري إلى العجوز، كيف كانت الأمور تسير بسهولةٍ أكثر عندما كنتُ أسدّ فمي ولا أفلتُ صوتاً.

بدلاً من المقاومة أنفذُ أوامرَ إيڤا-لينا، أرفع ذراعيَّ ولحيتي حتى تتمكّن
من الوصول إلى ما تريد. لم يعد هناك أيّ شيء مهم. لقد راح سيكستن.
ينتشر الخواء أكثر فأكثر بإيقاع يتناسب مع تنظيف الشمطاء
لجسدي؛ كلّما دَعَكَتْ تلك الإسفنجة اللعينة السخيفة على بشرتي التي
تزدادُ احمراراً، كلّما اختفى المزيد مني.

فيما بعد، حين تغلق الباب خلفها وأنا راقدٌ في السرير، أكون مجرد
قشرة. يتردّد صدى الخواء داخلي. لا أريد المزيد، لا أريد المزيد، هذا هو
الشيء الوحيد الذي يُسمَع داخلي.

الخميس ٣ أغسطس

تعملُ الأفكار داخلي حالمًا أغادر النومَ وأفتح عينيّ. في تلك الأحيان القليلة التي أفلحتُ بأن أغفو فيها، كان مشهد ربط هانس لسيكستن يُعادُ في رأسي، يجرّني جرّاً إلى اليقظة ويُسْغَلُ جَرَشُ الأفكار. في داخلي أتخيّل كيف أحاجُّ هانس، وأوبّخه، نعم بل وأدفعه دفعاً كذلك. أدفعه لأطرده من بيتي وأقول له أنّ هذا حدّه. أن كفى.

أرمق النّقالَ بطرف عيني. إنّه يُعاوِدُ الاتصال. للمرة السابعة في هذا الصباح فقط. أشخر ساخراً من الهاتف وأدعه يُفَرِّغُ صُراخَ رنينه الزاعق. وَلِيَحْلُمَ بَأَنِّي سَأُرَدّ.

تستدير إنجريد على مهلٍ ويبدو عليها أنّها توشك أن تقول شيئاً، لكنّها تمنع نفسها. تواصل مسح منضدة المطبخ وتعلّق الخرقة بعد ذلك على صنبور الحنفيّة. تمضي إلى نار الموقد وتُضيف قطعتيّ حطب. ثُمَّ يصدُرُ أزيزٌ في جيبها الخلفي فتخرج منه هاتفها النّقال.

«سأردّ فقط على هذه المكالمات وسأعود حالاً»، تقولُ إنجريد وترفع النّقال.

أومئ. تقول اسمها حين تفتح الاتصال قبل أن تغلق الباب خلفها.
ثم يبدأ هاتفي النّقال بالزعيق ثانيةً. هذه المرة يظهر اسم إلّينور
على الشاشة. أرفع النّقال وأنظر إلى اسم نحلتنا. أريد الردّ، أريد حقاً
أن أسمع صوتها. أريد أن أسأل عما فعلت اليوم، وكيف تسير الأمور في
العمل الصيفي. أريد أن أسمعها تحكي حكاية إحدى ذكرياتها معك.
حكاية شيء فعلناه معها عندما كانت صغيرة.

ولكنّها على الأرجح قد تكلمت مع أبيها. ولقد سخرها، طلب
منها أن تتصل بي.

أعيد وضع النّقال على طاولة السرير وأحشرج. أمدّ يدي إلى كوب
البُصاق وأشدّ بكلّ ما أوتيتُ من قوّة.

الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحاً

بو مُحَبَط ومزاجه متعكّر. كرّر هانس محاولة الاتصال بالملكتب، وكذلك ببو، في عدّة مناسبات. يريد بو أن أدوّن أنّ هانس غير مُرَحَّب به. يرفض الأكل ولا يريد الاستحمام. أضع الشوكولاتة عند السرير وقطعتني حطب على النار.

/ إنجريد

أستيقظ، أمدّ يدي بغريزية بحثاً عن سيكستن الذي ليس هناك.
الخواء الذي خلّفه يدفعني إلى التفكير بوالدي. كيف كانت، وبطريقة
عجيبة، تجعل المشاعر المُنصّنة تختفي. كيف كانت تجعل العيش ممّا
يُحتمَل.

أضع رأسي على الوسادة وأستدير إلى جهة الطاولة. ما إن أغمض
حتى أرى العجوزَ جالساً عند طاولة المطبخ. أجلس على الطرف الآخر
من الطاولة وأحاول أن أنظر إلى والدَيّ دون أن يلاحظا ذلك. كنت
قد أتممتُ لتوّي تناول الشطيرة التي أعدتها والدي لي. أسترق نظرةً إلى
والدي وأرتشف قليلاً من الماء. ها قد مضت عدة أيام والعجوز ساكت.
رغم أنني لا أسعدُ كثيراً بكلامه فإنّ في سكوته شيئاً يقبض قلبي. كأنها
يحاول أن يعاقبنا، أعني والدي وأنا.

«كارل-إيريك...»، تقول أُمي وتضع يدها برّقيّ على ذراعه.
«سنعود يوم الإثنين وقد جهّزتُ كلّ ما يكفي من طعام ووضعت في
الثلاجة».

خالتي سوف تتزوّج، وسنسافر سوياً إلى هُودِيْكُسْفَال. والدتي وأنا فقط، طوال عطلة نهاية الأسبوع. لقد حصلتُ على إجازة من المدرسة يوم الإثنين كي أتمكّن من السّفر. خالتي كارين أصغر من والدتي بسنواتٍ كثيرة وأكثر طولاً منها وأكثر كلاماً. كان لهما أخوان آخران سابقاً، لكنّ أحد الأخوين غرق في النهر وهو صغير بينما راح الثاني في حادث سير.

يُغمِغ العجوز شيئاً فألتفت ناحية والدتي ثانية. أنا قَلِقٌ مِنْ أنّها قد تغيّر رأيها. أنّها قد تختار البقاء في البيت. ولكنها حتّى الآن لم تستسلم. أعرف أنّها لا تريد أن يفوتها عرس خالتي كارين.

«يمكنك أن تأتي معنا إذا أردت..»، تُحاول والدتي رغم أنّها تعرف أنّه لم يكن ليفعل ذلك أبداً. ليس لديه أدنى اهتمام بعائلة والدتي.

«إه، وما الذي سأفعله هناك؟ أنا لا أعرفهم»، يحشرج ويشرب من القنينة.

أشعر بأنّ نظرة والدتي غريبة. فيها شيءٌ حادّ، لكنّه ليس مُوجَّهاً نحوي. تلتفت إلى العجوز ثانية، ولكنّه يُحدّق إلى الخارج فقط عبر النافذة.

ثمّ تنهض.

«ها قد حان وقت الدّهاب. أتأخذ الحقيقة يا بو؟» تقول بحزْم يجعلني أسير مستقيماً الظهر، مرفوع الرأس وأنا أتبعها على الشرفة نحو الخارج.

يمكنك العجوز على جلسته ولا يقول شيئاً.

حين نَبْلُغُ طريق البلدة تبدأ والدتي تسير بخطى سريعة إلى حدٍّ صَعَبَ عَلَيَّ اللحاقَ بها. الحقيقةُ ثقيلةٌ ويجب عليَّ أن أرفعها حتّى لا تُسَحَلَ على البَحص. ثَبَّتْ والدتي نظرتها إلى الأمام. أمّا أنا فألْتَفْتُ بين حينٍ وآخر إلى الخلف، ولكنني لم أعُدْ أرى دخانَ العجوز.

سوف نأخذ الباص إلى أُسْتَشْنَد، ثمّ القطارَ إلى سُنْدُسْفَالٍ لِنُبَدِّلَ هناك إلى هُودِيكْسْفَالٍ. لم أركب القطار سابقاً سوى مرةً واحدة، إلى أنْكَة، ولكنني كُنْتُ صغيراً عندئذ حتّى أنني لا أتذكّر من ذلك شيئاً. كُلَّمَا طالَتْ مسافةُ نزولنا على الربوة كلَّمَا زادتْ جُرْأتي على الاعتقاد بأننا سنغادرُ حقّاً.

لم تُقَلِّ والدتي كلمةً واحدةً حتّى الآن. وَلَمْ تُبْطِئْ سيرَها قبلَ مرورنا بمنزل آل يوهانسون.

«ولكن كيف حالك مع الحقيقة، أهي ثقيلة؟» تسأل بِقَلَقٍ. «وأنا أخوضُ هنا في أفكارٍ يا بُنَيَّ».

تتنزع الحقيقة من يدي.

«لا بأس»، أقول لكنني سعيدٌ لأنّها أخذتها، فَيَدَايِ المُحَمَّرَتَانِ تَوْلِمَانِي.

أقف عندَ محطةِ الباصِ بحيث يمكنني أن أراقبَ الطريق إلى أعلى الربوة، كي لا تُضْطَرَّ والدتي إلى ذلك. بعد حينٍ تأتي الخالة مَرثَا فتبدو والدتي أكثر ابتهاجاً. تُخبرها عن عُرْس خالتي كارين وأضيفُ أننا سنركب القطار، فتضحك الخالة مَرثَا حتّى تَبِينُ الانفراجات بين أسنانها.

حينَ نستقلّ الباصَ ونجلس تنفلق ابتسامةٌ عريضةٌ من وجه والدتي. لكنّها لا تقول شيئاً، بل تكتفي بالتريت على فخذي لتترك نظرتها تسرح خارجاً عبر إطار النافذة.

حين يصعد الباص إلى العبّارة ويطفأ المحرّك، تجرّني من ذراعي قائلةً:

«تعال لننزل».

طبعتُ حادثةً مضيق فالتسند آثارها في نفس والدتي. رغم أنّ العديد من السنين قد مضت عليها، فقد حدثت قبل أن أولد حتّى، إلّا أنّ والدتي لا تحبّ ركوب العبّارة بسببها. تقول أنّ ذلك يؤثّر لها.

«على المرء أن لا يتحدّى القدر، يا بُني»، تقول فأقول لنفسي أنّها على حق.

تضع والدتي يدها على شفير العبّارة حيث علّق طوق النجاة الوحيد. «أنا نادمةٌ لأنني لم أتعلّم السباحة»، تقول وتنظر إلى الأسفل حيث الماء الدّاكن.

أدسُ يدي تحت ذراعها وأذكّرها بأنني على أية حال أستطيع السباحة. وبأنني سبقتُ جميع الأطفال إلى تعلّم السباحة عند خليج رانبي حيث المياه ضحلة.

تبتسم والدتي ونمدّ البصر معاً فوق البحيرة الهادئة. أتساءل مع نفسي عمّا يفعله العجوز هناك في المنزل. ما إن كان لا يزال على جلسته عند طاولة المطبخ. أو ربّما يكون قد خرج إلى حظيرة الخنازير. لا تذكّره والدتي، فهي لا تفعل ذلك أبداً تقريباً. أرمقها خلسةً بنظرة. نحن بخير

حال، والدتي وأنا. نظرتها مُبْتَتَّةً على فروسون على الجانب الآخر من المَضِيق وأفكارُها تسرح بعيداً.

تعبث أصابعي بقماش تنورتها ثم أدُسُّ يدي في جيبها. بعد قليل تنزلق يدها الخشنة داخلةً إلى جيبها لتقبض على يدي.

أُفِيقُ على ظنِّي أنني سمعت طَرْقاً على الباب، أفلتُ يد والدتي وأفتح عيني. يجوب نظري فوق الأرضية حتّى أرى ردَّ فعل سيكستن لكنّ الخواء يرده. أغمض وأصغي لكنني لا أسمع سوى الصمت. لا بُدَّ أنني توهّمت، لذا أغمض عيني.

ولكنّه يعود ثانية، طَرْقٌ خفيف وأحدهم يحاول فتح باب البيت. الباب ثقيل وعلى المرء أن يشدّه بقوة.

«يجب أن تسحب بقوة أكبر»، يقول صوتٌ، وذلك بالضبط قُبِيلَ فتح الباب أخيراً.

«مرحباً يا بو، أنتَ في المنزل؟»

«أدخلوا»، أقول حائراً وأُنْحَنُجُ.

«نحنُ هنا»، يقول صوتُ الذي في الشرفة. يبدو أنّه صوت طفل. «أنتا ولا ارا».

إنّهما حفيدا ماريتا ونَيْلا. صوت آنتا مألوف. فهما يأتیان أحياناً ويبيعان بطاقات اليانصيب. يلاعبان سيكستن ويسألان عن أشياء مختلفة.

«قف، اجلس»، يقول آنتا وأسمع أصوات مَخالب على الأرضية.

مخالب ناقرة بحاجة إلى تقليم. غيابُ ثِقَلِ سيكستن إلى جانبي يملأني
رغبةً بالبكاء.

«جَلَبْنَا معنا شُوتة»، يقول آتتا، أكبر الولدين سنّاً، وهو يدخل إلى
المطبخ.

أفتح عينيّ، يمضي الكلب مُشْمِشاً بأنفه إلى حيث اعتاد سيكستن
أن يستلقي.

«شُوتة يبحث عن سيكستن»، يصيح لارا مبتهجاً ويركض خلفه
داخلاً إلى غرفة المعيشة.

أجد صعوبةً في تفسير نظرة آتتا. فيها شيءٌ من عدم التأكد والشفقة.
وإذا به يُناولني عُلْبَةً بلاستيكية.

«خُذْ، عَمِلْتُ ماما كعكةً زنجبيلٍ طريةً من أجلك».
أَتَقَبَّلُ الكعكة.

«أها، ذلك لطفٌ منكم».

بعد حينٍ يجلس على الكرسيّ. يخطّ برفقٍ على الأرضية بأصابع قدميه.
بالكاد تلامسها.

أحاول أن أرفع نفسي وأنا في السرير.

«انتَظِرْ، أقدر أن أرفع مسند الظهر»، يقول وينهض. «في سَرِيَّيْ..
ري من هذا أيضاً».

يأخذ آتتا جهاز التَّحَكُّم فيبدأ مسند الظهر بالتَّحَرُّكٍ إلى الأعلى.
أبتسم لحماسته ولكنني أشعر بسرعة أن الخواء يصيبني في صدري.

يأتي شُوتة جَرياً. جسْمُهُ المَّدْمِدْمُ رَشِيقٌ وأُخْرَقُ في الوقت نفسه.
يأتي نحوي ويضع رأسه على حافة السرير.

«أريدُ كعكةً»، يقول لارا ويجلس على الأرض قبالة نار الموقد.
«ولكنّها لبُو»، يقول أنتا ممتعضاً لأخيه الصغير.
«ولكنّ ماما قالت أن بإمكانِ كُلِّ مَنّا أن يأخذ قطعةً لنفسه عندما
نصل إلى هنا».

يرفع شُوتة رأسه ويذهب ليرقُدَ على الأرض عندَ لارا. يُخَلِّفُ
وراءه بقعةً من البَلَلِ على الشرشف. تماماً مثل سيكستن بعد أن يشرب.
«بالطبع ستنالانِ كعكةً»، أقول وأنحنجُ.

ينظر أنتا مرتاباً إليّ كأنّها ليتأكد من أنني جادٌّ في ما أقول.
«يمكنك أن تأخذ صحناً من منشِرِ الصّحون، إذا أردت».
أومئ إلى جهة مغسلة الصّحون.

ينطُّ أنتا نازلاً من الكرسيّ ويذهب ويجلبُ صحناً صغيراً.
يسحب لارا يديه الصغيرتين على طول عُنقِ شُوتة العريض
صعوداً إلى ما تحت أُذنيه. تماماً حيث كان سيكستن يحب أن يُحَكَّ فراؤه.
كان هانس أيضاً مُغرماً بالكلاب في صغره، كما حبّذ دائماً أن يجلس قرب
الكلاب التي ربيناها.

تنعقد عقدةٌ في الصّدر ويصعب عليّ أن أجِدَ شيئاً أقوله. لأنني مهما
قلتُ فسيكون الكلام بلا أثر. الشيء الوحيد الذي أستطيع التفكير به
هو أنني أريد سيكستن في سريري. جوار ساقِيّ.

«فَكَّرْنَا أَنَّكَ قَدْ تَكُونُ حَزِينًا»، يقول آتنا بعد حينٍ ويضع الصحن الصغيرَ على طاولة السرير. يفتح العلبة البلاستيكية ويضع قطعتي كعكٍ في الصحن ويعطي واحدةً لأخيه الصغير. «لأنَّ سيكستن انتقل». يغافلني الدمع فلا أملك أن أوقفه. رغم أنني أُغْمِضُ عينيَّ فإنه ينبثق منهما.

«أنا أيضاً كنتُ سَاحِزَن إذا اضطرَّ سُوءُةٌ إلى أن ينتقل» يقول ويصمت.

يومي لارا ويميل على سُوءُة.

نجلس صامتين. يأخذ آتنا قِصْمَةً من الكعكة ويرمقني بنظرة. أمسح بكفي ما تحتَ عينيَّ وألتقط المنديل وأنفخ ما في أنفي. يجفل سُوءُة بسبب الصوت، وينفجر لارا ضاحكاً حين يشدّ الكلب أذنيه. أُشير إلى نار الموقد.

«يمكنك أن تُضيفَ قطعةَ حطبٍ يا آتنا»، أقول بعد حين.

«أنا أيضاً أريد!»

يَنْطُ لارا عن الأرض ويلتقط قطعةَ حطبٍ بِدَوْرِهِ. يراقبُ بحر ص أخاه الكبير ويضع قطعة الحطب على النار بالطريقة نفسها. بعد ذلك يعود للجلوس إلى جانب سُوءُة ويحدّق في اللهب.

«بتولا، بالطبع»، أقول وأقضم قطعةً من كعكة الزنجيل الطرية.

يومي الأخوانِ موافقةً، وهما غارقانِ عميقاً في نارِ الموقد.

يستدير لارا ويرمق علبة الكعك بنظرة لكنّ آتنا لا يأبه له. فِكْرُهُ

في مكانٍ آخرٍ كُلِّياً. إنه يذكّرني بك، كيف كنتِ تغيّبين تماماً هكذا بعيداً، بعيداً.

«خُذْ واحدةً أخرى»، أقولُ لـلارا وأشيرُ إلى العلبة البلاستيكية. فيضيء وجهه.

«أتريدُ أنت أيضاً واحدةً؟» يسأل.

أهزّ رأسي نفياً وأُميلُه على الوسادة.

يمكث الولدانِ مُدَّةً أخرى، جالسَيْنِ قُبالةِ نارِ الموقد. قبل مغادرتِهما يلتفتُ آنتا عندَ بابِ المطبخ.

«على أيّةِ حالٍ فقد قالت ماما أنَّ سيكستن سيكون بخير»، يقول وفي عينيه نظرةً جادَّةً إلى حدِّ أنني لا أملك معها سوى أن أصدِّقه.

الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً

لا يزال بو مُحَبَّطاً ولكنَّ مزاجه أفضل مما كان صباحاً، كعكة زنجبيل
طريّةٌ على الطاولة، لا يَتَذَكَّرُ تماماً من جاء بها. نار الموقد على ما يرام.
أُسَخِّنْ جراتان بطعم الشبت، لكنَّ بو يرفض تناول طعام اشتراه هانس،
على حد قوله. أطبخ له عوضاً عن ذلك إحدى أَكَلَاتِهِ الْمُفَضَّلَةِ القديمة،
يتناول منها القليل. أرز بالحليب وبكثيرٍ من السُّكَّرِ والقرفة والحليب
الدَّسَم.

/ إنجريد

الخميس ١٧ أغسطس

يوقظني تقريرٌ عن حبوبٍ منعٍ حَمَلٍ للرجال على القناة الإذاعية الرابعة. يَصِفُ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِلَهْجَةٍ سُكُونَةٍ^(١) كيف أنَّ لِإِمْاعِ الحَمَلِ هَذَا الْعَدِيدَ مِنَ الْآثَارِ الْإِيجَابِيَّةِ. أَنَّ بِإِمْكَانِهِ الْمُعَاشِرَةَ دُونَ قَلْقٍ. أَنَّهُ يُوفِّرُ عَلَى شَرِيكَتِهِ الْآثَارَ الْجَانِبِيَّةَ الْمُرِيعةَ الَّتِي لَا تَزَالُ النِّسَاءُ تَعَانِي مِنْهَا مَعَ حُبُوبِ مَنَعِ الحَمَلِ الْحَالِيَّةِ.

أُصْغِي إِلَى الْمُتَحَدِّثِ عِبرَ الرَّادِيُو وَأَتَذَكَّرُ أَنَّكَ كُنْتَ تَمَقِّتِنَ تِلْكَ الْحُبُوبِ. كُنْتُ أَرَى أَنَّ عَلَيْكَ التَّوَقُّفَ عَنْ أَخْذِهَا، أَنَّ هُنَاكَ وَسَائِلَ أُخْرَى يُمْكِنُ اسْتِعْمَالُهَا. لَكِنَّكَ كُنْتَ مُصِرَّةً، أَرَدْتَ التَّأَكُّدَ قِطْعاً مِنْ عَدَمِ الحَمَلِ مَجْدِّدًا.

«لَنْ أَعُودَ ثَانِيَةً إِلَى هُنَا. أَبْدَأُ».، قُلْتُ بِحَزْمٍ بَعْدَ أَنْ جِئْتُ لِأَخْذِكَ وَهَانَسَ الْمَوْلُودَ لِلتَّوَّ مِنْ مَسْتَشْفَى الْوِلَادَةِ فِي أَوْسْتَشُونْد.

(١) سُكُونَةٌ (Skåne): مَقَاعَةُ سُوَيْدِيَّةٍ تَقَعُ أَقْصَى جَنْوُبِ السُّوَيْدِ، مِنْ أَهَمِّ مَدَنِهَا مَالْمُو (ثَالِثُ كِبَرِيَّاتِ الْمَدَنِ السُّوَيْدِيَّةِ عَمُومًا) وَلُونْدُ وَهَلْسِنْغِبُورِي.

أردت إخوة هانس، فكم تمنيت رفيق لعب عندما كنت صغيراً. في الوقت نفسه فإن احتمال الوقوع في شجار يغدو أقل إذا ما كان للمرء طفل واحد فقط. كما إن هانس ليس بحاجة لمقاسمة أحد في شيء. فقد اختلف صغار ميكة المجاور للكنيسة في مسألة الإرث حتى ما عادوا يكلمون بعضهم بعضاً.

حتى إلينور لم تحصل على أخ، وأتساءل مع نفسي إن كان ذلك عن قصد أو لا. لم يقل هانس شيئاً عن ذلك أبداً.

«لقد اختلف اليوم معنى أن تكون رجلاً»، يقول الرجل الذي من سكونة. «لديك مستلزمات أساسية مختلفة تماماً حتى تصبح أباً».

لم أفكر أبداً في أنني كانت لدي مستلزمات أساسية معينة. أنظر إلى الأعلى نحو السقف وأتساءل ما رأي إلينور في كل هذا.

تختلف هي وهانس، معاً، اختلافاً كبيراً عما كنّا أنا وهانس معاً مدى الحياة. أتذكر خطابيهما في تخرج إلينور. كيف كانا صريحين ومباشرين بطريقة ما.

«كم أنا فخووووور بك»، قال هانس ومدّ فعلاً تلك الـ«واو».

ابتسم وأجابته بابتسامة.

وجدت نفسي أشيح ببصري بعيداً عنهما لأن الأمر بدا أكثر حميمية مما اعتدت. كنا جالسين في ظل البتولا في فنائهم الداخلي. أدمعت عيناك ولم أعرف ما الذي شعرت به حيال ذلك كله.

مدت إلينور ذراعيها وعانقت هانس فشعرت بالخجل والفخر في الوقت نفسه.

لا أدري لماذا ولكن التفكير بذلك ثانية يُضايقني. هناك شيءٌ ما يضايقني بخصوص مسألة عناقهم الدائم. لمجرّد أن إلينور ستغيب طوال النّهار، يجب أن تعانق والديها. ويا لكثرة ما ينثرون الأُحَبَّك والأُحَبَّك هنا وهناك.

شيءٌ كهذا ما كان العجوز ليقوله لي أبداً. ولا أعتقد أنني لمست هانس منذ بدأ دراسته الابتدائية. لم يكن المرء يفعل ذلك.

أم هل نحن فقط مَنْ كُنّا هكذا يا ترى؟ أنا والعجوز؟ أَقْطَبُ وأُعْبَسُ وأتأفأف لمجرد فكرة أنني أشبهه.

الآن حين أتأمّل ذلك أرى أنك أنت أيضاً كنتِ تحبّين العناق مع من تحبينهم. مع والدكِ وإخوتكِ ووالدتك. كنتم تتحاضنون وتضمّون بعضكم البعض إلى حدٍّ أشعّرني بالحرج.

يبدو الرجل الذي في الراديو كأنّه لا يعرف الحدود، فهو يتكلّم عن الانتصاب والمنّي والمذنيّ. أكاد لا أفهم نصف الكلام ومع ذلك أستحي. لماذا يجب أن يتكلّموا كثيراً عن كلّ شيء؟

أمرّزُ يدي على الشرشف المغسول حديثاً؛ يوهانّا هي من ربّ السرير اليوم وبدّل الشرشف. تعبث أصابعي بزاوية ملاءة اللحفِ رملية اللون وأحاول تذكّر آخر مرة نمنا فيها مع بعضنا البعض. لقد انحسر ذلك الأمر ببطءٍ ليغدو أمراً آخر. تذكّرتُ أنني فكّرتُ في ذلك عندئذٍ ولكنني لم أقل شيئاً. إذ ما الذي كان بوسعي أن أقوله؟ ما كنّا قادرين على أن نفعل مثلما كنّا نفعل سابقاً.

لا أتذكّر حتى آخر مرة احتضنتكِ فيها. بدلاً من ذلك وَشَمَتُ

ذكرالكِ، وأنتِ تُعارِكينَ وتدفعينَ، نفسَها في الذاكرة. عناقُ تحوّل بسرعةٍ
إلى نظرةٍ منكِ ملؤها الرعب، لتصرخي بعدها: «ماذا تفعل؟» وتدفعيني
بعيداً عنكِ.

كأنني كنتُ غريباً آذاك. كأننا ما عشنا معاً ما يقارب الستين عاماً.
«أفتقد ذلك»، قال تورة مرةً حين كنا لا نزال قادرينَ على الجلوس
داخلَ متنزّه المسيح نتفرّج على الناس ونأكل المثلّجات. كان أحياناً يومئ
إيحاء خفيفاً لرجالٍ أعجبه. حتّى يُريني، على ما أظن.

أضع يدي على ذكري. إنّه لَيَنْ ولا حراك به. لم يعد هناك ما يحدث
عندما ألمسه ولا يهمني ذلك في شيء. أنقلب على سرير المقاطعة. أستقرّ
على جانبي. أحاول وضع ساقٍ على الأخرى فأنقلب إلى الجانب الآخر
بسرعة. لا تعرف ساقي كيف تمتدّانِ أمّا يدي اليسرى فكأثما زائدة عن
الحاجة.

إنّه موجودٌ، طوال الوقت. الخواء الصامت بعد سيكستن. «لا شيء»
ضاعف الخواء الذي خلّفته وراءك. إنه أمرٌ غريبٌ، ولكنني عندما أخذ
هانس سيكستن صرْتُ أفتقدك أكثر. كأنّه أخذكِ أنتِ.

تتوق أذناي إلى نقرِ المخالبِ على الأرضية وإلى صوتِ الثناؤب.
تبحث عن صوتِ إبرِ الحياكة التي تتضاربُ وأنتِ تحوكين. لكنني لا
أسمع سوى الثلاجة التي تترّز والساعة التي تتكّ.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الساعة الخامسة والربع مساءً

بو في سريرته دون أن يلمس الطعام. أسخنه ثانيةً وأعدّ الشاي. أقدم الشوكولاتة. يبدو أن طاقته منخفضة ولا يريد الاستحمام حتى الآن.

/ إنجريد

أرفض أن أنظرُ إلى هانس. أثبتُّ نظرتي على حاشية السقف وأنظرُ خروجه. ما الذي كان يظنه؟ أنَّ الأمور ستسير كما كانت تسير دوماً؟ أنَّ فِعَلته الشيطانية ستنتهي إلى النسيان؟

لقد تَرَدَّدَ إلى هنا أكثرَ مما كان معتاداً أن يفعل قبل أخذه لسيكستن. جاء وملاً الثلاجةَ والمجمدةَ بالمزيد من الطعام. قال أنه آسفٌ كُلَّ مَرَّة. لا أعبأ به، وأحاولُ أن أحتمي من تعويذته المُقْرِفة المَجْعِعة عن أنه نقل سيكستن من أجلي.

«أرجوك، هل ستكرهني لما تبقى من العمر أم ماذا؟» يقول وهو يمسك بعصدي الأيمن.

أنزع ذراعي من يده وأستعمل السلاح الوحيد الذي بقي بحوزتي. صمتي.

يتحسّر وينهض. يذهب بكيس الطعام نحو الثلاجة ويضع فيها علبةً أخرى من مربّى لحم العجل رغم أنني لم أبدأ بتناول آخر علبةٍ منها جاء بها مؤخراً.

«لقد تكلمتُ على آيةِ حالٍ مع آنّ-كاترين ليلة أمس وسيكستن بكلّ خير. أرادت مني أن أطمئنك إلى أنهم يأخذونه في نزهاةٍ طويلة يومياً»، يقول ويغلق باب الشّلاجة.

أحاول جاهداً أن أرقد بقدر ما أستطيع من السّكون. أتتبع حاشية السّقف بنظري، صعوداً حتّى الزاوية ثمّ نزولاً حتّى نافذة المطبخ. ذهاباً وإياباً.

يتحسّر هانس.

«آجلاً أو عاجلاً سيتوجّب عليك أن تُكلّمني، يا بابا».

ذهاباً وإياباً أسرح بنظري. زاماً شفّتي.

«حسناً، إذن فسوف أغادر في هذه الحال» يقول ويتمهّل باقياً عند باب الشّرفة.

ولكنّه بدلاً من الذهاب يدخل إلى المطبخ ويتقدّم نحو نار الموقد. يلتقط قطعةَ حطب ويضعها على النار وواحدةً أخرى بعدها. لا أستطيع منع نفسي من اختلاس النظر إليه. لم أنظر إليه لأيام، ربّما لأسابيع.

يجلس القرفصاء أمام النّار، يستندُ إلى قطعة حطبٍ على الأرض كي يحافظ على توازنه. أفلتَ القميصُ بعض الشيء عند عَجْزِه. أفتح فمي لكي أقول شيئاً لكنني أُمْنَع نفسي. لا أفلحُ في ابتلاعِ غضبي.

وإذا به يلوي رأسه نحوي بسرعةٍ فأحاول بأسرع ما أستطيع تثبيت نظري على حاشية السقف ثانية. يُطلِقُ حَسْرَةً.

ينهض ويسيرُ خارجاً إلى الشّرفة ثانية. أشعر بنظرتِه تُحرقني فأضطرّ إلى الإغماض حتّى أُمْنَع نفسي من ليّ عنقي والنظر إليه.

«سأتي في عطلة نهاية الأسبوع ثانيةً، يوم السبت على الأرجح»،
يقول. «اليوم هو الخميس».

يسحب سحاب جاكيتته ويضع يده على مقبض الباب. تماماً وهو
يغلُق الباب برفقٍ أكثرَ من المعتاد، تزدحم الدموع كي تنهمر.

الثلاثاء ٢٢ أغسطس

أُحَدِّقُ فِي صَحْنِ الطَّعَامِ الْمَوْضُوعِ عَلَى طَاوِلَةِ السَّرِيرِ. بَدَأْتُ حَوَافَّ
البَطَاطَا الْمَهْرُوسَةِ بِالتَّيِّسِ. أَمَضْتُ يَوْهَانَا وَقَتًا طَوِيلًا فِي الْجُلُوسِ
وَالْإِلْحَاحِ بِمُخْتَلَفِ الْمَحَاوَلَاتِ، يَمِينًا وَيسَارًا، لِإِقْنَاعِي. أَنَّ سِيكِسْتِنَ
لَنْ يَأْتِيَ لِمَجَرَّدِ أَنْيِ أَعَانِدَ. أَنَّ لَا شَيْءَ سَيَتَحَسَّنُ لَأَنْيِ أَرْفُضَ الْأَكْلَ.

وَلَكِنْ مَا لَا تَفْهَمُهُ هُوَ أَنَّ الرِّفْضَ هُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدَ الَّذِي بِمُسْتَطَاعِي.
أَشْرَبُ بَضْعَ رَشْفَاتٍ مَاءٍ مِنَ الْكَأْسِ الَّتِي قَدَّمَتْهَا يَوْهَانَا. تَرْتَعْشُ
يَدِي وَيَصْدُرُ صَوْتُ رَنِينٍ عِنْدَمَا أَضَعُ الْكَأْسَ عَلَى الصَّيْنِيَّةِ.

لَا يَهَمُّ مَا تَقُولُهُ يَوْهَانَا أَوْ سِوَاهَا. سَأُوَاصِلُ الرِّفْضَ. لَأَنْيِ أَعْرِفُ أَنَّ
ذَلِكَ يُوَثِّرُ فِي هَانَسِ. وَأَنَا أَرَى بِالْفِعْلِ جَمِيعَ مَحَاوَلَاتِهِ حَتَّى يَنَالَ عَفْوِي.
وَاللَّعْنَةُ إِنْ كُنْتُ سَأَرْضُخُ.

تَبَكَ السَّاعَةُ خَلْفَ ظَهْرِي حَيْثُ أَجْلِسُ عَلَى السَّرِيرِ. أَشْعُرُ بِالْخَوَاءِ
الَّذِي خَلْفَهُ سِيكِسْتِنَ وَكَأَنَّهُ صَدَى صَارُخٍ حَوْلِي. الشَّيْءُ الْوَحِيدَ الَّذِي
يَسْتَلْبُ فِكْرِي هُوَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَا.

يَمُرُّ جَرَّارٌ عَلَى طَرِيقِ الْبَلَدَةِ فِي الْخَارِجِ فَيَكْسِرُ التَّكْتَكَةَ لَوْهَلَةٍ. تَسْعَى

نظرتي إلى نافذة المطبخ. يُضيءُ نورُ أغسطس الغبارَ ولا أفهم كيف صرْتُ
إلى هذه الحال. كيف استطعنا الحصولَ على ابنٍ يؤذيني إلى هذا الحد؟ ابن
يُصعَّبُ كلُّ شيء؟

يتلاشى صوت المُحرِّكِ بعيداً ببطءٍ وتعود التكتكة. بطني يُقرِّر.
أَتَطَّلُعُ إلى منضدة المطبخ فأرى أنَّ هناك ثُمالة قهوة متبقيةً في آلة تحضير
القهوة. أنهض ولكنني أضطرُّ إلى الجلوس ثانية.

«اللعة إن كانت هذه حقيقة»، أغمغمُ وأقوم بمحاولةٍ جديدة.

أقفُ ساكناً لِلحظاتٍ وأدعُ الدُّوارَ يهدأ.

القهوة باردة فأكُبُّها في مغسلة الصحون وأسير نحو الثلاجة عوضاً
عن ذلك. أقفُ هنيهةً وأعاينُ وجباتي التي لم تُلَمَسْ من طعام هذه الأيام
الآخرة.

فإذا بي ألح شالانول^(١) إنجريد المُقطَّعة إلى قطعٍ صغيرة، ممزوجةً
بالكثير من الصلصة البنية والبطاطا. معدتي تُعتَصِر.

«هذا مما زاد من عشاء البارحة»، قالت إنجريد قبل يومين وهي
تضع الصحنَ أمامي.

بَرَدٌ حَرَكْتُ الطعامَ قليلاً بالشوكة.

(١) شالانول (Tjälaknul/tjälknöl) أو «كُتْلَةُ الجليد»: أكلتُ ظهرت صدفةً في ريف
الشمال السويدي نهاية سبعينيات القرن العشرين لتصبح من الأكلات الشعبية
المفضلة، خصوصاً في مقاطعة يمتلاند. وهي عبارة عن قطعة لحم أيلٍ مجمدة تُشوى
دون ملح أو بهار على نارٍ خفيفةٍ لمدة طويلة (١٥-١٧ ساعة) ثم توضع في علبةٍ مليئةٍ
بالماء المخلوط بالملح والبهار، يُحكَّمُ إغلاقُها وتوضع في الثلاجة لمدة خمس ساعات
حتى يكتسب اللحم الطعم المطلوب. ثُمَّ تُقدَّمُ باردةً ومقطَّعةً بهيئة شرائح خفيفة.

«أضمن لك أن هانس ليس له أيُّ دَخلٍ به»، قالت وذهبت لتأتي بكأسٍ من الحليب. «فأنا من قمتُ بعمله بنفسِي».

أضع الصحنَ في المايكروويث وأبحث عن شوكة.

بينما أنا أنتظر، أمدُّ بصري عبر النافذة وأدعه يجوب فوق ستورشون وصولاً إلى أورسكوتان^(١) العاري. كان من عادة هانس وإلينور أن يذهبا للتزلج على سفحه عندما كانت أصغر. أمّا أنا فلم أذهب إليه سوى مرّة أو مرّتين، فما أكثر الضوضاء والعبث هناك.

وإذا بي أرى شوتّة يركض على طول الطريق. خلفه بمسافةٍ يأتي أنتا وبعدهما بمدةٍ يظهر لارا، حاملاً عصاً بيده.

لقد جاء إلى هنا عدّة مرّات. ولكنّ الأمر لم يكن كما اعتدتُ أن يكون. لا يمكن لأحدٍ أن يملأ الفراغ الذي خلفه سيكستن. يمضي الأمرُ من سَيِّئٍ إلى أسوأ على نحوٍ ما.

أقرب من نافذة المطبخ حتى أرى ما إذا كان الصّبيّان سينعطفان إلى مدخل بيتي. لكنّهما عوضاً عن ذلك ينعطفان يميناً نازلين نحو الأرض السّبخة.

يرنّ الميكرووثة عاليةً أجفل بسببها.

يجب أن أجلس قليلاً حتّى يهدأ نبضي. مجرد إعداد الطعام يجعلني ألهث.

(١) أورسكوتان (Åreskutan): من أبرز وأشهر جبال المنطقة، ويُعتبر بسفحه الكبير قبلةً للمتزلّجين على مدار العام.

أزدرّد بقايا طعام إنجريد بسرعة. ذكّرْتُني الصلصة بصلصتك، ربّما
تضع إنجريد مربّى التوت فيها كما اعتدت أن تفعل. أقشط آخر ما في
الصّحن وأنوي الحرص على غسل الصحن وتنشيفه كما ينبغي. لكنني
أحس بجسدي يغدو ثقيلاً وعديم الطاقة فأترك كلّ شيء في مغسلة
الصحنون مؤقتاً.

بعد ذلك أجلس على سرير المقاطعة ثانية وأمسح فمي. أشعر في
الواقع ببعض التحسّن.

ولكنّ الشكّ يعودُ ثانية حين أضع رأسي على الوسادة. دون سابق
إنذار يتبدّل الغضب إلى شيء آخر يمزّق صدري. ما الذي فعلته كي
تصبح الحال هكذا؟ لو أنّك هنا فلربّما كان بإمكانك أن تشرحي لي.
كانت قدرتك على هذه الأمور تفوق قدرتي بكثير.

أمدّ يدي إلى الجرة التي تحتوي شالك. لا أحاول حتّى فتحها بل
أتركها فقط تستقرّ إلى جانبي حيث اعتاد سيكستن أن يستلقي.

الساعة الخامسة وعشر دقائق مساءً

بو نائم حين أصل. الغداء الموضوع على الطاولة لم يُمسّ. أحاول معه بأقراص اللحم المقلية، ولكن دون جدوى. ولا حتى الشوكولاتة الساخنة مع القشطة. بو يرفض الاستحمام.

/ يوهانّا

الثلاثاء ٢٩ أغسطس

في الساعة العاشرة وخمس دقائق أتصل بتورة. أحرص على أن لا أتصل أبكر من اللزوم لأنه عندئذ لن يجد الوقت الكافي لإعداد قهوته. تعبت أصابعي بقصاصة الورق أمامي بينما يرنّ الهاتف لديه. لقد كتبت أنني سأسأله عن رأيه في كثرة تحدّث شباب هذه الأيام بالإنجليزية. لا أعرف متى كتبت ذلك لكنني رأيته أمراً يستحق الاهتمام حين قرأته صباح اليوم.

ينجذب نظري نحو المكان الفارغ على الأرضية بجانب منضدة المطبخ. حيث اعتاد سيكستن أن يستلقي كلما شعر بالحرّ وأراد أن يبرد قليلاً.

يرنّ الهاتف وتورة لا يجيب.

أغلق الخط. أتذكّر طالب التبادل الدراسي الذي جاء رفقة إيلينور في إحدى زياراتها. كان من كندا ولم أفهم الكثير من كلامه لكنّ إيلينور ترجمت لي. كنتُ منبهراً، فقد بدتُ مثل أستاذ متخصص في اللغة الإنجليزية.

أضغط على الزر الأخضر وتورة ثانية. لا ردّ هذه المرة كذلك. أُلقي القصاصة وأتصل للمرة الثالثة. لا شيء سوى صدى الرنين. أُجربُ ثانية ولكن دون ردّ.

أقرّر أن أذهب إلى التواليت وأن أحاول بعد ذلك مرة أخرى. أسير متعثراً عبر غرفة المعيشة في طريقي إلى الحمام وتهاجمني الوسوس عما يمكن أن يكون قد حدث.

أُنزل البنطال الرياضيّ والسُرّوال الداخليّ وأجلس ببطءٍ على مقعد التواليت. سأكفّ عن السُّخف الآن، فلا بد أن تورة قد أفلت كوب القهوة وهو الآن يحاول مسحها فقط. أو ربّما يكون قد نسي إخراج المازارين من المجمّدة، وكان يُسخّنها في الميكرو ففاتة أن الهاتف يرنّ.

أنهض وأرفع البنطال. أديرُ رأس الحنفيّة وأدسُ أصابعي المتصلّبة تحت دفع الماء وأتساءل متى غسل تورة يديه آخر مرّة. أهدق بِتحدّ في عينيّ صورتي في المرآة وأحاولُ نفض الوسوس عني. لم أفعل مثل هذا سابقاً، لم أقضِ وقتي في التّحسّب من الأمور أو القلق على الأشياء. لكنّ كلّ جزءٍ في حياتي صار هشّاً. أشعر فجأةً بحنانٍ تجاه الرّجل الذي في المرآة. ليس من السّهل إطلاقاً أن تكون إنساناً.

حين أعود إلى المطبخ تكون السّاعة قد بلغت العاشرة والثلاث. أجلس على السرير وألتقط الهاتف وأتصل ثانية. أفتحُ مُكبّر الصوت وأضع النّقّال على الطاولة، تاركاً الرّنين مسموعاً.

الشعور بالانقباض في جسدي يزداد قوّة.

أضغط على زرّ السّاعة الحمراء وأبقى جالساً والهاتف في يدي

مُدَّة. أدرك أنَّ عليَّ الاتِّصالَ بهانس. لم أَكَلِّمُهُ منذَ اليوم الذي أخذ فيه سيكستن.

تبدأ الأصابع بالاهتزاز فيصعب عليَّ أن أُصِيبَ الأزرارَ الصحيحة. ثمَّ أدخل خطأً على دليل الهاتف بدلاً من آخر الأرقام التي تم الاتصال بها. أضغط على زر الإرجاع. كان هانس قد قال لي أنَّ كُلَّ ما أحتاج أن أفعله هو الضغط على السَّماعة الخضراء ثمَّ على السَّهم النازل حتى يظهر اسمه بالخطِّ السَّميك.

يرنُّ الهاتف لِما يبدو لي دهرًا. أتخيّل تورة مُمدِّداً على الأرض وقد فارق الحياة.

«مرحباً بابا!» يُجيبُ هانس فَرِحاً. أفقد تركيزي. «هالو، أما زلتَ هُناك؟»

«أنا هنا»، أقول والقلب يخفقُ أعنفَ. «لا أستطيع الاتِّصالَ بتورة». لنا أن نتكلَّم عن سيكستن في مرةٍ أخرى.

«كيف؟ ألا يَرُدُّ على الهاتف أم ماذا؟» يسألني هانس.

«لقد اتَّصلتُ مرَّاتٍ عديدةً»، أقولُ وصوتي يحشرج. «إنَّه يردّ دائماً آخرَ الأمر».

يضع هانس يده على السَّماعة ويقول شيئاً ما لشخصٍ ما. أتضايق. بحق الشيطان كيف حصلنا على ابنٍ لا يستطيع رؤية الخطورة حين تحدث حالة ما؟

«هالو؟»، أقول بعصبية.

«آسف، أنا في اجتماع». يبدو على صوته التوتّر. «لتورة أيضاً خدمة رعاية منزلية، أليس كذلك؟ لذلك إذا ما أُصيب بمكروه أو آذى نفسه، فسوف يساعدونه. ولكنني سأحاول الوصول إليه وسأتصل بك في أسرع وقت ممكن».

آذى نفسه. هذا صحيح. ربّما لا يكون أسوأ ما يمكن حدوثه هو ما حدث، أحاول أن أقنع نفسي.

ربّما يكون قد وَقَعَ فقط فكسّر أحد عظامه. إن كان الأمر كذلك فسأحرص على أن يوصلني هانس إلى المستشفى لأَعُوّده.

«بابا، هل ترى ذلك كافياً؟»

«ذلك كافٍ»، أقول.

يصمت هانس على الجانب الآخر من الخط.

«أحسنّت باتّصالك»، يقول بعد حين. «سأتصل بك لاحقاً إذن».

«أوكي»، أقول ثم أغمغم: «شكراً».

أضغط لأغلق النّقَال قبل أن يجد هانس الوقت ليقول المزيد.

رغم أنني كنتُ مُرغماً على الاتّصال بهانس، فإنّني أشعر بأنّني أخفُّ حملاً مما كنتُ عليه قبل المُكالمة. أكثرُ أملاً.

أنهض لأجلب شيئاً آكله وأفكّر بأنّني سأخذ معي علبتين من المازارين عندما أزور تورة.

الساعة الواحدة إلّا ربعاً بعد الظهر

أقلي بالزُبدة قليلاً من السلمون المُرَقَّط الذي جلبته معي. بو قلق على تورة، يسألني عدة مرات عما إذا كان هانس قد اتّصل، لكنّه لم يتّصل بي. لا يريد بو الاستحمام.

/ إنجريد

يجلس هانس على أحد كراسي المطبخ على مسافةٍ من سريري. جاء مباشرةً بعد العمل. حتى هو لم يستطع الوصول إلى تورة. حاول الاتصال مرّاتٍ عديدة. في النهاية ذهب إلى بيته وطرق الباب ولكنّ أحداً لم يفتح. ثم استطاع الوصول إلى خَفَرِ موظفي الرّعاية المنزلية المسؤولين عن تورة، ولكنهم رفضوا الإفصاح عن شيءٍ لأنّه ليس من أقربائه، ولذلك فهو الآن يتّصل بالمستشفى.

يُقَرِّب هانس نَقَالَه من أُذُنِه. يرِنّ الهاتف. نظرة ابننا المُركَّزَةُ مُشرقة. أنا ممتنٌّ لأنّه موجودٌ هنا في هذه اللحظة.

يُجِيبُ أحدهم من الطرف الآخر ولكنني لا أستطيع تمييز ما يقولون. يُقَطِّبُ هانس حاجبيّه. يعيد توضيح غرضه من الاتصال لكنّ جوابَ موظف المستشفى لا يُرضيه على ما يبدو.

يعبث بشحمة أُذُنِه. اعتدنا أن نضحك عليه حين كان يجلس ويقرأ في طفولته. كان يستغرق في الحكاية إلى حدّ أنّه لا يلاحظنا. جالساً على الأريكة غارقاً إلى ذقنه في الكتاب وإحدى يديه تجرُّ أُذُنَه بمنهجية.

أغمض عيني وأجد نفسي أصلي. كي يعطونا معلوماتٍ ما، رغم
أننا لسنا شريكين في الدم، تورة وأنا. كي نخبرونا ما الذي حدث.
تبحث يدي عن سيكستن، أريد أن أشعر بفرائه بين أصابعي.
أجفل عندما يرفع هانس صوته.

«ولكن ألا تسمعين ما أقول؟ ليس له أحدٌ آخر سوى والدي.
والدي الذي يكاد يجنّ من شدة القلق».

أكادُ أُجنُّ من شدة القلق؟ لم أعتقدُ أن ذلك كان بادياً عليّ. يومئ
هانس ويحوّل الهاتف إلى الأذن الأخرى.

«نعم، أنا منتظر»، يقول وأظنُّ أنني ألح ابتسامةً صغيرةً على طرف
فمه.

أشعر بالفخر لأنّ عندي ابناً قديراً وعنيداً مثله يبذل قصارى جهده
من أجل والده. لو كنتِ هنا لَشَعَرْتُ أيضاً بالفخر.

ولكنّ ذلك لا يُجدي نفعاً. فنظرتّه، وهو يكبّتُ مشاعره ليقول
للشخص الذي على الهاتف أنّه يفهم، كَشَفْتُ أنّ تورة لن يردّ على الهاتف
أبداً حين أتصل.

لا أستطيع كَفَكَفَتَهَا. الدموع تجري بصمتٍ وأنا أنظر إلى هانس كأنّ
ذلك سيفرق في شيء. كأنّ بإمكانه أن يساعدني.

الآن لم أعد أريد المزيد.

«أنا آسف»، يقول ويضع يده على ذراعي. وظاهرٌ عليه أنّه يعني
ذلك فعلاً.

الساعة الثامنة وخمس وثلاثون دقيقة مساءً

اتّصل هانس بالمكتب ليبلغ عن أنّ تورة صديق بو قد رحل عن
الدنيا. بو كئيب وقليل الكلام. أحضّر شايّاً مع كثيرٍ من السّكر.
/ يوهانّا

الأربعاء ٦ سبتمبر

الساعة السابعة وخمس وأربعون دقيقة صباحاً

بو في السرير، يغفو ويُففق. كسير الخاطر. يريد أن أكتب أن ليس
لديه ما يقوله عندما أسأله عن الحال. أعطيه الدواء، وأضع العصيدة
والشاي على الطاولة.

/ إنجريد

أَتَصَفَّحُ المَجَلَّةَ المَحَلِّيَّةَ الَّتِي تَرَكْتُهَا إِنجَرِيدَ عَلَى طَاوِلَةِ السَّرِيرِ صَبَاحَ الْيَوْمِ. تَمْتَدُّ صُورَةُ صَبِيٍّ، لَا يَتَجَاوَزُ عَشَرَ سَنَوَاتٍ، عَلَى امْتِدَادِ صَفْحَتَيَّ مَنْتَصِفِهَا. تَوَطَّرَ وَجْهُهُ الْجَادَّ خُصُلَاتٌ شُقُرٌ مُجَعَّدَةٌ. بَيْنَمَا تُحَدِّقُ الْعَيْنَانِ الزَّرْقَاوَانِ فِي عَيْنِ الْكَامِيرَا. أَصْعَدَ قَلِيلًا فِي سَرِيرِي وَأَمَدَّ يَدِي نَحْوَ الْعَدْسَةِ الْمَكْبَرَةِ، فَبَدَوْنَهَا لَا أَرَى سِوَى الْعَنَاوِينِ. يَدَّعِي الصَّبِيُّ أَنَّهُ رَأَى وَحْشَ سَتُورْشُونِ. يَظْهَرُ فِي الصُّورَةِ فَخُورًا مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ وَيَغْلُبُ التَّرْكِيزَ عَلَى تَعَابِيرِ وَجْهِهِ.

«إِه، nonsense»^(١)، إِنَّهُ مَوْجُودٌ بِالتَّأَكِيدِ»، قَالَ تَوْرَةَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ذَكَرْتُ فِيهَا أَنَّ مَا يَخْصُ ذَلِكَ الْوَحْشَ قَدْ يَكُونُ خِرَافَةٌ. «وَالَا فَكَيْفَ يَشْهَدُ النَّاسُ بِرُؤْيَيْهِ عَلَى مَدَى عِدَّةِ مِائَاتٍ مِنَ السَّنِينِ؟»

حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةَ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ يَمْزِحُ حِينَ عَلَّقَ عَلَى رُؤْيَى مَوْجَةٍ وَحِيدَةٍ فِي وَسْطِ الْبَحِيرَةِ بِأَنَّ الْوَحْشَ هُوَ حَتْمًا مَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ السُّطْحِ.

(١) nonsense: هُراء، كلام فارغ. إنجليزية.

يروى الصَّبِيُّ في المَجَلَّةِ لصاحب التَّحْقِيقِ أَنَّ من عَادَتِهِ النَّزُولَ
إِلَى الشَّاطِئِ فِي عُطْلٍ نِهَآةِ الْأَسْبُوعِ وَتَأْمُلُ الْبَحْصَ عِنْدَ حَآفَةِ الشَّاطِئِ.
وَأَحْيَانًا يُمْكِنُهُ أَنْ يَرَى كَيْفَ أَنَّ وَحْشَ الْبَحِيرَةِ كَانَ قَدْ أَبْرَزَ رَأْسَهُ أَثْنَاءَ
الْإِلِيلِ وَتَرَكَّ عَلَامَاتٍ عَلَى الشَّاطِئِ.

أَصْفَقَ الْمَجَلَّةُ بِسُرْعَةٍ. لَا أُرِيدُ التَّذَكُّرَ، لَا أُرِيدُ التَّفَكِيرَ بِتَوْرَةٍ. لَا أُرِيدُ
التَّفَكِيرَ فِي أَنِّي لَنْ أَسْتَطِيعَ أَبَدًا أَنْ أَلْكَمَهُ لَكِمَةً خَفِيفَةً عَلَى ذِرَاعِهِ لِأَقُولَ:
«أَرَأَيْتَ وَحْشًا الْيَوْمَ؟»

أَقْبَضُ قَبْضَةً مُحْكَمَةً عَلَى الْمَجَلَّةِ وَأَحَاوَلْتُ تَمْزِيقَهَا لَكِنْ غَلَا فَا الْمَجَلَّةُ
أَكْثَرَ سُمْكًا وَأَصَابِعِي أَشَدُّ تَصَلُّبًا مِنْ أَنْ أَتِمَّكَنَ مِنْ ذَلِكَ. أَرْمَيْهَا فَوْقَ
الطَّائِلَةِ إِلَى الْأَرْضِ لَكِنَّهَا تَعَلَّقَتْ بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ بِكُرْسِيِّ الْمَطْبَخِ لِتُظَلَّ
مُتَدَلِّيةً مِنْهُ.

الساعة الواحدة وعشر دقائق بعد الظهر

مزاج بو أفضل. يقول أنّ القسيّسة كانت هنا. أجلس للدردشة قليلاً. أُعدّ جراتان السمك. أذكّر بالنفخ في الزجاجاة.
/ كالة

أنظرُ إلى المرأة الضخمة الجالسة على الكرسيّ. ترتدي القميص
الأسود التقليديّ ذا الياقة البيضاء. شعرها البنيّ مرفوعٌ على شكل ذيل
حصان ونظّارتها ضاغطةٌ على صدغيها.

حين جثوتُ على رُكبتي سألَني عمّا إذا كان لديّ إيمانٌ بالرّب
فارتبكتُ. ظننتُ أنّك ربّما لن تريدني إن أجبتُك بصدق. ولكنني لم
أتمكن من أن أكذب، ليس ونحن على وشك الدخول معاً في اتّحادٍ مدى
الحياة. لذا، وبوجهٍ حاولتُ قدر استطاعتي أن يكون جاداً التعبير، قلتُ
لك الحقيقة.

«كلاً، ليس عندي أيّ إيمانٍ بالرّب ولكنني أحترم الناس الذين
لديهم ذلك».

تفحّصتني ولكنك لم تقولي شيئاً. جلست صامتةً فقط.
«أقول نعم مع ذلك»، قلت بعد دقائق عديدة فاعتقدتُ أنني كنتُ
سأنفجر في داخلي. لم أستطع الكفّ عن الابتسام.
«ذهبْتُ إلى فريدريكا الأسبوع الماضي»، تقول القسيّسة. «إلى
برونكو لا جوردن».

أومئى وأسعد بذلك رغم أنني أعرف أنك طبعاً لم تتعرّفي عليها.
كنت تحبينها. قلت أنها تفعل الكثير للشباب في الأبرشية.
«من المؤسف أن يرى المرء إنساناً عزيزاً عليه وقد تغيّر إلى هذا الحد»،
تواصل كلامها.

أومئى ثانيةً. يا ترى هل في عائلتها أحد صار مخبواً مثلك؟
ليست هذه المرة الأولى التي تأتي فيها إلى هنا، القسيّسة التي كنت
تلتقين بها كل أسبوع لسنواتٍ عديدة، فقد كانت تمرّ بنا قبل وبعد
انتقالك. لكنّها لم تأت منذ مدّة طويلة.

أحاول أن أجد شيئاً أقوله، ولكنني لا أجد الكلمات الصحيحة.
أطرق ببصري إلى يدي. أرى الحديث عنك أمراً صعباً. ما الذي يمكن
قوله؟ حين بدأ موظفو الرعاية يأتون، أصرّ بعضهم على السؤال والحديث
عنك طوال الوقت، وقالوا أنّه أمرٌ متعبٌ حتماً أن تكوني مريضةً ولم
أعرف أبداً بماذا أجيبهم عدا قول نعم. كنتُ أرى الوضع يغدو غريباً
وأتمنى مغادرتهم. أردتُ عندئذٍ أن أظلّ وحدي.

ولكنّ شيئاً داخلي يشعر بالراحة لوجود القسيّسة هنا. يكفي
أنّها تكلفت عناء الذهاب إلى المدينة كي تشتري زهرةً لتهدّيها لي عند
مجيئها.

كانت والدتي أيضاً امرأةً ملتزمةً بالكنيسة. إنّها ليس بتلك الطريقة
الإجباريّة. بالنسبة لها كان ما يتعلّق بالدين شيئاً كالهواء الذي نتنّفسه.
كان على نحوٍ ما شيئاً لا يحتاج التفكير بشأنه.

أديرُ بتأنٍ إبهاميّ المتورّمين حول بعضهما البعض متسائلاً مع نفسي

لماذا لم يعرف الإيمانُ بالرَّبِّ طريقَهُ إلى قلبي. ولا حتَّى عندما كنتُ أرافُقُ والدي إلى الكنيسةِ في صغري. على الرغم من أنني أحببتُ ذلك. في الشتاءِ كانت تُلْفَنِي بالأُعطيةِ في الزّلاجة صباح يوم الأحد ونركبُ مُنَحْدَرَيْنِ بسرعةٍ على طريق البلدة باتجاه الشارع الكبير. كانت تأخذ مكاناً في آخر صفوف الكنيسة وكنتُ أجلسُ لِصَقْهَا على المصطبة وكم تركتني أغفو متكئاً على جنبها.

لذلك فأنا لا أمقُتُ الكنيسةَ مثلما فعلَ تورة. رُبَّما لأنك ووالدي كنتما مؤمنَينِ وفاعلتَينِ في الأبرشيّة، أقولُ لنفسي الآن والقسيّسة أمامي. ولكنني كذلك أرى أن هناك شيئاً دافئاً وإنسانياً في ما يتعلّق بالكنيسة. رغم أننا تحدّثنا عن ذلك مرّاتٍ عديدة، فإنني لا أعتقد يقيناً أبداً أن تورة فهمَ أن بإمكانني أن أرى ذلك.

«هناك دماءٌ تُلَطَّخُ أيديهم»، قال غاضباً مرّةً عندما رأيتُ وأنتِ ببالي أنّه قد أخطأ بترك الكنيسة.

«دماء، دماء، نعم»، قلتُ. «ألم يفعلوا الكثير من الخير كذلك؟»

غَمَغَمَ شيئاً غير مسموعٍ ولم أفهم لماذا كان يشعر بكل ذلك الغيظ حيال ذلك. أمرٌ دراميٌّ للغاية.

نادراً ما رافقتُكِ إلى الكنيسة لكنّ ذلك كان يحدث أحياناً. عند أعياد الميلاد أو الفصح. كنت أرتدي القميص الذي كنت تحبين وأسرح شعري إلى الوراء، وكان يروقني أن أجلس وأنظر إليك وأنتِ تُعدّين القهوة مع النساء الأخريات. كنت تعرفين زوايا مطبخ دار الأبرشيّة مثلما تعرفين زوايا مطبخنا.

أظنُّ أنني كنتُ أصحبك إلى هناك حين كان الأمر يلائمني. وكذلك
كان الأمر مع العجوز.

«أصغِ إلى والدتك»، كان يقول عندما تشرع والدتي بتلاوة صلاة
المساء معي.

أما هو فلم يفعل ذلك أبداً.

ترتشف القسيّسة بعض القهوة بينما أفكّر في أنّك ووالدتي ربما كنتم
على حق. أنّكما فهمتما شيئاً فاتني منذ البدء.

«كم عاماً مضى وأنتم متزوجان؟» تسألني القسيّسة برفق.

«إثنان وستون عاماً، تمت في الربيع الفائت»، أُجيب وفي رأسي تظهر
صورة لكِ وأنتِ في فستان زفافٍ أختكِ الكبرى، الذي اضطررتِ إلى
أن تروفي حاشيته لأنكِ أقصر منها بكثير.

ترفع القسيّسة حاجبيها وتمد يدها طلباً لقطعة شوكولاتة تختفي
في فمها فوراً. ترفع نظارتها إلى أعلى أنفها ثم تدع يديها تستريحان حول
كوب القهوة الذي في حِجرها. تبتسم فلا حظ غمازتيها، وذلك ما لم
أفكّر فيه من قبل. كم تليقان بها.

«لكنّ مرضها بالطّبع لا يجعل الأمور أسهل»، تقول بعد حين بنبرة
جادة فيسعدني أنّها صريحة.

إنّها تُذكّرني بإنجريد، ليس هناك الكثير من البهجة.

أخذُ رشفةً من الشاي والقسيّسة تُديرُ إصيص الزهرة التي جلبتها
معهما. كنتِ ستعرفين اسمها بالتأكيد، ومن أيّ نوع هي، أما بالنسبة لي
فهي مجرد زهرة حمراء في إصيص.

«أخذت معي واحدةً مثلها لفريديكا»، تقول وتومئ إليها. «بدا أنها أعجبتها».

أبتسم ابتساماً خفيفاً للقسيصة. نجلس صامتَيْن قليلاً، وشعورٌ بالارتياح يحيط جلستنا، بينما النار التي أوقدتها إنجريد قُبيل الظَّهر تفرق في الخلفيّة.

كان من عادتنا أن نجلس هكذا وننسى نفسينا ونحن نتطلع إلى النار. كنا نشبه بعضنا بعضاً بهذه الصفة، لم نشعر أبداً أننا في بيتنا فعلاً دون نار الموقد. كان يمكن أن يمرَّ عصرٌ يومٍ ما بأكمله دون أن ننتبه. وربما يكون الراديو شغلاً عندئذٍ، وفي يديكِ حتماً ما يلهيهما.

«غريبٌ أمر الزمن»، أقول بعد فترة.

تُقابل نظرتي دون أن تقول شيئاً.

«أحياناً يمرُّ ببطء ودونَ أن ندري..»، أحرّك يدي بأقصى ما أستطيع من سرعةٍ في الهواء حتّى أُبينَ كيف أنّ عشرين سنةً من حياتي مرّت هكذا.

«لم نكن نفكرُ بذلك في صغرنا»، تقول القسيصة. «كنا نفعل الأشياء وحسب، أليس كذلك؟»

أوافقها. إحدى أبكر ذكرياتي هي تلك التي كنت فيها مع والدتي نقطف البنجر. لا أظنني كنت تجاوزت الرابعة، أو الخامسة من عمري بعد. كنت أمسك بالعِذْقِ وأسحبُ بكلّ قوَي ثم أضع البنجرةَ في الكومة مع أخواتها وكانت والدتي تقول أنني شاطر. وكنتُ فخوراً للغاية.

«يوماً ما تأتي نهاية الحياة الأرضية للجميع، تلك حال الدنيا»، تقول القسيسية وتأخذ قطعة شوكلاتة أخرى.

أومئ موافقاً وأشيحُ ببصري عن الموضوع الذي كان لوعاء ماء سيكستن.

يا ترى كيف حاله الآن! أليده أريكةٌ ينام عليها؟ أيطلقونه ليجري بحرية؟ أيمدُّ خطاه قافزاً مثلما يفعل عند المرج في الغابة. أتمنى أن الأطفال لا يضايقونه كثيراً.

أفكر بسيكستن وأفكر بهانس. لقد اتصل مراتٍ عديدةً منذ علمنا بموت تورة الأسبوع الماضي ولم أقدرُ أن أقاوم. فُتحَ شيءٌ ما عندما علمتُ ولم أستطع أن أكبح جماحه. لم أفلح في أن أخرس هانس. لم أعد قادراً على الغضب.

ولكنه أخذ سيكستن. وهذا أمرٌ لا يُنسى.

أكاد لوهلة أن أحكي للقسيسة عن سيكستن. أن أعزَّ أصدقائي لما زاد عن خمسة عقودٍ قد مات وأنَّ ابناً قد أخذ سيكستن مني. ولكنني لا أعرف من أين أبدأ. ما سيخرج مني عن تورة سيكون أكثر أذى مما ينبغي. وأشعر أن قصة هانس وسيكستن بأكملها أعقدُ مما ينبغي، وتفاصيلها التي يجب أن تُشرح أكثر مما ينبغي.

تَمَضِيصُ القسيسية قطعة الشوكولاتة. أظنني سأحكي عن سيكستن مع ذلك. أسحبُ نفساً. سأقول أن عندي كلباً يَمْتِيَّ اسمُهُ سيكستن. ولكنني أراجع عن ذلك وأطلق حسرةً بطيئةً بدلاً منه.

«سيكون كلُّ شيء على ما يرام مع ذلك»، تقول القسيسية وتنفض

عن فخذها نتفة شوكولاتة. «في النهاية سيكون كل شيء على ما يرام للجميع».

يبدو ذلك مُصطنعاً قليلاً. لكنني، عندما تلتقي نظرتانا، أشعر بما يجعلني أصدقها. لعلها على حق. ربّما يحصل سيكستن على مشاوير ونزهاتٍ طويلةٍ الآن.

«تفضّل، خذ قطعة شوكولاتةٍ أخرى».

تدفع القسيّسة الصّحنَ وتأخذ بعد ذلك قطعةً لنفسها.

أخذ قطعة شوكولاتةٍ وأهمّهم. أضعها على لساني وأتركها تذوب. لم أعد أملك الطاقة للكلام.

يضع كالة إحدى يديه على كتفي ويعصر برّفق.

«مرحباً بو، كيف الحال؟»

أدعكُ الحياةَ في عينيّ وأحيي كالة الذي ينزع كنزته ويعلقها على الكرسي بجانب السرير.

«أكانت لديك زيارة؟» يسأل رافعاً إصيص الزهر.

«بلى، كانت القسيّسة هنا».

ينقل كالة الكرسيّ إلى الورااء قليلاً حتّى يحصل على مسافةٍ تمكّنه من وضع قدمه اليمنى على فخذها الأيسر. يبدو كرسيّ الخشب هزياً مقارنةً بجسمه الضخم.

نظّل صامتَيْن لوهلة. أستلقي ناظراً إلى كالة حيث يجلس هناك

والإصيص في يده، يبدو أن فكره قد سرح بعيداً. يعجبني كالة. لا يتكلم بدون ضرورة، وهناك شيء مريح بشأنه. لم أسمعته يقول كلمة سيئة عن أحد. تعجبتُ فعلاً أول الأمر؛ كيف أن رجلاً يعمل في خدمة الرعاية المنزلية. ولكن ذلك لم يعد يهمني إطلاقاً.

«كانت جدتي تذهب إلى الكنيسة مع فريدريكا»، يقول كالة بعد فترة ويعيد وضع الإصيص على الطاولة. «كنت أذهب معها أحياناً، عندما كانت أمي تعمل».

ينهض كالة ويسير نحو الجمدة ويخرجُ وجبة جاهزة؛ يثقب البلاستيك ويضعها في الميكرو. يرتدي بنطالاً رياضياً رمادياً يشبه الذي اشتراه لي هانس.

«أذكر إحدى السيدات، تلك التي كانت تسكن عند الخليج بعد إشارة الثمانين مباشرة، وكانت تحبز ذلك الكعك بالمرتبى، تعرف؟» يقول كالة في الوقت الذي يرنّ فيه جرس الميكرو.

يضع الطعام على الطاولة ويذهب لجلب كأس من الحليب. أعرف بالضبط أية سيّدة وأي كعكٍ يعني. كان من عادتك أن تجلبي لي معك بعضاً منه.

«خلّطني جدتي آكل قدر ما أريد»، يقول كالة ويضحك حتى يهتزّ بطنه.

لا أستطيع منع نفسي من الردّ بالابتسام.

السبت ١٦ سبتمبر

يفتح هانس باب البيت. لقد جلستُ على كرسيّ المطبخ متأهباً
بملابس الخروج وفي يدي عكازتي لما زاد بالتأكيد عن نصف ساعة.
يُفترَضُ بي أن أنهض. أريد أن أنهض. لكنّ ساقَيَّ أكثر ضعفاً من
أن أفعل وتبدآن بالارتعاش حين أنوي الضغط للنهوض، رغم أنني لم
أستعملهما اليوم كثيراً. أغضب من جسدي الذي يخذلني. اليوم تحديداً
أريده مستقيم الظهر، ليحمل على عاتقيه ذكرياتِ تورة. أُطرقُ ببصري
إلى ساقَيَّ، إلى الرُكبتينِ المدوّرتينِ والفخذينِ النحيلينِ حيث كانت
العضلاتُ فيها مضي مفتولة.

«مرحباً..»، يقول هانس ويطرق طرقة خفيفة على إطار الباب.
أُرْحَبُ وأشير بعد ذلك نحو بروش صغير يقبع في علبة على طاولة
السريّر.

«لعلّك ترغب في مساعدتي بهذا؟»

يلتقط هانس وحش ستورشون الصغير. يتفحص التفاصيل الدقيقة
بنظرة دافئة.

«بلى، إنه لائق بهذا اليوم فعلاً».

حتى هو منحه تورة الكثير من هدايا عيد ميلاده على مرّ السنين
بشيمة وحش ستورشون.

يَفْتَح هانس الدّبّوس ويمرّره بحذرٍ عبر وجه سترقي. السترة التي
ساعدتني على شرائها عندما مات العجوز. رأيتُ ثمنها باهظاً دون مُبرّرٍ
ولكنك رأيتَ أنّ علينا شراءها من أجل والدتي. وكان معكِ حقٌّ حيث
قالت ثلاث مراتٍ على الأقل أثناء الدّفن أنّني كنتُ أنيقاً.

«انتظر، فهو مائلٌ قليلاً»، يقول هانس ويسحب البروش ليُعيدَ
تثبيتهُ من جديد. «نعم، هكذا».

هناك أسيّ في نظرة هانس. لقد كنتُ مشغولاً بنفسي إلى حدّ أنني
نسيت ما يمثّله تورة هانس.

«شكراً»، أقول وأحاول أن أبتسم.

يدُسُّ هانس ذراعَه تحت ذراعي ونسير نحو السيارة.

الساعة العاشرة والرّبع صباحاً

أصطحب أبي إلى مراسيم دفن تورة في سُندي. سنتناول الشطائر في
دار الأبرشيّة بعد ذلك.

/ هانس

يُشَغِّلُ هانس السيَّارة ويرجع بها نحو الأرض المقطوعة الأشجار
لكي يستدير هناك. إنه يقود السيارة أبطأ من المعتاد.
«يا له من يومٍ رائعٍ»، يقول.

أتبع نظرتَه خلالَ نافذة السيَّارة عبوراً إلى منظر الريف الأصفر
المُحمَّر، حيث تقبع جبال بيدالٍ مكسوَّة بالضباب المُتصاعد من
ستورثون. فصلُّكَ المُفضَّل. كان تورة يمقت حلول برد الخريف، وكم
ردد أنه يتمنى عندئذٍ لو كان سورلندياً^(١). كان يتشبَّث بالصيف، ويدور
مرتدياً السراويل القصيرة زاهية الألوان رغم أنَّ البرد قد شرع يأتي
زاحفاً.

تعلَّق نظرتي على برج الكنيسة عند البحيرة حيث يرقد تورة في نعشٍ
الآن. أحاول أن أتخيَّل جسده الميت. أرى أمامي كيف كان يبدو وهو
يرقد نائماً في السرير العلوي بكوخه.

(١) نسبة إلى سورلاند (Sörland)؛ وهي مقاطعة تقع أقصى جنوب النرويج.

لو كنتِ هنا جلستِ في المقعد الخلفي صامتةً فلا تقولين شيئاً عما كنتِ تَرينَه بشأن تورة. أنكِ لم تعرفي كيف تتصرفين حيال اختلافه.

ولا أنا حتّى كنت أعرف أحياناً. وكم شعرتُ بالخجل في بعض المرات، لأنّه كان يشدّ عن المؤلف زيادةً عن اللزوم بطريقةٍ ما تجعل حتّى الآخرين يبدوون غريبين الأطوار، ولكن بطريقةٍ مختلفةٍ تماماً؛ يبدأون بالتلوي، يُطرقون، ويشيحون بأبصارهم. لذلك فقد كنا نقضي وقتنا معاً بمفردنا. كنا نذهب إلى الكوخ.

إنّما لم يعد أيّ من ذلك يعني شيئاً الآن.

أرسل بصري إلى الخارج نحو الجبال والبحيرة ثانيةً. لقد تنقّلتُ هنا طوال تسعة عقود لكنني حتّى الآن أُؤخَذُ بِكَمِّ جمال هذا المكان. ولا أريد تركه أبداً.

في الوقت نفسه أتمنّى أن تكون هذه آخر مرةٍ أراه فيها ونحنُ نسير فوق تاجّه.

يشغل هانس الرّمّاش الأيمنَ وينعطف داخلاً الطريق نحو الكنيسة. حين كنت صغيراً كانت الطريق مُعبّدةً بالبَحْصِ، أما الآن فهي معبّدةٌ بالأسفلت وسيارة هانس الكهربائية تسير عليها دون صوت. على يمين الطريق يربو التّنّوب. كان من عادتنا أن نأتي إلى هنا -أنا وهانس وتورة- ونسرق شجرتين منه لأعياد الميلاد. كانت لدينا رخصة من والدَيّ ماريتا بأخذ شجرةٍ من أرضهم لكنّ تورة كان يُفضّل السرقة من الكنيسة. جعلتُ هانس يعدني بأن لا يقول شيئاً لك. لا أملك إلا أن أبتسم حين أفكّر بذلك.

أنظر إلى الأسفل نحو الغابة خلف الكنيسة حيث يرقد العجوز ووالدتي. كان من عادي مرافقة والدتي في عيد القديسين؛ وكنا نزرع الخلنج الذي تجلبه معها. أعتقد أنها اختارت شيئاً يدوم طويلاً، لذلك لم تضطرّ للمجيء إلى هنا كثيراً.

أذكر أنني استرقت النظر إلى والدتي في مراسيم عزاء العجوز. كانت تجلس ورأسها مُنَحَنٍ إلى الأمام ويدها معقودتان في حِجْرِها. كم كانت صغيرة الحجم في اعتقادي. الشعر الرماديّ مشدودٌ بحدة عند الصدغين، وقد لَفَّتَهُ في عُقدةٍ إلى الخلف على عاداتها. كانت الكنيسة ملاءى تقريباً. اِلْتَفَتْ وتركت بصري يجول بين رجال مصنع النجارة في رانفيكن.

جلستِ على يميني وكنتُ فخوراً. فَقَدْ كَانَ لَهُمْ عِنْدُنَا أَنْ يَتَسَاءَلُوا كيف وُفِّقَ هذا في الحصول على آنسةٍ حسنة كهذه.

كنتُ قد تجاوزت الثلاثين ببضع سنينَ فقط بينما العجوز جاوز السبعين. فقد تأخرا في الحصول عليّ كما تأخرنا في الحصول على هانس. كان قد مضى على ارتباطنا حينئذٍ بضع سنين، لكنّ هانس لم يكن قد جاءنا بعد. أتذكر أنني تساءلت مع نفسي عما إذا كانت هناك علاقة بين الحالتين بطريقةٍ ما. أن شيئاً ما فينا أنا والعجوز قد صَعَّبَ الأمر.

واصلتُ والدتي الجلوس مُطَرِّقَةً إلى حِجْرِها. أكان فيها يا ترى شيءٌ حزين؟ أم كانت تشعرُ بأنها قد فُرِّجَ عنها؟

جلستِ وفي يدك كتاب الترانيم وعيناك مغمضتان. فهمتُ أنّك كنتِ تصلّين مما جعل شيئاً ما في نفسي يلين. لأنني تخيلتُ أنّك فعلتِ

ذلك من أجلي، لا من أجل العجوز. رغم أنك كنت تعلمين كيف كانت علاقتنا فإنك لم تقولي كلمة واحدة تسيء إليه وكنت أحب ذلك. غيظي كان غيظي أنا.

تولت موسيقى الأورجن الزمام فنهضت والدتي فجأة حتى جفلت لنهوضها. تقدمت نحو النعش فانضمت إليها ووقفت إلى جانبها. تسببت صورة العجوز في الشعور بشيء ما يمزق أحشائي. كأن شيئاً ما علّق هناك، مُقاطعاً وجهته، وصار يقشط جوانب مساره. قبل بضعة أسابيع كان قد اتصل:

«ألو نعم، هذا أنا»، قال بصوتٍ يخشخش.

«أهلاً»، أجبت متعجباً. لم يحدث في السابق أبداً أنه اتصل بواحدٍ شخصي، لذلك اعتقدت أن أمراً خطيراً قد أصاب والدتي.

«بلى...»، بدأ الكلام.

«هل أصاب والدتي مكروه؟»، سألت بصبرٍ نافذ.

«ماذا؟ لا، لم يصبها شر».

«أوكي»، قلت وتركت ثقلي ينتقل إلى الساق الأخرى.

«بلى، فالأمر أن...» ثم سكّث. سعل ونخّح. «أردت معرفة ما إذا كنت ترغب بالمجيء على العشاء».

لم أعرف بم أجيب. لم أفهم ما كان يجري.

«أها، متى؟»

«لا أدري، الأحد؟»

«غير ممكن»، قلتُ بسرعة. «أنا مدعوٌّ إلى بيت أهل فريديكا».

«أها»، قال وساد الصمت لوهلة لكنني كنت أستطيع سماع أنفاسه الثقيلة في السَّماعة. «حسناً، كان الأمر أن..» سَكَتَ ثانيةً. «أنا بحاجة للمساعدة بشأن الكلب».

المساعدة بشأن الكلب. ليس بمقدوري أن أعتذرَ لِحَمَوَيَّ عن الدعوة لأنه يحتاج المساعدة بشأن الكلب.

«على هذا الأمر أن ينتظر»، غمغمتُ وأرسلت نظرتي إلى ما وراء طاولة المطبخ. كانت الزهور التي وضعتها في المزهريّة قد بدأت بالذبول. «على هذا الأمر أن ينتظر إلى فرصةٍ أخرى».

«أها، هو كذلك إذن»، قال وساد الصمت مرةً أخرى. شعرتُ كأنّه على وشك قول المزيد، لكنّ الشيء الوحيد الذي أمكنَ سماعه كان ذلك الثَّقَل الطالع من صدره.

«حسناً، أبلغُ تحياتي لوالدتي»، قلتُ بعد حين.

«مع السلامة»، قال وأغلق الخط.

وقفتُ والسَّماعة بيدي مُحدِّقاً في زهرة الزُّبدة^(١) في المزهريّة. رَقَدَت البَتَلاتُ الصُّفْرُ على الطاولة ولم يتبقَّ على السَّاق سوى الميسَم. ربما كان يُفْتَرَضُ بي أن أسأله صراحةً عما كان يريد. لكنّ الكلماتِ علِقَتْ كالعادة وَحَلَّ الغيظُ محلّها.

(١) زهرة الزُّبدة (بالسويدية: Smörblomman، وبالانجليزية: Ranunculus acris): هي الشقيقة الاسكندنافية للزهرة التي تعرف بالعربية بحوذان الحِرْيَف أو شقيق النُّفوط أو الزَّرَّ الذهبي، وموطنها جبال السويد والنرويج. من الشقائق السامة، صفراء لامعة وأقصر من شقيقاتها المنتشرة في أوروبا وآسيا.

شعرتُ بالزَّيفِ هناك حيث كنتُ أقفُ أمامَ النَّعشِ. شعرتُ بالزَّيفِ
كَوْنِ الناسِ المجتمعينَ خلفي ظلُّوا أنني حزينٌ على فقدِهِ. ضايقتُني
كلماتُ القِسِّ؛ أشارتُ عباراتُهُ الملائى بالاحترامِ إلى أنَّه لم يعرفْ، على أيِّ
نحوٍ ممكنٍ، ذلكَ الرجلَ الذي كانَ والدي. كانَ جزءٌ مني يريدُ الالتفاتَ
والصراخَ بصوتٍ يعلو على صوتِ الأورجن، أنَّ هذا الرجلَ ليسَ رجلاً
يستحقُّ الحزنَ على فقدِهِ. لكنني كظمتُ غيظي وحاولتُ ابتلاعَ الغصَّةِ
التي في حلقي. حدَّقتُ في عيني العجوزَ الذي في الصورة، وتركتُ
نظرتي تجوبُ ذقنَه الحليقَ الأملسَ. وعَلِقتُ هناك.

دَسَّتُ والدي يدها الدَّقيقةَ تحتَ ذراعي وسحبتُني لتعيدني إلى
اللحظةِ الحاضرة. سرنا وجلسنا فنهض الصَّفُّ الذي خلفنا. كنتُ حانقاً
إلى حدِّ أنني صُعِبْتُ عليَّ مقابلةُ إيماءاتِ النَّاسِ وهم يَمْرُونُ بنا. لمْ يعرفوا
من كنتُ ولا مَنْ كانَ العجوزُ.

يسعلُ هانسُ خلفَ المقوَدِ. رغمُ أنني بذلتُ قصارى جهدي
لأحمو العجوزَ لكنَّه كانَ هناك يمزقُني من الداخلِ. أجزَّ نفساً وأنظُرُ إلى
الخارجِ. اليومَ لن أسمحَ لشبحه بالظهور؛ فاليومَ يومُ تورة.

نمرُّ بالجنيَّةِ التذكاريةِ حيثُ سيثبتونَ لافتةً بِسْمِهِ، تورة ليندمان، في
غضونِ أيامٍ فأتذكَّرُ جميعَ المراتِ التي لعبنا فيها الشطرنجَ في متنزَّهِ المسيحِ.
يُبطئُ هانسُ ويتجلَّى مبنى الكنيسةِ الكبيرِ عبرَ نافذةِ السيارة. المرة
القادمة التي سنجلسُ فيها هكذا، أنا وهانسُ، ستكونُ في مراسيمِ
عزائِك. أتتبه إلى أننا لم نتكلمَ مع هانسِ عن المكانِ الذي نرغبُ في أن
نُدْفَنَ فيه.

«في الحقيقة أنا لا أريد شهادة»، أقول وأشير بيدي نحو شواهد القبور التي من القرن الماضي. مهمٌ أن يعرف كيف نريد أن نُدفن.
«يا بابا»، يقول هانس كما لو أن موتي شيءٌ بعيدٌ وعديم الصلة بما يمكن الحديث عنه.

أنزعج. أريد إخباره أننا خططنا مسبقاً للدفن في هيسموفوش وأني ستكون لي شهادة رغم كل شيء، لأنك تريد ذلك، لكنني لا أقول شيئاً.

يجلس هانس صامتاً خلف المقود ويتبع على مهل سيارة الأجرة التي أمامنا. مَنْ يمكن أن يكون يا ترى. ربّما شخصٌ من نادي الشطرنج؟
يبدو ابننا متوتراً. أعتقد أنني أرى حاجبه الأيمن يهتز، كما كان يفعل في صغره حين يوشك على البكاء. أشعر فوراً بالحمق. لا أريد أن أصبح مثل العجوز بالنسبة له. لا أريد أن أقبع مثل شوكة حادة في أعماقه.
«ستكون لنا، أنا وأُمُّك معاً، شهادة واحدة»، أقول وأنحنج.
«سيكون أمراً طيباً وسوف ترى».

ينعطف هانس داخلاً إلى المرآب الفارغ. لا يصدر صوتٌ حين يُطفئ محرك سيارته الكهربائي. يلتفتُ إليّ ويومئ وكلُّ ما أراه هو أنتِ. فيهدئني ذلك. ثم يسأل:

«هل ندخل؟»

أهمس لهانس أنني أريد أن أرى كما ينبغي، فنذهب إلى مقدمة صفوف الكنيسة. عندما سألني عما إذا كنا سنأخذ المِمشاة معنا قلتُ له لا؛ أريد أن أسير إلى النّعش منتصبَ القامة. لم يُصّر. أوماً موافقاً فقط وفتح باب السيّارة وساعدني في فكّ حزام الأمان.

أجلس وساقاي ترتعشان على المصطبة الخشبيّة الصلبة. كان تورة سيحبّذ أن يقول شيئاً عن شيطانية الكنيسة لو أنّه كان هنا. أتهم بيخلون علينا حتى بمصاطب مريجة.

تجلس القسيّسة على كرسيّ إلى يسار المنصة. في يدها حزمة من الأوراق وكتاب ترانيم. نظرُها مُسمّرة أمام قدميها.

تنتصب صورة فوتوغرافية كبيرة لتورة في شبابه مستندة إلى النّعش. يبدو غريب المنظر وأليفه في آنٍ معاً. لا بدّ أنّها الصورة نفسها التي علّقت مؤطرة في مكتب مصنع النجارة.

«إه، سخافة»، قال تورة ساخراً حين وقفنا ننظر إلى الصُّور التي علّقت في اليوم السابق.

كانت الإدارة قد قرّرت تأطيرَ وتعليقَ صورةٍ لكلِّ ذوي الوظائف
الرفيعة في المصنع. شدّتُ كتفيَّ غيرَ مُكترِثٍ، ولم أفهم سببَ انزعاجه.
ألثّفتُ بأناءٍ وأجول ببصري في قاعة الكنيسة، فأرى نسّة وسيقرّت.
كانا أيضاً يعملان في مصنع النجارة، لكننا لم نختلط. كانت لهما وظيفة
تورة نفسها.

يرفع سيقرّت يده بتحيةٍ خفيفة ويجلس في صف المصطبات الذي
على الجهة المقابلة من المشى الوسطي. أما نسّة فيصعب عليه الجلوس
ويتكيّ على مسند ظهور الصّف الذي أمامهما. أتساءل مع نفسي عمّا إذا
كنتُ أبدو بالهشاشة نفسها التي يبدوان بها.

خلفهما بصفين تجلس امرأتان من جمعية الإسكان التي كان تورة
عضواً في إدارتها لسنواتٍ عديدة. كانتا ترتديان ملابس أنيقة، وتضع
إحدهما أحمر شفاه.

خلفَ المرأتين، في وسط الكنيسة الكبيرة، تجلس مالن؛ إنجريدُ
تورة. ترتدي سترّة صوفيّة عليها شعار الرعاية المنزلية مما يجعلني أتساءل
عمّا إذا كانت ستذهب إلى العمل فيما بعد. كان من اللطّف أن تأتي.

تهدر موسيقى الأورجن من مكبّرات الصوت ويعطيني هانس
وردة. إنها جميلة. حمراء قانية وسميكة، تماماً مثلما قلتُ أنني أريد لها أن
تبدو. أضعها في حجّري وأغمضُ لوهلة.

أتخيّل أنّك تجلسين هنا إلى جانبي. كنتِ ستقولين شيئاً عن الأزهار
الجميلة. عن الموسيقى. كنتِ ستميلين قليلاً إلى الجانب حتّى يتلامس
كتفانا ثم تقولين أنّه الآن، أخيراً، سينام قرير العين.

أنظر إلى النّعش. في المرة القادمة ستكون على الأرجح صورتك هناك. يغمرني خليطٌ عجيب من الثّقَلِ والترّقّب. تبدو فكرةُ دفنك عبثيّةً ومما لا ينتمي للواقع لكنني في الوقتِ نفسه يتنامى داخلي شعورٌ بالرغبة في أن يحدث ذلك وأخلفه ورائي. أريد أن أتمّ كلّ شيء الآن.

يسكت الأورجن وتشرع القسيّسة في خطبتها. تُعيد سرّد الكثير مما أخبرتها به على الهاتف ولوهلةٍ أشعر تقريباً كأنها أنا من يُلقي الخطبة.

يبدو الأمرُ أشبه بحكايةٍ خرافيةٍ بعض الشيء وهي تحكي. تبدأ بهيسموفوش، أنّ تورة ينحدر من أبوين كانا يأملان أن يدرس في مقاطعةٍ أخرى ثم يعود إليهما. أنّ أباه أيضاً درس في يوتيبوري. صوتها جهوريّ، مختلفٌ تماماً عما كان عليه وهي جالسةٌ تُدرّش في مطبخي مؤخّراً، ويبدو من نبرتها كأنها كانت تعرفه. كأنها هي فخورة به، مما يبعث الهدوء في نفسي. تتبعُ نظرتي الحركاتِ الصغيرة من يديها، وأفكر في أنّه سيكون أمراً جميلاً لو أنّها من سيقوم بدفنك عندما يأتي ذاك اليوم. أنّها، حتّى مع أنّ دفنك سيكون في هيسموفوش، قد يكون بإمكانها أن تسافر إلى هناك ليومٍ أو أكثر.

وإذا بالقسيّسة تقول أنّ هيسموفوش كانت أصغر من أن تحتوي تورة في ذلك الوقت، أنّه احتاج إلى شيءٍ آخر، احتاج ما هو أكثر، وأتساءل عمّن قال ذلك لها. فلم أكن أنا من وصف ذلك.

تتطلّع القسيّسة إلى الجمع القليل المتناثر من الناس وتصمت لفترة. أتوهم أنّ نظرتها قد علقت عند شخصٍ جالسٍ في آخر صفٍّ في القاعة. أدير رأسي أكثر قليلاً لكنني لا أستطيع من مكاني رؤية من يكون.

«كانت يوتيبوري شيئاً آخر، هناك كان له أن يتعرّف إلى الحياة بطُرُق جديدة»، تواصل وأتساءل عما تعنيه بذلك. يبدو ذلك مُبهماً بعض الشيء.

أَتَحَيَّلُ لِلْحِظَةِ كيف كان الأمر سيبدو لو كنتُ أنا من يقف هناك ويلقي خطبةً عبر الميكروفون. لكنَّ المحيطين بي لم يفكروا بذلك، لأنهم لا يعولون عليّ. ومعهم حقٌّ في أن لا يعولوا عليّ. جسدي لا يقوى على حملي.

«لم يكن خائفاً من الحياة، تورة الذي عرفناه»، تقول القسيّسة. كان ذلك بالضبط ما قلته. أنّه لم يكن خائفاً من الحياة، تورة الذي عرفته. أنّه سافر إلى جميع أرجاء الدّنيا.

أُتَذَكِّرُ عودته من رحلةٍ إلى تونس، وكان قد غاب شهراً كاملاً. أحسستُ أنّه كان زمناً طويلاً حتّى بدأتُ أفقده قليلاً. جلبَ معه الكثير من الأشياء، وحكى عن الطعام والناس. كان شاعريّاً ومتحمساً في وصفه.

تُتَحَنِّجُ القسيّسة وتقلب الورقة التي بيدها. يداهمني التعب فأغمض قليلاً. أفكر بما سوف أرغب في أن تقوله القسيّسة عنك. يا ترى ما الذي سيقوله هانس، فهو حتماً سيلقي كلمةً تخصّه. وربّما ترغب إلينور في أن تقول شيئاً كذلك.

«لقد عاش تورة طويلاً»، تقول القسيّسة.

لهذا السبب تبدو الكنيسة فارغة. فكلُّ الذين كان يعرفهم، تقريباً كلّهم، قد ماتوا.

في النهاية توقّف القلب عن الخفقان، أوضح العاملون في المستشفى لهانس. أتساءل عمّا إذا كان هادئاً أو تملكه الذعر في الثواني الأخيرة. أتخيّل أنّه كان يرقد في سريره مرتدياً ملابسه عندما وجدوه. أمّا خاطِرُ أنّه ربما شعر بالوحدة فيقلبُ معدتي. أنني لم أكن هناك. أنّ الوحيد الذي أكثرث لأمره في هذا العالم لم يكن هناك.

تصمت القسيّسة لتحلّ موسيقى الأورجن محلّ صوتها ثانية. يتوتّر شيءٌ ما في صدري ويعتصره، فأطبق عينيّ. لا أدري لماذا ولكنني لا أريد أن أظهر دموعي.

فجأةً يوضعُ ثِقْلٌ على فخذي الأيمن. بنظرٍ تكسوه غشاوةً، أرى يدَ هانس اليسرى على ساقي. مثلما اعتادت يدي أن تحطّ على كتفيه كلما طال جلوسنا بملابس خفيفةٍ أثناء الصيد. يذهلني كم تشابه أيدينا. وكم شاخت يده.

أضع كفيّ على كفّه. لا يوجد شخصٌ آخرٌ في العالم أفضلُ وجوده بقربي في هذه اللحظة.

في طريق الخروج ألح الرجلُ الجالسُ في الصّفّ الأخير، ذلك الذي قدّرتُ أنّ القسيّسة أطالت النظر إليه. إنّهُ أصغر مني ببضع سنين. أنيق الملبس، لا بُدّ أنّ ربطة العنق والسّترّة باهظتا الثمن. تقبع قُبعةٌ سوداء كبيرة بجانبه على المصطبة. عندما أمرُّ بجانبه ألاحظ أنّه يمسك بظرفٍ في يده. أبطئ الخطى وأظنّني أرى تورة مكتوباً على الظرف بخطّ مرتعش. عندما نتجاوزهُ، بحيث لا يعود بإمكانه أن يرانا، أشدّ ذراعَ هانس

قليلاً. أرنو إلى المنصة حيث تنتصب لوحة المعلومات عن الكنيسة
فيمضي بي هانس إلى الجانب. أدير وجهي نحو الرجل الغريب. لا يزال
جالساً على مصطبة الكنيسة في وضعيته السابقة نفسها.

تأتي القسيّسة ماشيةً بخطىٍ وثيدة خلفَ الزوّار. تلمّحُ الرَّجُلَ
وتدخل إلى صفّ المصطباتِ الذي أمامه. تمدّ يدها وتُحيّي. يصادفها
بطريقةٍ تُبيّنُ أنّهما قد تكلّما سابقاً. يتبادلان بعض الكلام لكنني لا أستطيع
أن أتبيّن عن ماذا. ثمّ تومئ بِحَزْمٍ وتذهب.

«سنأتي حالاً»، أقول للقسيّسة حينَ تمرُّ بنا.

«خذنا وقتكنا»، تقول فيبتسم لها هانس.

ثم ينهض الرجل. يأخذ القبعة ويتقدم نحو النعش. يتوقف أمام
الصورة بالضبط ممسكاً بالقبعة عند بطنه ويغمض عينيه.

أشعر بِوَحْزٍ في ساقِيّ.

«من هذا؟» يسأل هانس.

أشدّ كتفيّ.

«لا أدري، لم أرَ الرَّجل أبداً من قبل».

لا تزال عينا الرجل مغمضتين. رُبّما يُصلي صلاةً ما أو يقول شيئاً
داخل نفسه. يكاد الفضول يُشعّرني بالضيق.

«ملابس فاخرة»، يقول هانس بصوتٍ خفيض.

إنّه يميّز نفسه بالفعل. أعرف أنني لم ألتق به سابقاً، وإلا كنتُ
تذكرتُ مظهره كمظهره.

وإذا به يفتح عينيه ويتفحص الظرف الذي يمسك به. يتردد قليلاً.
لكنّه يضعه على النعش ويستدير بسرعةٍ ويسير نحو المخرج.

«يجب أن نسأل»، يقول هانس.

قبل أن أُجيب بأننا طبعاً لا نستطيع فعل ذلك، يأخذ هانس خطوةً
نحوه.

«مرحباً، اسمي هانس. هذا بو، والدي الذي كان صديقاً مقرباً من
تورة».

يتوقف الرجل لكنّه لا يقول شيئاً بل يومئ فقط بجديّة. حتى أنا لا
أجد ما أقوله.

«كيف عرفتَ تورة؟» يقول هانس بعد حين.

«نحن..».

يسكت الرجل.

لعلّي واهمّ لكنني أشعر كأنّه يتفحصني من قمة الرأس إلى أخمص
القدم.

«نعرف بعضنا البعض من يوتيوري».

يُخَنِّحُ ويرتدي القبعة. لم أرَ أحداً يرتدي مثلها سوى في التلفزيون.

«كان أبي يعمل مع تورة في مصنع النجارة في هيسموفوش»، يقول

هانس بعد حين. «أليس هذا صحيحاً يا بابا؟»

«مضبوط»، أقول مكتشفاً وجودَ لساني.

أمدّ يدي نحوه.

«بو».

يأخذ الرجل يدي في مصافحة حازمة.

«إسكيل».

إسكيل. لم يذكُر تورة أحداً بِسْمِ إسكيل أبداً.

نقف صامتين قليلاً. يُمسد الرجلُ لحيته المُشْدَّبة. يذهلني كم هو نظيف. من ذلك النوع من البشر الذي يجعل المرء يشعر بأنه قدر رغم أنه ليس كذلك.

«إذن فأنت من يوتيوري؟» يسأل هانس وأشعر بالامتنان لوجوده معي.

يُنَحْنِجُ إسكيل. هناك شيءٌ ما بشأنه يضايقني.

«نعم، هو كذلك. أنا من يوتيوري».

يقول هانس أنه زار يوتيوري كثيراً من خلال عمله، وأنها مدينة جميلة. يومئ الرجل موافقاً لكنّه لا يقول شيئاً.

«هل ستمكث قليلاً لتناول القهوة في دار الأبرشية؟» يسأل هانس بعد حين.

يهزّ إسكيل رأسه نفيّاً.

«عليّ اللّحاقُ بموعد طائرةٍ ولذلك فلا وقت عندي مع الأسف»، يقول ويُعدّلُ قيافته. «ولكنني سُررتُ بلقائكما، مع السلامة».

بخطفٍ سريعة يغادر الكنيسة. لا أعرف إن كنتُ أشعر بالارتياح أو الانزعاج حيال ذلك.

«أذهبُ إلى دار الأبرشيّة؟» يسأل هانس ويقدم لي ذراعَه.

أمسك بها ونخرج. أُثبِتُ نظرتي على أشجار البتولا الصُّفْر، هناك عند البحيرة، وأفكّر بالسبب الذي دعا تورة لعدم الحديث عن هذا الرجل. لا بُدَّ أن المعرفة بينهما كانت وثيقة إن كان تكبّد مشاق الطيران من يوتيوري إلى هنا. أحسبُ أن السبب كان عدم رغبته. أشعرُ فجأةً بالهزيمة أمام خاطِرِ أن هنالك أشياء لم يخبرني بها تورة.

الهواء بارد. نتوقف قليلاً على درَج الكنيسة العريض فأملاً رثتي. على مسافةٍ منا يركب الرجل سيارة أجرة.

«كان غريباً بعض الشيء، أليس كذلك؟» يقول هانس. «لماذا لم يقل من هو؟»

أشدّ كتفي عن عدم اكتراث. لديّ شكوكي في ما يخصّ كيفية معرفة تورة بالرجل، لكنني لا أعرف كيف أقول ذلك لهانس. لم نتكلّم أبداً عن سبب عدم زواج تورة وما إلى ذلك.

يخطو هانس خطوةً نازلاً أولى الدرجات وأتبعه. تهبّ الريح فتفرّف اللحية. راية الكنيسة السويدية المرفوعة عند مدخل دار الأبرشية تتحرك ببطء وأتساءل مع نفسي عمّا إذا كانت هناك أشياء لم تخبرني بها. عمّا إذا كانت هناك أشياء لم تخبرني بها أحداً على الإطلاق.

أتذكّر كيف كانت علاقتك بأختك الصُغرى. كنتِ بالكاد تكبرينها بسنة والناس يعتقدون أنّكما توأمان. كتما تضحكان على أشياء لم أفهم أبداً ما المضحك فيها.

يعلّق بصري بعُصيّة من زوارق الكانو المصطَفّة في الأسفل عند البحيرة.

كنتِ تخبرينها بكل شيءٍ حتماً.

يتوقف هانس وينظر إلى الأشجار الواقعة خلف الزوارق. ترتعش أوراق الحور الرجراج الحُمْر في الريح. أتساءل مع نفسي عما إذا كانت لديه أسرار كثيرة.

«كان من عادة البنات في صفِّي أن ينزلن ركضاً إلى هناك ليقطفن أزهار الأقحوان الأصفر لمعلّمتنا في ختام العام الدراسي»، يقول وينظر إلى البحيرة تحت. «كنتُ أرى أنّها غايةٌ في الجمال وفي إحدى السنين تبعتهنّ وقطفتُ باقةً بدوري، أتذكّر ما حدثَ عندئذٍ؟».

أهزّ رأسي ببطء.

«كلّا، ماذا حدث؟»

«رَشَّ جُوتار ماءٍ على قميصي كلّهُ، تماماً قبل أن ندخل الكنيسة وقال أنني بنت فبدأتُ بالبكاء وركضتُ إليكما»، يقول «بعد ذلك غادرت مُنْسَلّاً وجلبتُ عِلَقَاتٍ^(١) من ساحل الخليج ووضعتها في جيب سترته التي علّقها داخل دار الأبرشيّة. ألا تذكرُ هذا؟»

ينحني هانس إلى الأمام، لا يستطيع كتم ضحكته. جسمه الضخم يرتج ولا أستطيع أن أمنع نفسي، بل أشرع بالضحك ايضاً.

«كان هَرَجاً رهيباً»، يقول ويمسح ما تحت عينيه.

(١) العِلَقَات: جمع عِلَقَة، من أنواع الديدان الطفيلية التي تعيش في المسطّحات المائية كالبرك والمستنقعات وتعتاش على دم الحيوان الذي تلتصق بجسمه. تُسمّى بالعربية أكاديمياً بسم «العِلَقَة الطَّبِيَّة» وتُعرَف علمياً بتسميتها اللاتينية: Hirudo Medicinalis (بالسويدية: Blodigel وبالإنجليزية: European medicinal leech).

«يمكنني تخيُّلُ ذلك»، أقول ويتحوَّل الضحكُ فجأةً إلى نوبة سعال.
«ولكنَّه كان البادئ. كم كان شيطاناً جلفاً» يقول هانس ويخبطني
على ظهري.

كانت طاولاتُ دارِ الأبرشيَّة قد أُعدَّت وعليها أكوابُ بيض
ومناديلُ موزَّدة. نشرب القهوة ونأكل المازارين. تأخذ القسيِّسة كوباً
وتجلس عند طاولتنا.

«لا أنسبَ الآن من قليلٍ من القهوة»، تقول.

أحاولُ إهمال التفكير بالرجل ذي القبعة وأبحث عن مالين. لا
أدري ماذا، لكنني أريد أن أقول لها شيئاً. حتَّى تفهم كم كانت مهمَّة
لدى تورة. لكنني لا أستطيع رؤيتها في أي مكان. كانت مُجبرةً بالطَّبع
على المغادرة إلى عملها، مثلما اعتقدتُ. أبدأ بإخراج المازارينة من لفافتها.
القهوة لذيذة فأرجو هانس أن يأتي بالمزيد منها. من عند طاولةٍ على
مسافةٍ إلى الداخل ينهض سيفرْت ونسَّة ويسيران باتجاهي.

«مرحب يا بُسَّة»، يقول سيفرْت ويمدَّ يده.

نتكلَّم بُرهةً عن الصيف. يقولانِ أنَّه كان صيفاً ساخناً على غير
العادة فأجيبُ بما يُبدي موافقةً على ذلك ولكنني لا أستطيع تذكُّرُ
أنني فكَّرتُ بالحرارة كثيراً أثناءه. يخبرنا نسَّة أنَّه تولَّى لبضعة أسابيع
مهمة العناية بكلب ابنته الذي كان بليداً على غير عادته بسبب درجات
الحرارة المرتفعة. أتفحصُ وجهه، شاربه المُشدَّب، ويذهلني أنني لم أفكَّرُ
بسيكستن طوال اليوم. تُخزنني فكرةُ عدم وجوده هناك في البيت، في
انتظاري.

التفت سيفرت ونسة نحو هانس الذي يتحدث عن عمله. يبدو
أنهما مهتمان صدقاً.

أعادو التفكير في الرجل ذي القبعة. أتوهم أن الأمر لا بد أن يكون
مثلاً أظن، أن الرجل كان شخصاً ارتبط به تورة. وكان مهماً حتماً في حياته
باعتبار أنه جاء إلى عزائه. أمسد لحيتي. أطرُق إلى يدي وأسأل نفسي لماذا لم
يتحدث تورة عنه. أظافري مُقلّمة، ساعدتني إنجريد في ذلك قبل يومين.
أديرُ إبهامي حول سبّاتي المتورمة. لطالما شعرتُ أن حياة تورة
العاطفية كانت شخصية للغاية. لا كما لو أننا أسهبنا في الحديث عنك
كذلك. لكنني حين لمحتُ ذلك الرجل الغامض في الكنيسة اليوم حدث
شيءٌ في داخلي. شعرتُ بالإهانة بطريقةٍ ما. استوعبتُ أن هنالك جوانب
من حياة تورة لا أملك فكرة عنها حتى. رغم أنني كنتُ أعزّ رفاقه.

يصدِرُ شيءٌ ما صريراً هناك عند المدخل فأديرُ رأسي. أرى الحارس
يفتح سُلماً خارج تواليت المُعَوِّقِينَ ويصعد عليه لكي يصل إلى المصباح
السَّقْفِيّ. أعجبني توازنه، فقد مضى زمنٌ طويلٌ على آخر مرّة تمكّنتُ فيها
من فعل شيء كهذا.

أشعر بالندم لأنني لم أسأل تورة أكثر. عمّا كان يفعله في يوتيوري.
أترك نظرتي تستريح عند هانس وسيفرت ونسة وآمل مع نفسي أن تورة
لم يعتقد أنني لم أكن مهماً بمعرفة المزيد عنه.

فجأة أجد نفسي متعباً إلى حدّ أنني قد أغفو. لا أقوى على أن أبقى
جفوني مفتوحة. يقول هانس لسيفرت أنه أخذ إجازة اليوم؛ يا ترى كم
يوماً سيطلبُ أن يُجازَ من العمل عندما أموت؟

يضع أحدهم يده على ظهري.

«أظنّ أن علينا أن ننسحب الآن»، يقول هانس.

«نعم، فقد حان وقت الاختتام هنا على أية حال»، تقول القسيّسة وتنظر إلى الساعة. «يجب أن أجلب الأطفال بعد قليل».

أومئ موافقاً للقسيّسة التي تبسم.

«أَغْفَوْتُ قليلاً؟»

يقول لي هانس أن أنتظر عند المدخل بينما يذهب لجلب السيارة ولا أعترض على ذلك. عدا عن سيفرت ونسّة فلم يبقَ سوانا هنا. أرفع كفي إلى فمي وأثناءب، ولا أفهم كيف سأتحمل البقاء يقظاً حتّى نصل البيت.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الإثنين ٢٥ سبتمبر

الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحاً

بو نائم حين أصل. أوقفه وأعطيه الأرز بالحليب، لكنه سرعان ما يغفو ثانية. يبدو عليه أنه يزداد تعباً. أعدُّ شطيرةً وأضعها قرب السرير.

/ يوهانا

أيقظني الشعور بالبرد. أديرُ رأسي فأرى شطيرةً يابسةً على طاولة السرير. بحاجة للتبول لكنَّ مجردَ فكرة الذهاب إلى التواليت تُرهقني. يصعبُ عليّ أن أرفع ساقَيَّ والتعبُ يجعل رأسي أثقلَ على الوسادة. أدُسُّ يدي وأتحسُّ ما بين فخذَيَّ. بلى، لقد ألبسني حفاظةً بالفعل. البولُ الدافئ مريحٌ لأوّل وهلة، ولكنني، بعد تفريغ المثانة، أخجل من نفسي. يا ترى؛ أتخجلين من نفسك أيضاً حين يحصل معكِ شيء كهذا، أم أنّك تعدّيت هذه المرحلة؟

أمدّ يدي إلى الجرة التي تحتوي شالك وأحاول محاولةً يائسةً أن أفتح غطاءها، إنّما عبثاً. أتركها تسقط على السرير بجانبني.

الساعة الثانية عشرة وعشرون دقيقة صباحاً

بو راقدٌ في سريره. الحفاظة ملأى. أُسَخِّن كراتِ السمك فيأكل قليلاً. يحادثني عن فريديريكا والفطر. يقول أنّه متعب ولا شهية لديه للطعام. أضع ماءً وشوكولاتة عند سريره.

/ إنجريد

أَوَّلُ مَا أُلَاحِظُهُ عِنْدَ اسْتِيقَاضِي هُوَ عَطْرُكَ. أُدِيرُ رَأْسِي؛ شَالُكَ نَاعِمٌ
عَلَى خَدِّي. آخِذَ نَفْساً عَمِيقاً وَأَغْفُو ثَانِيَةً.

**الثلاثاء ١٠ أكتوبر -
الجمعة ١٣ أكتوبر**

أسمع صوتَ إنجريد لكنني أجد صعوبةً في فهم ما تقول. أعتقد
أنها تقرأ لي شيئاً من كتابٍ ما. أرغمُ جفوني بأناءٍ على أن تنفتح؛ يخزُ
الضوءُ عينيَّ. تجلس إنجريد على كرسيٍّ إلى جانب السرير. تمتدّ على
تيشيرتها صورةٌ ذئبٍ يعوي على قمرٍ في الخلفيّة. أشعر بالبرد.
تُنزِلُ نظّارةَ القراءةِ إلى طرفِ أنفِها.

«انظروا من هنا»، تقول وتضع الكتابَ على طاولة السرير. «هل
أنت عطش؟»

أومئ موافقاً. لساني يابس.

تذهبُ إلى المطبخ وتعود بقطعةٍ قماشٍ رطبة.

«ولعلّك جائع بعض الشيء كذلك؟» تسأل وتمسح شفّتيّ بقطعة
القماش. «يمكننا أن نجرب شراباً بطعم الفراولة».

أغمضُ وأصغي إلى إنجريد التي تنزعُ الشّفاطةَ عن ظهر علبة
الشراب المغذي فيخشخش البلاستيك اللّين. تحدّثني عن الألوان
المتوهّجة في الغابة، وكيف تتألّق أوراقُ الأشجار هناك. تدريجياً يتلاشى

صوتُها وتطلعينَ من بين الزهور على الجانب الآخر من طريق البلدة.
تدخلينَ وتخرجينَ من مدى رؤيتي في جسدٍ يتبدّل ممتدّاً على طول
عمرِك. تتمشّينَ عبر ظلال الصنوبر فتتغيّر هيأتك مراراً وتكراراً. تأتينَ
يا فاعةَ مرةً، حاملاً مرةً، ومرةً حيرى.

فجأةً أرى إنجريد وسيكستن سائرينَ نحوي. يسير حُرّاً بلا طوق
ثم ينطلق مثل كلاب السباقات. يدورُ ويدورُ جرياً مثلما يفعل حين
يُصابُ بلوثة. على مسافةٍ أبعد، تحت، عند المنعطف المؤدي إلى منزل
إيفرتسون يأتي العجوز ماشياً ويديه مجرّفة. خلفه ببضعة أمتار تأتي
والدتي، متمهّلة، بظهرٍ مخنّجٍ وذراعين تستريحان عند أسفل ظهرها.
يُسرعُ سيكستن ويجري نازلاً الربوة حتّى يجيئها.

أشعر بألمٍ يُشجّ صدري وتزداد صعوبة التنفّس. تضيق القصبة
الهوائية. أحاولُ فتَحَ عينيّ لكنني لا أفلح.

«كيف الحال يا بو؟»

أتمكّن أخيراً من فتح جفوني وأقابل نظرة إنجريد فأشعر بأنّ الثقلَ
خفّ قليلاً. هناك تجعيد في جبهتها.

«أيضاً يلقك شيء؟»

لا أعلم في الحقيقة ما تعنيه لكنني مع ذلك أومئ موافقاً. فهو
بالفعل شعورٌ بالضيق. تجلس إنجريد على حافة السرير وتضع يدها على
يدي. يدها دافئة، ورطبة بعض الشيء.

«ستكون بخير قريباً»، تقول فأتشبّث متمسّكاً بكلماتها.

يُطرق البابُ فأتمنى أن يكون هانس. أريده أن يكون هنا، أريد أن

أنظر إليه فأقول أنني أتمنى له كل خير. أنني رغم اعتراضاتي فخورٌ به.
أريد أن أقول ذلك الآن.

عاودتني الفكرة أكثر فأكثر منذ أن التقيت بذاك المسمى إسكيل
في عزاء تورة. أنني لا أريد أن يبقى شيءٌ مكتوم بيننا. لا أريد أن يصبح
الأمر كما كان مع العجوز.

لسببٍ عجيبٍ ما، لم أعد غاضباً. لقد فعل هانس ما اعتقد أنه
الأفضل. وسيكستن بخير حتماً.
يُفتَحُ باب البيت.

«لا بُدَّ أنها صوفيا، البديلة المؤقتة الجديدة»، تقول إنجريد وتنهض.
«لقد التقيتَ بها الأسبوع الماضي».

أومئ موافقاً لكنني لا أتذكر، يكفي أني أن من أتت لم تكن الشمطاء.
أتابع بنظري إنجريد وهي تختفي خارجةً إلى الشرفة. تُرى متى يأتي
هانس. أنا أكثر تعباً من أن أدير رأسي، أترك عينيَّ تستريحان عندما تختفي
إنجريد عن مجال بصري. أدعُ النوم يأخذني.

يُقعِي هانس على الجليد في خضمّ اندفاعه. يمدّ ساقيه فيدعُ حذاء
تزلجه يضرب الجليد. يترك حذاء التزلج أثاراً صغيرة خلفه. يرقد ساكناً
ويتطلّع إلى السماء لبعض الوقت. تنهضين من على زلاجتك.

«انتبه حتى لا يجمد ظهرك»، تقولين وتنطلقين نحو صفيحة الجليد.
لا يمكن أن يكونَ عرضها أكثر من عشرين متراً. بركة ماء في المرج،
وتجمّدت.

لم يملّ أبداً من التزلج، كان يريد الذهاب إلى هناك طوال الشتاء.

ولا أنا مللْتُ ذلك. لكنَّ البرَّكَةَ في الشتاءِ التَّالي كانت قد صغرت عليه،
لذلك فَضَّلَ الذهابَ والتَّركَ مع أولادِ إيساكسون على حلبةِ الجليدِ عند
المدرسة.

«مرحباً بو»، يقول صوتُ فتاة. وجهٌ غريبٌ فتِيٌّ يتدلَّى فوقِي.
بنوَّة لا يمكن أن تكون أتمَّت مدرستَها، ولا يتجاوز عمرها خمسة
عشرَ عاماً.

حاولتُ فتح فمي لأقول مرحباً، لكنَّ ذلك غير ممكن.

«صوفيا هنا لتساعدك في الحمام»، تقول إنجريد وتضع يدها على
ساقِي. «ستحصل الآن على حفاظة نظيفة».

تَعْقِدُ الموظفة البديلةُ أنشودة الصدرية البلاستيك حول خصرِها
وتدسُّ يديها في زوجٍ من القفازاتِ البلاستيكية. تدوس إنجريد بشدَّةٍ
كي تُرخي مكابحَ عجلاتِ السرير. تسحبُه قليلاً حتى تستطيع الفتاةُ
البديلةُ الدخولَ من الجهة الأخرى.

«إلى جهتيك أم إلى جهتي؟» تسأل البديلة.

«إِختاري أنتِ، فالأمر سيَّان بالنسبة لي».

أنظر إلى إنجريد والموظفة البديلة اللتين تقفانِ متقابلتين، كُلاً على
جهة مني ولا يدور في رأسي سوى التساؤل عما تفعلينه الآن. عما إذا
كنتِ هائجةً أو هادئةً.

«حسناً، عليك الآن أن تنقلبَ على جنبك نحو صوفياً»، تقول إنجريد
في الوقت نفسه الذي تُمسكُ صوفيا فيه بذراعي اليمنى وتسحب. أغدو
راقداً على جهتي اليسرى. تدسُّ إنجريد مُشَمَّعاً تحت عجيزتي وتعيدني

الموظفة البديلة إلى وضعي الأول، على ظهري. يجري الأمر بسرعة لا أجد معها مُتَسَعاً للتفكير.

«الآن ستأتي إليّ قليلاً»، تقول إنجريد وتُمسكُ بذراعي اليُسرى وتسحبُ بينما الموظفة البديلة في الجهة المقابلة تجرُّ المُشَمَّعَ. «تمام. المشمَّع في مكانه الآن، حتّى يحافظ على نظافة سريرك».

تطوي إنجريد حاشيةً فانِلتني إلى الأعلى وتشدّ الشريط المطاطيّ لبنطالي الرياضي، كأنما لتتأكد من أنّه يعمل. ثمّ تُنزله من أحد الجوانب. «الآن ستحصل على حفاظة نظيفة»، تقول. «يمكنني أن أتولّى ذلك».

تردُّ الموظفة البديلة بإيماءٍ حَذِرٍ.

«سوف تأتي نحوي ثانية»، تقول وتأخذ كَفّي اليمنى وتعاود السّحب. أحاول أن أتصلّب، فالأمر يصير أسهل عندئذٍ، لكنّ العضلات لا تستجيبُ كما أريد.

تمسح إنجريد مؤخرتي بالمناديل الرّطبة الدافئة. ويا للراحة. أقلبُ على ظهري ثانية. تُعدّلُ إنجريد وضعَ البنطال والفانلة ثمّ تعيد تغطية جسدي باللحاف.

يتحرّك الإحساس بالضيّق في صدري. لا أعرف ما الذي يمكنني أن أفعله حيالَه. ثانيةً، يصعبُ عليّ أن أتنفّس.

«ألم يكنْ ذلك مريحاً يا بو؟» تقول البنّوة وتضع يداً على عضدي. أنظرُ إليها فبتبتسم وتشيح بوجهها. أستدير نحو إنجريد بدلاً منها فتقابل

نظرتي. أتشبّث متمسكاً بعينيها الزرقاوين، فيهدأ ما في صدري. نجلس هكذا حيناً وهي تومئ، دون أن نقول شيئاً. أشعر كيف أنّ النعاس يغالبني رغم أنني لا أريد، أريد أن أبقى عندها.

أستيقظ على صوت إنجريد.

«هاك»، تقول وتناولُ نقالَ العمل إلى الموظفة البديلة. «هلاً طلبتِ القسيّسة؟»

تأخذ البتّوة الهاتف، ترفع حاجبيها نحو إنجريد.

«أوكي؟ أهو مسيحي؟» تقول.

تتوقّف إنجريد التي تقف مُتدلّكة فوق الحقيبة التي تحتوي أغراضاً من المكتب. ترفع بصرها نحو الموظفة البديلة وفي يدها علبة قفازات بلاستيكية وتفكر قليلاً. ثم تُدير رأسها نحوي.

«ما كنتُ لأسميك مسيحياً، صحيح؟ ولكن ذلك لا يهم أبداً»، تقول وتبتسم ابتسامة خفيفة. «أعتقد أن بو مع ذلك يحب الحديث مع القسيّسة. والواقع أن هناك كثيرين يحبون ذلك».

أريحُ نظرتي عند وجه إنجريد وأقول لنفسي أن ذلك صحيح. أنني شعرت شعوراً طيباً بعد الحديث مع القسيّسة. أنّ المرء حقيقة لا يعرف في نهاية المطاف.

أنا راقدٌ هنا وسوف أموت ولست أعرف في الواقع.

تسرح أفكاري إلى تورة، عندما مات؛ ما الذي دار في رأسه عندئذ؟ كذلك أتساءل عما سوف تفكرين به عندما يحين دورك.

تتابع الموظفة البديلة نظرة إنجريد، وتنظر إليّ بدورها. تبدو الحيرة عليها.

فجأة تداهمني نوبة ضحك ويُفِلْتُ مِنِّي صوتٌ غريب.
تضع إنجريد يدها على فمها لتنفجر هي الأخرى ضاحكة. تتسع
حدقتا الموظفة البديلة قبل أن تنخرط هي أيضاً في الضحك.

تُجبرني رائحة القهوة على الاستيقاظ. تُلاقيني إلينور بابتسامة.
«أُحِبُّكَ» تقول بسرعة. «وبابا أيضاً»، تُضيفُ قبل أن أجد الوقت
لأرمش حتى.

أنظرُ إلى نحلتنا فأشعر بدفءٍ في صدري. يضحك هانس على ما
قالتَه وهو واقفٌ عند منضدة المطبخ. يبدو من نبرته أنه يشعر ببعض
الخرج. أظنه يشدُّ شحمة أُذُنِه. أريدُ أن يقتربَ حتى يتسنّى لي أن أراه.
إنّه أمرٌ لا يُصَدِّقُ؛ أنَّ صَغِيرَتَنَا إلينور قد كبرت إلى هذا الحد. يبدو
من غير المعقول أن يحدث الأمر بهذه السرعة. أحاول وأنا أرقد على
سريري، ولكنني فعلاً لا أفهم كيف جرى ذلك.

«إنّه يُعِدُّ القهوة، والمازارين»، تقول إلينور وتُمسِدُ يدي.
أحاول أن أبتسم. لا أدري إن كنتُ أفلح، لكنَّ إلينور تضع يدها
تحت يدي حتى أستطيع أن أُمسِدَ إبهامها بإبهامي.

أفكر بالمازارين وأفكر بتورة. رغم أنني في الحقيقة لا أعتقد ذلك،
فإنني آمل أننا عَمَّا قَرِيبٍ سنلتقي. أنّه سيُلاقيني في مكانٍ ما. مكان ما
يَسْعُنِي فيه بعد ذلك أن ألاقيك.

تظهرُ في ذاكرتي صورةٌ لتورة أمامَ الموقدِ في الكوخ. أتذكّرُ كم كان
يحرص على أن يقضي هانس وقتاً ممتعاً عندما كنا نذهب إلى هناك للصيد.
كان يشتري ويجلِبُ معه دائماً البسكويتَ الذي يحبه هانس.

يأتي هانس حاملاً أكوابَ القهوة وكذلك المازارين ويجلس على
كرسيٍّ إلى جانب إلينور. يبتسم لي وأريدُ أن أقول له أنني فخورٌ به، وأني
فعلتُ أفضلَ ما كان بوسعي. لكنهما يتحدثان عن دراسةِ إلينور، وعن
العمل الذي يمكنها أن تُقدِّمَ له عندما تُتِمَّ دراستها، ولا أريدُ مقاطعتها.
«سوف أبدأ بالتأكيد في الضمان الاجتماعي»، تقول. «هذا ما يفعله
أكثرهم».

«أظنّه خياراً حكيماً؛ تعيينات آمنة، أليس كذلك يا بابا؟» يقول
هانس. مكتبة سُر من قرأ
أبتسم. إنه يعرف ما يرتثيه أبوه ويفضّله وهذا يُشعِرني بالفخر.
«العمل مع الناس، سيناسبك هذا بامتياز»، يقول ويضع يدهُ على
رأسِ نحلتنا.
«ممتاز»، أُمهمهم.

أشعرُ بأنّ فمي يابسٌ تماماً، كأنّه سيتشقق. أضَمّ شفَتَيَّ على بعضهما
البعض وأحاولُ ترطيبهما ولكنّ ذلك لا ينفع.
«ها هي إنجريد آتية ببعض الماء»، تقول القسيّسة.
أفتح عينيّ، تأتي إنجريد نحوي. القسيّسة جالسةٌ على كرسيٍّ
بجانب السرير.

«سوف نحاول مع بعض المثلجات، على ما أعتقد»، تقول إنجريد.
أومئ بالموافقة إيماءً وثيداً.

«إذن فهي المثلجات»، تقول القسيّسة.

كان من عادتنا أنا وتورة أن نشترى المثلجات صيفاً في متنزه المسبح.
ما تزال هذه البرودة، مثلما كانت عندئذٍ، منعشةً بالقدرِ نفسه. تقول
القسيّسة شيئاً لا أستطيعُ تبيّنه. تنهض وتجلّبُ بطّانيةً من الكرسيّ الوثير
الذي في الزاوية وتضعها على قدميّ، فأشعر براحةٍ لأنهما باردتان قليلاً.
أتساءل مع نفسي إن كانت قد زارتك مؤخراً. أريد أن أسأل عن
حالك، وما إذا كانت تعتقد أنني ما زلتُ موجوداً هناك في مكانٍ ما في
دواخلك. ما إذا كانت تعتقد أننا سنكون مع بعضنا ثانيةً.

يعود ضيقُ التنفّسِ وأشعر بصعوبةٍ في أخذِ أنفاسي كما ينبغي.
أفرجُ بين شفتيّ وأحاول أن أقول اسمك لكن التعب يغلبني.

«سأضع هذا عليك، أشعر به على خدّك؟» تقول إنجريد وإذا بعطركِ
يُصبيني.

تُعدّلُ إنجريد من وضع الشّال، تغطّي به رقبتني وخدّي. يخفني
المكان. النعومة وعطركِ هما كلّ ما هنالك.

أستجمع قواي كلّها وأسحبُ نفساً. أحتفظ بالهواء في رثتي حتّى
يُجبرني على إطلاقه فأغفو.

في المرة التالية التي أستيظ فيها تكون والدتي في فكري.

تَرَطَّبُ إنْجَرِيدَ شَفْتَيَّ وَأشْعِرُ بَهْبَةً هَوَاءَ عَلَى وَجْهِهِ.

«إِنِّي أَهْوِي الْمَكَانَ قَلِيلاً، أَلَيْسَ هَوَاءَ الْخَرِيفِ مَنْعِشاً؟» تَقُولُ
وَتَغْمَسُ قِطْعَةَ الْقِمَاشِ فِي وَعَاءِ الْمَاءِ.

أَوْمِئُ مُوَافِقاً. عَلَّمْتَنِي وَالِدَتِي كُلَّ مَا هُوَ مُهِمٌّ. عَنِ الْكِلَابِ
وَالْحَيَوَانَاتِ؛ كُلِّ مَا لَمْ أَكُنْ لِأَعِيشَ بِدُونِهِ.

قَالُوا أَتَمَّا مَاتَتْ بِسُرْعَةٍ. فِي أَحَدِ الصَّبَاحَاتِ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا
مَوْظِفَ الرِّعَايَةِ حَتَّى يَوْقُظَهَا كَانَتْ قَدْ فَارَقَتْ الْحَيَاةَ. كَانَتْ رَاقِدةً عَلَى
ظَهْرِهَا فَاتِحَةً فَمَهَا وَعَيْنَيْهَا، وَيَدَاهَا مَضْمُومَتَانِ بِلْيَاقَةٍ عَلَى اللَّحَافِ،
قَالُوا، كَأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ خَطَطَتْ لَذَلِكَ؛ أَنْ تَرَقِدَ رَقْدَةً لَائِقَةً.

أَجُرُّ النَّفْسَ؛ ذَلِكَ الضَّيْقُ يَشْتَدُّ ثَانِيَةً. لَا أُرِيدُ حَقِيقَةً أَنْ أَفَكِّرَ
بِالْأَمْرِ، فَقَدْ كَانَ لِمَوْتِ وَالِدَتِي أَثَرٌ شَدِيدٌ الْقَسْوَةِ فِيَّ. أَتَذَكَّرُ أَنَّكَ قُلْتَ مَرَّةً
أَنَّكَ تَفْهَمِينَ أَنَّ الْأَمْرَ أَحْزَنَنِي. حَسَرَجْتُ بِإِجَابَةٍ مَا لَكَنَنْتِي لَمْ أَقُلْ لَكَ أَبَداً
حَقِيقَةً مَا كُنْتُ أَشْعُرُ بِهِ، أَنَّنِي بَقِيتُ حَزِيناً لِأَشْهُرٍ عَدِيدَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ. أَنَّنِي
افْتَقَدْتُهَا افْتِقَاداً لَا يُصَدَّقُ.

أَنَا نَادِمٌ لِأَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهَا شُكراً عَلَى مَا كَانَتْهُ وَكَيْفَ كَانَتْ مَعِي. وَعَلَى
أَنَّهَا كَانَتْ أَفْضَلَ مِنَ الْعَجُوزِ بِمَرَا حِلِّ. كَانَ يُفْتَرَضُ بِي أَنْ أَقُولَ لَهَا ذَلِكَ،
لَكِنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا أَبَداً. أَدْرِكُ الْآنَ أَنَّنِي سَمَحْتُ لِلْغَيْظِ الَّذِي أَحْسَسْتُ
بِهِ تَجَاهَ الْعَجُوزِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ أُمِّي، لَقَدْ جَعَلَنِي ذَلِكَ الْغَيْظُ غَيْرَ
قَادِرٍ عَلَى السَّعَادَةِ حِينَ أَكُونُ بِصَحْبَتِهَا.

أَشْعُرُ بِضَيْقِ النَّفْسِ. وَالْخَوْفِ. أَحَاوَلْتُ فَتَحَ عَيْنَيَّ لَكِنَّنِي لَا أَفْلَحُ.

أفكر في أنني قد أموت الآن. أن هذا هو ما يشعر به المرء عندئذ. قوة
ترغمني نحو الأسفل والبعيد.

ثم يضع هانس يده على جبهتي فتصير الأنفاس أسهل. إنها تستلقي
على جبهتي مثلما كانت يدي تستلقي على جبهته عندما أُصيب بالتهاب
الرئة. غاب عن المدرسة أربعة أسابيع بسبب ذلك.

يترك يده كي تمكث فأشعر بأنه لا يريد أن يكون في أي مكان آخر
سوى عندي.

أستيقظ بسبب شعورٍ بالغثيان، كأنما أكلتُ شيئاً فاسداً. لكنني لا أتذكر
ماذا ولا حتى متى أكلتُ آخر مرة.

«هل من المعتاد أن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً هكذا؟» يهمس
هانس.

ألا أموتُ بسرعةٍ كافية؟ أشعر كأنني أقف في طريق أحدهم. كأنني
أمنع هانس والآخرين عن كل ما لديهم من مشاغل.

أفتح عينيّ فألقي نظرةً ابناً. أول ما أرى فيها شيءٌ من التعاسة،
لكن ابتسامةً تتفجّر في وجهه عندما أومئ له.
«إنه مستيقظ».

«ممم»، أغمغمُ فيضحك هانس.

تضع إنجريد وعاءً فيه ماء على طاولة السرير وتبتسم لنا.
أشعرُ فجأةً بأنني أنشط. أنظر إلى ابناً ويأتي العجوز إليّ. كانت

لديه ملامح لدى هانس، وحتىّ لَدَيّ، مثلُها. الفكان، نشترك فيهما نحن الثلاثة.

ابننا هنا على آية حال. إنّه يجلس إلى جانبي.

لم أجلس إلى جانب العجوز حين مات.

استغرق الأمر وقتاً طويلاً معه. أياماً عديدة. رقد في المستشفى، وأدخلوا فيه أنابيب كثيرة حصل عبرها على أدوية ضد الألم. جلست والدتي إلى جواره؛ رَطَبْتُ جبهته وقرأتُ له مما في الجريدة المحلية.

ذهبتُ إليه بضع مرّات، إكراماً لوالدتي. لم أرِدُ أن تشعَرَ بأنها وحيدة. في الوقتِ نفسه لم أرِدُ أن يتوهّم العجوزُ شيئاً لنفسه.

وقفتُ هناك بجانبِ سريره. كان واهياً للغاية؛ الأمر الذي خدشني من الداخل. تذكّرتُ لحظتها المكالمة الهاتفية قبل بضعة أسابيع. كان شيءٌ ما في داخلي يريد وَضَعَ يَدَ على كتفه.

بعد ذلك الذي حدث مع بُسْتَرٍ وكُلِّمَا كبرتُ في السنّ، أدركتُ أكثر فأكثر أن لا شيءَ يعني لي شيئاً لدى ذلك الإنسان. فأطفأته في داخلي. أدزْتُ له ظهري وبنيتُ حياةً تخصُّني، مثلما أردتُ لها أن تكون.

ولكنّها رغم ذلك لم تختفِ، تلك الرغبة داخلي في أن أنال نظرتَهُ إليّ. تلك النظرة التي تقول أحسنت الصُّنْعَ يا بو.

عندما وصلتُ إلى المستشفى كان قد مضى زمنٌ طويل على آخر مرّة شعرتُ فيها بشيءٍ فَرِحَ تجاهه حتىّ أنني لم أتذكّر متى كان ذلك. لذلك فعندما اتّصلتُ والدتي لتخبرني بأنّهم أخبروها في المستشفى بأنّه لم يتبقَّ

له سوى ساعاتٍ وسألتني عما إذا كنت أريد أن أذهب إلى هناك، قلتُ لها
كلاً. قلتُ لها أنني كنتُ مضطراً للعمل، فقد كان يوم الإثنين.

ومع ذلك فقد تحطّم شيءٌ في داخلي عندما اتصلت والدتي ثانيةً في
وقتٍ لاحقٍ تلك الليلة وقالت أنّه مات.

يُغَيِّرُ هانس من وضعيّة جلوسه على الكرسي المجاور للسريّر.
تتدلّى غُرَّتُهُ على جبهته. يبدو أنه لا يضع شيئاً لزجاً اليوم فشعره ناعمٌ
ومنفوش، مثلما كان عندما كان صبيّاً. أريد أن أنكش شعره لكنني لا
أقوى على رفع ذراعي.

لم أعرفهُ حقّ المعرفة، العجوز؛ أدرك ذلك الآن. ليس بهذه الطريقة
التي أعرف بها هانس. رغم كل الغيظ والمشاحنات فإننا ننتمي إلى بعضنا
البعض بطريقةٍ لم تعرفها علاقتي بالعجوز.

أنظرُ إلى هانس وكل ما أريده أن لا يتحطّم ذلك لديه. لا أريد
لذلك أن ينخر فيه لعقود.

رغم أنني أعرف ما أريد قوله فإنني أجد صعوبة فيه. لقد مضت
أسابيع وأنا أحاول أن أقول ذلك. مجرد كلمات، لكنها مع ذلك صعبة.
«أنت تعرف»، أهمسُ وأسحب نفساً.

يومئٍ ببطء. يرفع حاجبيه قليلاً ويزمّ شفّتيه حتى يُظهر أنّه يُصغي.
أنظرُ إليه ولا أرى غيرك. أسحبُ نفساً آخر، ما أثقلها من مهمّةٍ أن
أملأ الرئتين ولكنني يجب أن أكافح التعب.

«أنت تعرف أنني فخورٌ بك»، أتمكّنُ أخيراً من إخراجها. «وماما
أيضاً».

ينظر هانس نحوي نظرة كنتُ قد نسيْتُها. بتلك العينين اللتين كان
يملكهما في طفولته. اللتين كانتا ترنوانٍ بشغفٍ إلى كلِّ ما أقول، اللتين
كانتا تقولانِ أننا كُنَّا معاً في كلِّ شيء.

يرمش.

مكتبة

t.me/soramnqraa

ثمَّ ينحني ويقبِّل جبهتي.

«أعرف، يا بابا».

صوتُ نَقْرِ المخالبِ وعطرُهُ يجدانِ طريقهما إلى داخلي قبل أن تُدركَ راحة
كفي كيف يكون رد فعلها على فرائه النَّاعم.
«أعتقدينَ أنَّه سيلاحظ شيئاً؟» يسأل هانس.

«نعم أعتقد ذلك»، تُجيبُ إنجريد.

يتأرجح جسدي عندما يقفز سيكستن صاعداً إلى مكانه بجانب
ساقِي اليسرى.

أهدأ. عندما يُلاحظ أنني لا أستطيع أن أُرَبِّتَ عليه بيدي، يُعَدِّلُ
وضع رأسه على بطني.

«هل كُلُّ شيءٍ على ما يُرامُ هنا؟» يسأل هانس. «أعني بخصوص
سيكستن وما إلى ذلك».

«كُلُّ شيءٍ على ما يرام، يا هانس، نحن بخيرٍ هنا. بو، وسيكستن
وأنا».

يوضَعُ شيءٌ ما على كتفي الأيمن وأدركُ بعد حينٍ أنَّه يد هانس.

كُفَّهُ لا تريد إفلاته. كتفي. يقف على هذه الحال عدّة دقائق. رُبّما يقول شيئاً لا أستطيع سماعه.

لكنّ ذلك لا يهم، فأنا أشعر بأنني بخير.

«لم يعد لدى بو ما يقلق بشأنه الآن، كلّ شيء كما ينبغي له، وسيكون على ما يرام»، تقول إنجريد وأنا أصدّقها.

لا يزال هانس واضعاً يده على كتفي وأتخيّل أنني أضع يدي على يده. أنني أقول له أنني فعلتُ أفضل ما في وسعي، أنني آملُ أنّه يعرف ذلك. يسري دفء يده إلى باقي جسدي ولا أشعر بالبرد بعد ذلك. يُفْتَحُ بابُ البيتِ ثانيةً.

ترفع إنجريد يدي اليسرى وتضعها على ظهر سيكستن كما ينبغي. يداها غايةً في الدفء.

يَعْدُو جسد سيكستن القويّ أمامي. يمدّ الخطى بأقصى سرعته عبر فسحة المرج في الغابة. يأتي جرياً نحوي قبل أن يمضي نازلاً نحو الجدول حتّى يترد.

يخطرُ لي أنّ كلّ شيء غدا الآن على ما يرامُ تماماً، ثم أغفو.

ظلام، ولا أرى شيئاً. لكنّ رائحة فراء سيكستن تتسلل إليّ وشيء ما يُنْقَلُ في داخلي. يُعادُ توجيهه. أنفُهُ الرّطْبُ يندسُ داخلاً تحت يدي ويضغط نفسه ليلتصق بجسدي. كلّ شيء شديد الصفاء.

نافذة تُفْتَحُ وأسمع كيف تجتمع الكراكي كي تطير جنوباً.

الساعة الثالثة والنصف صباحاً

بويغفو بكلّ هدوء. يبدو السلامُ عليه وعدم الشعور بآلم. تستريحُ
يده على سيكستن المستلقي إلى جانبه. أشعلُ شمعةً وأتصل بهانس.

/ إنجريد

مكتبة

t.me/soramnqraa

عبر تأمل مُتأنٍّ، بسيطٌ لكنّه فعّالٌ، في معاني الحب والمحبة والاهتمام والرعاية والدُّنو من الموت، تأخذنا ليسا رِدين في أول رواية لها، وهي توثّق أدقّ التفاصيل في خريف عُمر رجل طاعنٍ في السنّ، بكل ما يعنيه ذلك لنفسه المكبّلة بوهن جسده المتداعي، كي تحكي لنا عمّا يمتدّ في دواخلنا بين ما نقول وما لا نقول لأحبّتنا وأقرب الكائنات منّا؛ ذلك الكامن من الأفكار والهواجس، مما لا يجد طريقاً للتعبير عنه أو البوح به؛ ذلك الخبيء من المشاعر التي تغمرنا حبّاً وخوفاً وغضباً وألماً، مما لا نسمح لأنفسنا بإبدائه حيناً وما لا نقوى على إطلاق سراحه أحياناً آخر.

حكاية "بو" كما يرويها بنفسه مخاطباً "فريدريكا"، رفيقة عمره؛ بين ما يعايشه في صيفه التسعين وبين ما يعاوده عبر ذكرياته وأحلامه، ستأسر قلبك لأنها "حكايةٌ مرهفة، مؤثرة ومثيرة للتفكير، ستدخل إلى قلبك مباشرة"، طبقاً لتعليل منحها جائزة كتاب العام في السويد، ولأنها "روايةٌ يمكنها أن تلامس أيّ قلب"، كما وصفتها صحيفة الجارديان الإنجليزية.

المترجم

ليسا رِدين: روائية وباحثة في علم الاجتماع من مواليد عام ١٩٨٨. ومع أنّ هذه هي روايتها الأولى، إلا أنّها لاقت منذ صدورها مطلع عام ٢٠٢٤ ترحيباً حارّاً من النقاد والقراء على حدّ سواء، وتصدّرت قوائم الكتب الأفضل مبيعاً بنسختها السويدية والإنكليزية. كما نالت عنها مؤلّفاتها عدة جوائز مرموقة في السويد عام ٢٠٢٤، أهمّها: جائزة كتاب العام في السويد (التي تُمنح على هامش معرض يوتيوري الدولي للكتاب) وجائزة نورلاند الثقافية وجائزة أدليريس لرواية العام.

ليسا رِدين

الكرافي تطير جنوباً



مكتبة
t.me/soramnqraa

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



takween.publishing@gmail.com